

مناسبة مرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
مقاليد الحكم ١٤٠٢ - ١٤٢٢هـ



الملك فهد

قائد حركة الإسلام والعروبة
في القرن الخامس عشر الهجري



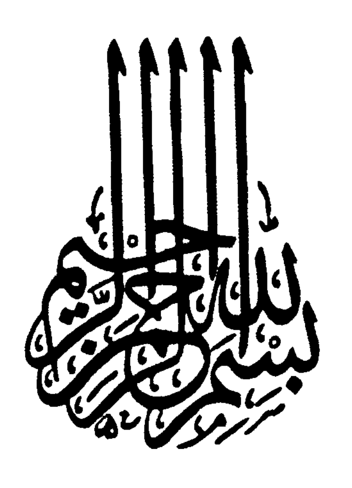
أحمد بن عبد الغفور عطار



أحمد بن عبد الغفور عطار

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
دارة الملك عبدالعزيز.
عطار، أحمد عبدالغفور
الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة
في القرن الخامس عشر الهجري
أحمد عبدالغفور عطار - الرياض ١٤٢٤ هـ
الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ
٤١٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٠ - ٥٤ - ٨٨٠ - ٩٩٦٠
١ - فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ملك السعودية
٢ - السعودية - تاريخ - الملك فهد أ - العنوان
ديوي: ٩٢٣٠١٥٣١٥٩ ١٤٢٤/٧٢٧٦
رقم الإيداع: ١٤٢٤/٧٢٦٧
ردمك: ٠ - ٥٤ - ٨٨٠ - ٩٩٦٠


الملك فهد
قائد حركة الإسلام والعروبة
في القرن الخامس عشر الهجري


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

الحمد لله المنعم المتفضل على عباده بالخير العميم، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين، أما بعد:

فقد أكرم الله بلادنا بخيرات كثيرة ونعم عظيمة ننهل من معينها ونسعد بثمراتها، وما كان ذلك إلا بتوفيق الله جل وعلا، ثم بالجهود المخلصة للمؤسس الملك عبد العزيز - رحمه الله - ومتابعة أبنائه البررة لنهجه القويم.

ومن مظاهر ما تنعم به بلادنا تعدد المناسبات المباركة، فقبل سنوات قليلة كانت المملكة تعيش مناسبة مرور مئة عام على تأسيسها، وفي هذه الأيام نحتفي بمناسبة مرور عشرين عاما على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم في المملكة.

إن يوم الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤٠٢هـ يعد من الأيام التي لها منزلة كبرى في تاريخ المملكة العربية السعودية، وما ذلك إلا لأنه يمثل اليوم الذي تولى فيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الحكم في المملكة العربية السعودية. وقد اقترن اسم فهد بن عبد العزيز بكثير من الإنجازات العملاقة والأعمال الجليلة التي يصعب تعدادها، والتي تنوعت ما بين اقتصادية وسياسية واجتماعية وتعليمية وثقافية وغير ذلك مما كان له أكبر الأثر في بناء هذا الوطن الواسع، كيف لا وقد تم في عهده الزاهر إنشاء البنية الصناعية، وامتدت الإنجازات الحضارية، وتوسعت

مؤسسات التعليم، إلى جانب المواقف السياسية المشرفة لخادم الحرمين الشريفين على المستوى العربي والإسلامي والعالمي.

إن شخصية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تعد من الشخصيات التي تبوأت مكانتها في تاريخ العصر الحديث في مختلف المجالات. وقد تكونت شخصيته - حفظه الله - مما استمده من صفات والده الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي وحد الشمل ولم الفرقة والتفت حوله القلوب لما ألفت فيه من صفات القائد المحنك والرجل المدبر. إلى جانب الخبرات المتعددة التي أنبتتها المراكز القيادية التي تولاها حفظه الله، والثقافة الواسعة، والعقل الطموح الذي سخر لخدمة هذه البلاد الطاهرة والأمة العربية والإسلامية جمعاء.

إن التوقف عند نقاط متنوعة من حياة خادم الحرمين الشريفين يعد تسجيلا حيا لنهضة المملكة العربية السعودية؛ فقد ارتبط باسمه الكثير من الإنجازات، ووقف خلف دعمه عطاء لا يحد، وسطور لا تدرك ولا تفصح إلا بالقليل.

وإن اللقب الذي اختاره خادم الحرمين الشريفين ليعد عنوانا لتوجهه العظيم، وإشارة إلى طموحه الكريم؛ فقد وجد الحرمان الشريفان في عهده بذلا سخيا، ورعاية مخلصة شهدت به العيون التي طافت برحاب البيت العتيق، والأرواح التي تعطرت بالصلاة في رياض طيبة الطيبة.

وقد حرصت دارة الملك عبد العزيز على أن تتبع هذا الاحتفاء الكريم بنشر مجموعة من الكتب القيمة التي تسجل هذا التاريخ وتكتب على صفحاته عطاء آخر تمتد سطوره وتبوح حروفه بالخير الذي نعمت به المملكة العربية السعودية في عهده الزاهر حفظه الله.

ويعد هذا الكتاب الذي نقدم له واحدا من الكتب التي اقتربت من

شخصية خادم الحرمين الشريفين ورصدت بعضا من مواقفه الكبرى، وعطاءاته العظمى، وجهوده المباركة لتجسد صورة قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر الهجري خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله.

دارة الملك عبد العزيز



ما قبل المقدّمة

بدأت تأليف هذا الكتاب ببلدي مكة المكرمة ـ حرسها الله ـ في أوائل شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٣هـ ثم وقّفت العمل فيه بعد منتصفه لأتفرغ كعادتي لكتاب الله عز وجل، ثم استأنفته بعد عيد الفطر، فلما انتهى شهره اضطررت للسفر من أجل الفحص والعلاج بأمريكا عن طريق لندن، فأعدت فيها قراءة ما كتبت، ثم غادرتها إلى واشنطن فمدينة بلومنجتون بولاية إنديانا حيث استأنفت العمل في الأيام التي قضيتها فيها.

ثم طرنا إلى ساكرمنتو عاصمة كاليفورنيا حيث أقمت بها أيامًا، ثم مضينا إلى سان فرانسسكو، واستأنفت العمل في الكتاب، ثم عدت إلى الوطن عن طريق نيويورك.

وطبيعي أن أعود إلى الكتاب في المحرم ١٤٠٤هـ ولكني لم أستطع أن أنقطع لتأليفه، لأن المكالمات الهاتفية واستقبال الزوار كل يوم حالا دون التفرغ له، وإن كنت أخذت في الكتابة فيه بين فينة وأخرى حتى جاء موعد سفري إلى أمريكا للفحص والعلاج، فسلكت الطريق السابق، إذ لي بتلك المدن أولاد يدرسون فأقضي لديهم فترات العلاج، واستأنفت الكتابة والتأليف.

وهكذا حتى أنجزت التأليف في سان فرانسسكو في أواخر شهر ذي القعدة ١٤٠٤هـ. واختلاف النهار والليل ينسي، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله، فإذا أضيف إليه اختلاف الأمكنة كان النسيان أشد، وإلى هذا الاختلاف يُعْزَى تكرار ذكر بعض الأحداث مثل ما دوَّنه الزعيم

اللبناني صائب سلام في مذكراته التي لم تنشر، واطلع عليها مندوب جريدة «الندوة» التي تصدر بمكة المكرمة، كما تكرر ذكر ما أفضل به الملك عبدالعزيز على حركة تونس الوطنية من عون وتشجيع وتأييد.

ولكن تكرار هذه الحوادث في كل موضع ذكرت به، إذ له في كل مشهد صورة قد تختلف في المدلول والاستنباط، وإلا فقد يكون التكرار من قبيل تأكيد الصورة في الذهن، فَلِما تكرر ذكره ثقلٌ في ميزان التاريخ، وفي ميزان الأخلاق.

وعلى أي حال، هذا هو الواقع فليستقبله كل قارئ بما طبع عليه، أما أنا فقد انتهى عملي في التأليف، ليبدأ عمل القراء.

والله الموفق.

الأحد: ٢٠ من ذي القعدة ١٤٠٤هـ — أحمد عبدالغفور عطار

٢٦ أغسطس / آب ١٩٨٤م — سان فرانسسكو - كاليفورنيا

مقدمة المؤلف

رحم الله الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية الحديثة، فقد كان الإنسان المسلم الحق والملك العادل الرشيد النموذج في خلائفه، وكان من أعظم نعم الله عليه أو أعظم نعمة أنعم بها عليه بعد الإسلام نجابة أولاده، وأن جعلهم جميعًا ومعهم أحفاده نماذج مثله.

وخير خلائق الإنسان - أيًا كانت مرتبته - التواضع الذي يجعل الملك والسوقة في سمط واحد، ويجعله معهم وقريبًا منهم؛ لأن الأخوة الإسلامية جعلتهم إخوانًا، وأكدت هذه الأخوة أخوة الإسلام الذي جعل المسلمين بعضهم أكفاء بعض.

وإذا كان التواضع أدنى صفات ذوي الامتياز إلى العامة فإن التواضع قمة الخلائق الإنسانية الفاضلة التي يقول رسولها الموصوف من قِبَل مَن خَلَقه وأرسله وجعله رحمة للعاملين: «من تواضع لله رفعه». إذ التواضع لا يجعل صاحبه وضيعًا أبدًا، بل يجعله مرفوع الذكر والمقام.

وذوو الامتياز بنعم الله عليهم يفقدون امتيازهم كله عند الخلق والخالق إذا فقدوا التواضع، وفاقد التواضع مستبدل له بالكبرياء، والمتكبر إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [**الأعراف: ٤٨-٤٩**].

وقال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه». رواه مسلم.

فالملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ كان شديد التواضع إلى حد غير معروف في عصرنا هذا إلا نادرًا كل النُّدْرة، ويكفي للدليل على ذلك حادث أو اثنان يفصحان عن أصالة التواضع فيه.

روى شيخنا العلامة الكبير الشيخ عبدالله عبدالغني خياط مدير مدرسة الأمراء بالرياض من زمن، وخطيب الجمعة بالمسجد الحرام وإمامه في مقال له بسلسلة مقالات جليلة نشرها بجريدة «المدينة المنورة»[1] جاء فيه قوله: في نفس الليلة اجتمعت الهيئة بسعادة الشيخ فؤاد حمزة ووجهت إليه نفس السؤال فقال: «من المستحسن جدًا أن تسألوا جلالته بنفسه».

«وتفاديًا لما لعله أن يحدث للمدرسة من ارتباك وبلبلة إذ يفاجئها الأمر بالسفر ولا يكون لها علم مسبق به بعث مدير المدرسة لجلالة الملك خطابًا مع الفراش سلمه لجلالته في مجلسه بالقصر، فيه طلب التوجيه والإشعار عن السفر، ولم تمض برهة إلا وحضر إلى المدرسة رئيس شعبة البادية بالديوان الشيخ إبراهيم بن عيدان رحمه الله وقال: «يسلم عليكم جلالة الملك ويقول: استعدوا» وبعث بعد ذلك لرئيس الخاصة الملكية الشيخ عبدالرحمن الطبيشي أوامر بزاد السفر».

وهؤلاء الشيوخ الذين ذكرهم شيخنا الجليل هم من كبار موظفي ديوان الملك عبدالعزيز المفتوح لخادم مدرسة يدخل إلى جلالته بمكتبه دون أن يرده أحد، فيدخل ويسلمه الرسالة، ثم ما يكاد يعود حتى يتلقى مدير المدرسة الجواب في أقل من سويعة، ولمّا أمر جلالتُه الخاصة الملكية، رأى المدير أن رئيس الخاصة لم يسلم المدرسة غير سيارة للسفر بها إلى الحجاز فيكتب المدير رسالة أخرى إلى جلالته ليتلقى فضيلته الجواب فورًا، وها هو ذا ما كتبه شيخنا في المقال السابق ذكره: «ثم في أثناء مغادرة

---

(١) العدد: ٥٩١٢، الصادر يوم الثلاثاء ١٩/٨/١٤٠٣هـ.

الهيئة لمجلس جلالته اعترضها خادم من رئيس الخاصة الملكية يحمل أمرًا من سعادته بسيارة واحدة للذهاب بها إلى مكة، ولدى مراجعته في ذلك وإيضاح أن كل ما تحتاجه دراسة الأمراء لا بد من نقله تصلب وأصر على رأيه ولم تطب نفسه بزيادة سيارة أخرى على الأقل. فكتب المدرس الأول لجلالته بالواقع وبعث بالكتاب مع فراش المدرسة سلمه ليد جلالته فقرأه، واستبقاه عنده ثم عمَّد رئيس الخاصة بإضافة سيارة أخرى صغيرة للركوب».

وليس ما حدث في هذه الواقعة معاملة خاصة لمدير مدرسة الأمراء، وإنما ذلك طبع أصيل في الملك عبدالعزيز، ولو أردت أن أذكر ما أعلم من حوادث تواضع جلالته لوسعني أن أملأ بها مئات الصفحات، ولكني أذكر الحادثة الأخرى التي وعدت بذكرها وهي موجزة فيما يأتي:

كان لنا جار يسوق سيارة نقل بشركة سيارات، أمر بالسفر بها إلى الرياض، وذلك في أوائل سنة ١٣٥٧هـ، وكان للسائق جار سجين بسجن الرياض انقطع خبره عن أهله، فبينا السائق في طريقة صادف بها مخيم جلالة الملك، فرأى الفرصة سانحة له، فدخل السائق على صاحب الجلالة الملك في سرادقه وسلم عليه وذكر له أن جاره سجين ويريد أن يقابله، فكتب له جلالته أمرًا إلى مدير شرطة الرياض بأن يسمح للسائق بمقابلة جاره السجين، وسلمه الأمر فطار السائق وقابل جاره.

هذا شيء أو إشارة سريعة إلى تواضع الملك الكبير عبدالعزيز ورثه منه كل أبنائه وأحفاده، فكل الملوك والحكام منهم متواضعون، فأبوابهم في بيوتهم ومكاتبهم مفتوحة للناس يقابلونهم متى أرادوا حينما يكونون في مكاتبهم أو حين يجلسون في بيوتهم في الوقت المخصص لجلوسهم.

كذلك كان الملك سعود والملك الشهيد فيصل والملك خالد أبناء الملك عبدالعزيز، ولتواضعهم قصص تروى وكأنما هي قصص خيال، وهي قصص خيالية إلا في المملكة العربية السعودية لدى آل سعود.

وبسبب صلتي بالملك الشهيد فيصل ـ رحمه الله ـ منذ كنت طالبًا بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ في سنة ١٣٥٢هـ، وكان جلالته يزور المعهد كل سنة، ولما كان جلالته نائبًا لوالده في الحجاز كانت معرفة الحجازيين وصلتهم به وثيقة، وكذلك كانت بابنه الأمير عبدالله الفيصل، فقد كانت أبوابهم مفتحة لكل أفراد الشعب لا يردهم رادٌّ، وما يزال عبدالله على سنة آل سعود الطيبة، فهو يجلس صباحًا من الضحى إلى الظهر، ويجلس أيضًا بعد المغرب، والباب الكبير لسكنه مفتوح على مصراعيه يدخل من يشاء وقت جلوسه.

وابنه محمد بن عبدالله الفيصل مثل أبيه وأجداده في التواضع، ويعلم صلتي بأبيه وجده، وحمَّلني مدرس من مكة رسالة إلى سموه الذي كان يشغل منصبًا مهمًا بوزارة المعارف، وكنت شاخصًا إلى الرياض لبعض شأني فمضيت إلى الوزارة، ودلفت إلى غرفة مدير مكتب سموه وقلت له: أريد مقابلة الأمير للسلام عليه، فأعلمني المدير أن لديه بعض كبار موظفي الوزارة وبعض الأجانب لبحث أمر مهم، واستبقاني للقهوة فجلست فإذا جرس يدق، يطلب الأمير مدير مكتبه فمضى سريعًا وأخبره أني بمكتبه، ففوجئت بالأمير محمد بن عبدالله الفيصل يجيء إلي ويصافحني ويمسك بيدي يصحبني إلى غرفة وإذا أنا أرى بها من ذكرهم المدير، وأجلسني على «كنبة» وجلس بجانبي جلسة غير متمكنة تقديرًا من سموه لي، وأصغى إليَّ، وقضى لصاحب الرسالة حاجته، ولم يسمح لي بالمغادرة إلا بعد الشاي والقهوة.

وتواضع الملك فهد قد شهده الملايين من السعوديين على «شاشة» التلفاز السعودي غير مرة، رأوه يمشي وجماهير طلاب الجامعة وأساتيذها ومديرها وأفراد الشعب يزاحمونه وهو في طريقة إلى حيث يحتفلون به ليحاوروه، وشهد تواضعه في حواره مع طلبة الجامعات السعودية، لم يضِق بسؤال، ولم يضجر من كثرة الأسئلة وطول زمن الحوار، بل انتهى الحوار

كما بدأ وجلالته مبتسم نشيط، لأنه كان سعيدًا بأبنائه الطلاب الذين هم غرس يده، وطبيعي أن يسعد بهم وقد نهلوا من العلم وتضلعوا منه، كما سعدوا هم بأبيهم وأبي الشعب كله.

ومنذ عرفت الملك فهد منذ أربعين سنة شابًا متواضعًا لم يتغير تواضعه وهو ملك كبير، بل زاد تواضعًا كلما ازداد مجدًا وعلوًّا، فالغصن المثقَّل بالثمر متواضع، وكلما زاد بالثمر ثقلًا كثر تدليه إلى أمه الأرض، أما الغصن الأجرد فيتطاول إلى السماء، ومعاذ الله أن يكون الإنسان الكبير حقًا إلا متواضعًا.

وكلما كبر الكبير بخلائقه الفضلى وصفاته المثلى ازداد تواضعًا وذلًا، وليس هذا الذل بالخضوع المصحوب بالمهانة، وإنما هو خفض الجناح تواضعًا ورحمة: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذا هو تواضع المؤمنين، ويا ويل الناس من الصغار الذي يكبرون بوجودهم في بعض المراكز، إنهم يتكبَّرون فيذلهم الله حتى يرى الناس ذلهم، وقد رأيت أناسًا تكبروا فأذلهم الله في حياتهم، ولبئس المصير إذا لم يتوبوا ويستبرئوا ممن تكبروا عليهم.

والملك فهد متواضع إلى حد بعيد، وهذا طبيعي، فهو وارث أبيه الذي كان آية في التواضع وسيد المتواضعين في أيامه، فطال عمره بعد موته إذْ مَدَّ له أعماله وأولاده جميعًا الألى بارك الله فيهم فكانوا مثلًا في التواضع ومكارم الأخلاق.

ولجلالته معي مواقف كريمة أملتها عليه مكارمه، فقد كنت أملك جريدة «عكاظ» وأحضرت لها مطابع في سنة ١٣٨٢هـ لأطبعها فيها فإذا قرار الحكومة يصدر بإلغاء امتياز صحف الأفراد لينتقل إلى مؤسسات إذا أراد

صاحبها الاستمرار، فقدمت إلى الملك الشهيد فيصل طلبًا بعد أن أسست مؤسسة عكاظ أرجو فيه صدور أمره بالموافقة على طلبي، لتصدر «عكاظ» يومية من مؤسساتها الجديدة، فصدر أمر الملك بإجابة طلبي، وبينا نحن نتهيأ لإصدارها حدث خلاف بيني وبين المؤسسة فتركتها نأيًا بنفسي عن خصومة لا أريدها، وعرضت الأمر على الملك فيصل، إما أن تأخذ المؤسسة المطابع التي كانت أحدث المطابع في وقتها، أو تأخذها الحكومة التي اشترطت علي إذا أردت إصدار عكاظ يومية أن أحضر مطابع خاصة بها، ودخل الشرط في صلب رخصة الجريدة، وهذا شرط لم يقع على أصحاب زميلات عكاظ.

وليس من العدل أن تلزم الحكومة مؤسسة عكاظ بشراء مطابع مالك عكاظ ذات الامتياز الفردي، ورأت نفسها ملزمة إما بشراء المطابع وإما برد الجريدة إليَّ، وهذا غير ممكن لشذوذه عن القاعدة التي لا تقبل هذا الشذوذ، وأراد الملك فيصل أن تبقى المطابع ملكًا لي وأن أبقى في المؤسسة التي تأسست بجهدي وطلبي، وكان الملك فيصل متهيئًا للسفر إلى مؤتمر القمة المقرر عقده بالإسكندرية فوكل الأمر إلى أخيه الملك فهد لينظر الأمر هو نفسه، فدعا ممثلين لمؤسسة عكاظ ودعاني إلى اجتماع بمقر وزارته بجدة بمكتبه إذ كان جلالته حينئذ وزيرًا للداخلية، وقبل الاجتماع العام تحدث إليَّ عارضًا علي أن تبقى المطابع لي وأن أبقى بالمؤسسة حسب رغبة الملك فيصل، فصارحت الملك فهدًا أنني لا أستطيع أن تبقى المطابع لأعمال تجارية ودخول مناقصات الحكومة لأسباب خاصة ذكرتها.

وبقيت بالمؤسسة عضوًا، وبقيت المطابع حتى قررت الحكومة شراءها وكونت لجنة تقدير غبنتني إذ قررت إنقاص ١٥ ٪ من ثمنها الأصلي مع أن ثمنها الحالي قد ارتفع عالميًا، وخفت من «الروتين» ومن الدائنين فرضيت وتركت للملك فهد وكان بالرياض رسالة أخبره فيها بسفري إلى دمشق وعنواني بها، وبعد وصولي تلقيت برقية يخبرني فيها أن موضوع المطابع قد

انتهى وصدر الأمر على الوزارة بدفع الثمن الذي قدرته اللجنة لتضم إلى مطبعة الحكومة، فشكرت لجلالته، وعدت إلى الوطن، وسافرت إلى الرياض أسلم على الملك فيصل والملك فهد وأشكر لهما صنيعهما.

وقرأ الملك فهد معاملة مطابعي فرأى في نقص الثمن غبنًا لي فهي جريدة لا تستحق أن يقرر هذا النقص تلقاء استهلاك يسير بمنزلة التمرين، ولو أريد شراء بعض آلاتها الحديثة للزم دفع ضعف سعر الشراء السابق، ولم يرد الملك فهد أن يعاد النظر في قضية تمت، وبينما أنا عنده استدعى سائق سيارته الخاصة وهمس له بكلام لم أعلمه، فلما استأذنت لمغادرة الرياض إلى مكة المكرمة أَمَر سائق السيارة أن يصحبني إلى الفندق والمطار، فذهبت مع السائق إلى قصر الملك فهد، ومكثت في السيارة أنتظر فإذا السائق وآخر علمت فيما بعد أنه وزير قصره أو مدير شؤونه ومعه شيء ملفوف سلمه وقال: هذا لكم بأمر الأمير فهد، وسألت عن المبلغ فذكر الرقم، وكان أكثر من خسارتي، فعدت إليه أشكره.

وما صدر مؤلف لي إلا كان سباقًا إلى التشجيع الأدبي والمادي، وعندما تهيأت لإعادة طبع الصحاح الطبعة الثانية قدم لي جلالته كل تكاليف الطبع، فلما قامت دار العلم للملايين بطبعه على نفقتها وكافأتني تلقاء الطبع بمكافأة لم يعطَها غيري، وذكرت لجلالته اتفاقي مع دار العلم قال لي جلالته: المبلغ منحة لكم.

وأعظم تكريم لي من الملك كتابته مقدمة «الصحاح» المحقق من قبلي، إذ تفضل جلالته بإغداق الثناء عليّ إغداقًا لم ينله من جلالته أحد قبلي ولا بعدي حتى الآن والحمد لله.

وعندما أصبت بجلطة حادة في المخ في منتصف شهر شوال سنة ١٣٩٩هـ غشيني فضل جلالته، ومع أن علاجي بمستشفى الدكتور سليمان على ضيافة الدكتور كان بفضل الله ثم بفضل الدكتور ناجعًا والحمد لله على

ذلك، إلا أنّ جلالته أبىٰ إلا السفر إلى أمريكا لفحوص جديدة التماسًا لعلاج أكثر نجوعا، ولم أملك إلا الشكر والسفر على نفقة جلالته أنا ومن معي من أهلي إقامة وعلاجًا ودواء، بل بعث إليَّ مبلغًا ضخمًا أتركه لمن يتخلف من أهلي للوطن.

وتلقاء تكريم الملك فهد قررت أن أقابل تكريم جلالته إياي بتكريم: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ ويقول سيد الخلق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: «من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه وإلا فادعوا له».

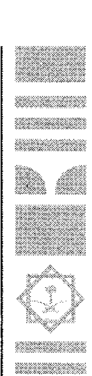
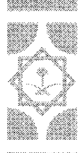
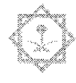
ويعلم الله أني متمثل أمر النبي الكريم ﷺ، فما من أحد أسدى إليّ معروفًا إلا كافأته وإلا دعوت له.

والملك فهد - مد الله في عمره - كرمني أدبيًا بكتابة مقدمة «الصحاح» عندما كان وزيرًا للمعارف تكريمًا باقيًا، وهأنذا أقابل تحيته إياي بتحيتي لشخصه المحبوب، وأقابل تكريمه إياي دائمًا بتكريمي لجلالته بتأليف هذا الكتاب موجِزًا فيه بعض سيرته العطرة لم أقل فيه غير الحق، وإنه لأهل أن تُكتب في مجده وأعماله الجليلة عشرات المجلدات.

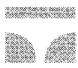
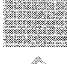
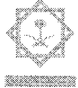
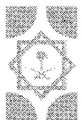
وإني لأبتهل إلى الله أن يمد في عمره ليغنم العرب والمسلمون من جهوده وجهاده المزيد من المغانم يضاف إلى ما قدم لهم قائد حركة العروبة والإسلام الملك الفذ فهد بن عبدالعزيز حرسه الله ورعاه.

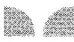
الأحد: ٢٠ من ذي القعدة ١٤٠٤هـ — أحمد عبدالغفور عطار

٢٦ أغسطس/آب ١٩٨٤م — سان فرانسسكو - كاليفورنيا

أصل أصيل وفرع نبيل



أصل أصيل وفرع نبيل

ينتسب الملك فهد إلى أبوين عظيمين من أكرم الأسر العربية طرًا.

وعميد آل سعود في هذا العصر هو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود مؤسس الدولة السعودية الحديثة.

وعبدالعزيز في غنى عن التعريف، ويكفي أن يكون مؤسس هذه الدولة وقائد حركة الإسلام والعروبة في هذا العصر ليعرف القارئ ثقل هذا الإنسان الكبير بخلقه وفضله، وعلمه ونبله، وتدينه وصلاحه، ومكارم الأخلاق التي زينه الله بها، وأما أمه فمن آل السديري المشهورين في نجد بالشجاعة والكرم، وهم - بعدُ - يجمعون مزايا المسلم الحق وصفات العربي الأصيل الحميدة.

ومن هنا جمع الملك فهد خير الصفات الكريمة، إذ ورث من آبائه آل سعود ومن آل السديري ما في هاتين الأسرتين الكريمتين العظيمتين من الخلائق الفاضلة الكريمة.

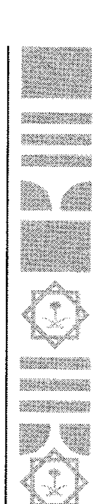
وأبو فهد: الملك عبدالعزيز نادرة النوادر في أخلاق الفروسية النبيلة، وصفات العربي الأصيل والمسلم الحق، وقد سبق لي أن كتبت فيه كتابًا ضخمًا كبيرًا منذ خمسين سنة تقريبًا، ألفته سنة ١٣٥٧هـ وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م).

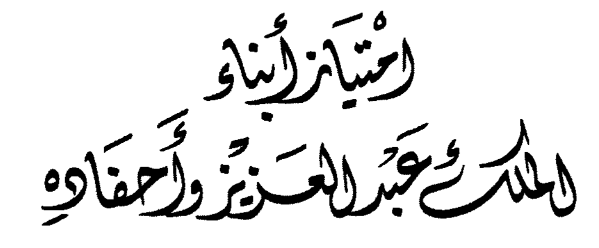
ذلك الإنسان العظيم هو أبو الإنسان العظيم فهد بن عبدالعزيز، وارث المجد الأثيل، وباني أعظم صروح المجد للعرب والمسلمين أضافها إلى ما بناه أبوه الملك عبدالعزيز، وما أضافه كل من أخيه الملك سعود؛ فأخيه

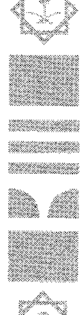
الملك الشهيد فيصل، فأخيه الملك خالد أبناء عبدالعزيز رحمهم الله جميعًا رحمة واسعة، ومدَّ في عمر عاهل العرب الأكبر؛ وقائد حركة الإسلام والعروبة الأكبر، أمير المؤمنين، وفخر المسلمين خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبدالعزيز.

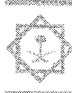
ذاك أبو فهد، أبو الغُرِّ الميامين.

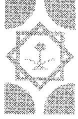
وما أعظم من كان أبوه عاهل العظماء فكان بمجده التالد ومجده الطريف الباذخ يسبق عظماء العالم من معاصريه.

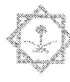



امتياز أبناء
الملك عبد العزيز وأحفاده











امتياز أبناء الملك عبدالعزيز وأحفاده

بلغ من امتياز أبناء الملك عبدالعزيز وأحفاده أنهم جميعًا أصلًا كرام بارزون في مجتمعهم بروزا بتميزهم عن غيرهم في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والفصاحة وسرعة البديهة وقوة الحجة، وورثوا من أبيهم العبقري النادر الفاذِّ طباعه وخلائقه وعبقريته.

وأنا أعرف من أبناء عبدالعزيز أكثرهم، وبعض أحفادهم، وما منهم إلا عظيم بارز، فكل من الملك سعود بن عبدالعزيز، والملك فيصل بن عبدالعزيز، والملك خالد بن عبدالعزيز رحمهم الله جميعًا، فالملك فهد بن عبدالعزيز - مد الله في عمره - كان كبيرًا في خلقه وفضله ونبله، ومع اتفاقهم في البروز والألمعية فإن لكل منهم شخصيته وعلامته الفارقة، فهم ليسوا بنسخ مكررة، بل كل منهم فريد فاذ له سماته الخاصة.

كلهم ذوو منطق غلاب وفصاحة، ولكنهم يتفاوتون في مقدار هذه المواهب، فعلى سبيل المثال الملك الشهيد فيصل رحمه الله رحمة واسعة، ذو منطق فصيح، نصيبه من ذلك نصيب موفور، ويكاد يكون فيهما من المبرزين على إخوته الآخرين، ومثله أخوه الملك فهد الذي شاهده الملايين في التلفاز السعودي في حواره مع أبنائه طلاب الجامعات السعودية وأساتذتها ومديريها؛ وعمداء كلياتها، وكان السائلون أحرارًا آمنين في الأسئلة والنقاش، لا يخافون، وكيف يخافون وهم بحضرة أبيهم، والأولاد لا يخافون من أبيهم البر الرحيم، ولكنهم يهابونه، فأنت تشعر بالهيبة في حرم الجامعة، ولكن تشعر بالخوف في مقر الشرطة ومراكزهم، ففي

المكانين خوف يختلف باختلافهما، ففي الجامعة خوف مقترن بالطمأنينة والاحترام، ولهذا سمي الهيبة.

وهطلت الأسئلة على الملك فهد، فما تهرَّب من جواب، وما غضب من اعتراض، بل سره من أبنائه أن يكونوا صرحاء مفصحين، فالملك فهد في حرم الجامعات التي أنشأها أب أستاذ يحاور أبناءه الطلبة، ويسره منهم المنطق القوي والبرهان الساطع والفصاحة وحرية الفكر والرأي والتعبير.

وعَجِبَ غير السعوديين ممن شهدوا الملك فهد على شاشة التلفاز في أحرام الجامعات وجماهير الشعب والطلاب وأساتيذهم يزاحمون جلالته وهو يمشي بينهم؛ يشق طريقه وسط ذلك الزحام في عسر ومشقة وهو آمن مطمئن إلى أن أبناء وطنه يحبونه إلى حد الفداء، أما الأجانب الذين يجدون في مملكة فهد الأمن ورغد العيش ويسر الرزق الواسع مما لا يجدونه في بلادهم لن يقدموا إلا على خير، ولن يعكروا أمنهم أبدًا بما يغضب الشعب الكريم المضياف: شعب فهد.

وكذلك كان أبو فهد وإخوته آمنين مطمئنين لا يخشون على أنفسهم أي غدر من غادر لا وجود له، لأن عدلهم وكرمهم وخلائقهم الفاضلة مصدر أمنهم وطمأنينتهم، فولي العهد ونائب الملك ورئيس الحرس الوطني الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لا حرس يصحبونه في غدوه ورواحه، وقصره كأنه مسجد، لا حرس يصدون أحدًا، فقد ذهبت إلى قصر سموه بالطائف ومعي صديق أديب نريد السلام على سموه، وكان صديقي هو سائق سيارته التي دلفت من باب القصر إلى الداخل، فلم يمنعنا الحرس بالزي المدني، بل جاء إلينا أحدهم يسأل عن أي خدمة يقدمها لنا فقلنا: نريد ولي العهد، فأجابنا: سيحضر بعد قليل، ودعانا للجلوس بغرفة انتظار، ثم أحضر لنا القهوة فالشاي، فلما حضر الأمير قابلناه.

وكذلك الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام والنائب الثاني لجلالة الملك رئيس مجلس الوزراء لا حرس معه حتى

في وقت الخطر، ففي حادث جهيمان والشرذمة التي معه الذين احتلوا المسجد الحرام في مطلع سنة ١٤٠٠هـ جاء سموه إلى مكة المكرمة حرسها الله، وكان يعس ليلًا وليس معه بسيارته أحد غير سائقها في وقت لم تعرف حقيقة المعتدين ولا من معهم، ومن الجائز أن يكون أفراد منهم خارج الحرم الشريف، وقد رآه أهل مكة المكرمة وطلبوا إليه ألا يتجول في مثل هذه الساعة من الليل لئلا يعتدي عليه بعض أتباع هذه الحركة الإجرامية، ولكن العاسَّ ينشط ساعة الخطر حتى يأمن الناس ويناموا.

وكذلك كان الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية فقد طار إلى مكة المكرمة حرسها الله، والأمير فواز بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة حينئذ، يسهرون ساعات من الليل يعسون.

إن أبناء عبدالعزيز، بل أقول: إن أولاد عبدالعزيز حتى يشمل الإناث يمتازون بالشجاعة والكرم والعفة والفصاحة والصدق والتواضع، وما اجتمعت هذه الصفات في امرئٍ إلا تبعتها كل مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وهذه صفات أحفاد عبدالعزيز الذين عرفت منهم الشاعر العربي الكبير، والإنسان الكبير الأمير عبدالله الفيصل الفذ النادر أمثاله بين الناس، ولعله الحفيد الوحيد المشهور في عالمنا العربي وفي غيره، فقد اشتهر بشعره المترجم إلى بعض اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية.

وشجاعة أولاد الملك عبدالعزيز وأحفاده متحدرة من الأروقة التي تحدروا منها، أولئك هم آل سعود الألى دوَّن تاريخهم القديم والحديث، ويكفي مثالًا فتح الملك عبدالعزيز الرياض والأحساء وحروبه، وإنها لشجاعة نادرة المثال، وما سبق ذكره في الملك فهد وإخوته: عبدالله، وسلطان، ونايف، وفواز أبناء عبدالعزيز.

وهذه صفة كل أولاده وأحفاده وكل آل سعود سلفًا وخلفًا، وأما الكرم فما رأى هذا العصر كله كريمًا سخيًا مثلهم.

ولعل من حسن حظ المجتمع السعودي أن يكون فيه آل سعود بعامة،

وآل عبدالعزيز بخاصة، وإن من حسن حظه أن يكون في أيديهم المال الكثير دون أن يُحْقَدَ عليهم على هذا الامتياز الذي هم أهله.

وفي مجتمعنا السعودي آلاف من أصحاب الملايين، ومئات من أصحاب البلايين، وفيهم كرام يتبرعون بالملايين لجمعيات خيرية، وقل أن يقصدهم المحتاجون الذين يقصدون آل سعود، حيث يجدون منهم العطاء السخي مع الاحتفاظ بكرامة من يقصدونهم، فلا يمنون، ولا يذلون قاصديهم، ولا يشهرون بهم.

وجيرانهم يجدون منهم حسن الجوار والبر والمودة وإجابة ما يطلبون، وليس ذلك خاصًا بالرجال، بل يشترك معهم نساؤهم، إذ يقصدهن النساء من الشعب السعودي ومن غيره يأملن منهن الخير والزاد.

والفصاحة التي يمتاز بها أبناء الملك عبدالعزيز وأحفاده غير الثرثرة، فما هم بالثرثارين، وإنما هم معروفون بكثرة الصمت وقلة الكلام، فإذا تكلموا أوجزوا، فإذا استدعى الموقف أو الحال شيئًا من الشرح أو شيئًا من الإسهاب لم يكن فيه ما يعاب أو يؤاخذ عليه.

ولقد شهدنا في التلفاز السعودي لقاء الملك فهد عديدًا من المرات يتحدث إلى أبنائه الأعزة من طلاب الجامعات السعودية، وسمعناه يتحدث حديثًا رائعًا وعجبًا استغرق وقتًا طويلًا فيه فشعرنا بأنه قصير؛ وذلك لفصاحة فهد المثلى، وسلامة منطقه الرائع وحديثه المُصَفَّى السهل الممتع.

وكان الملك في حواره صادقًا بليغًا، وواضحًا وصريحًا حتى إذا أمطر أبناؤه الطلاب بوابل من أسئلتهم أضاف جلالته إلى صدقه وبلاغته سعة الصدر، فما ضاق بكثرة الأسئلة، وما تجهم لسائل، وما شعر بالحرج من سؤال، فأجاب بصدق لم يراوغ ولم يتهرب، لأن الأب دائم الصدق والاستقامة والوضوح مع أبنائه البارين.

وسمعنا وشاهدنا في التلفاز الأمير سلطان بن عبدالعزيز كثيرًا يرتجل الخطب ارتجالًا، فكان من الخطباء الذين يحسنون الارتجال على قلة من

يحسنونه، ولكنه سلطان البليغ الذي يبدع أيما إبداع، وقابلته كثيرًا فإذا هو محدث لبق رائع التعبير، غزير العلم والثقافة، خلاب البيان.

ورأينا وسمعنا الأمير نايف بن عبدالعزيز في التلفاز في حوار علني مع مئات من الطلبة الجامعيين فكان في حواره رائعًا، وأجاب عن كل سؤال جوابًا لا يصدر إلا عن فكر حي وعقل كبير وذي علم واطلاع.

ومنذ سنوات اختير الأمير أحمد بن عبدالعزيز وكيلًا لإمارة منطقة مكة المكرمة حرسها الله، فرغب أهل مكة وجدة والطائف أن يحدد لهم موعدًا ووقتًا للحوار معه، فاستجاب لهم وحدد موعدًا ليلة من ليالي رمضان المبارك في نادي الوحدة بمكة المكرمة، وازدحم النادي على سعته، واجتمع للحوار كبار رجال الأدب والفكر والعلم وأساتذة الجامعة وكثير من طلابها وأساتذة المدارس، والموظفون والصحفيون.

وحوصر الأمير أحمد - وهو شاب في مقتبل العمر - بأسئلة كالمطر تهطل عليه هطلًا، وتناولت الأسئلة موضوعات مهمة في شؤون البلديات والشرطة والموظفين وشؤونهم والمعاملات والهندسة المعمارية وتخطيط المدن وفي شؤون الرياضة والأدب والصحافة، وفي بعض الأسئلة إحراج، وفيها اختبار من بعض السائلين، واستقبل الأمير كل سؤال باهتمام ورضا، فلم يَبْرَمْ بسؤال، ولم يتهرب، ولم يُحلْ سؤالًا على أحد، بل كان يجيب، لأنه هو رئيس الرؤساء والمديرين في المنطقة الكبيرة التي هو وكيل إمارتها، ومفروض فيه أن يكون مطلعًا على أعمال الإدارات، وقد كان مطلعًا، وأفصحت أجوبته عن علم واسع، وثقافة عالية، وأدب رفيع، وعقل راجح، وخلق عظيم.

وطال زمن الحوار مستغرقًا بضع ساعات، وما نفذ له صبر، بل كان مستعدًا للمزيد من الأسئلة التي نفذت، وقوطع بالتصفيق الحاد من الجميع إعلانًا لإعجابهم بهذا الشاب العظيم الذي عجبوا من أن له كل هذا العلم والفهم وحضور البديهة وكبر العقل وصحو الذهن مع حداثة السن.

ولكن الدهشة والعجب يزولان متى عرفنا أن أبناء عبدالعزيز أذكياء ذوو ألمعية ملهمون متعلمون مثقفون مناطقة، وهكذا يزول العجب ويبقى الإعجاب.

وفي صيف سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) عقد الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض مؤتمرًا عامًا للطلاب السعوديين في الولايات المتحدة الأمريكية بطلب من وزارة التعليم العالي لَبَّاه سموه، وقام وكيل وزارة التعليم العالي الأستاذ طامي بن هديف البقمي والملحقية المسؤولة عن الطلبة بالترتيب لعقد المؤتمر، واتفق مع سموه على عقد ثلاثة مؤتمرات بثلاث مناطق تيسيرًا على الطلاب، وأعْطُوا تذاكر للحضور، وقُرر يوم محدد لكل مؤتمر، وكان المؤتمر الثالث وهو الأخير هو مؤتمر مدينة سان فرانسيسكو المنعقد بأحد أكبر فنادقها، ويبدأ الحوار بعد الغداء.

ولما كنت بمدينة سكرمنتو عاصمة كاليفورنيا التي قدمت إليها للعلاج أو على الأصح لتكملة علاجي من إصابتي بجلطة حادة في المخ، ولوجود ابن لي يدرس بجامعتها، ولا تبعد عن سان فرانسيسكو إلا حوالي ساعة ونصف ساعة قررت حضور المؤتمر مع بعض الطلبة، وللسلام على سموه.

وامتلأت أبهاء الفندق الرحبة بالطلاب وبأمثالٍ لي حضروا لمثل حضوري، وحضر الأمير سلمان بن عبدالعزيز، وما كادوا يرونه حتى ازدحموا عليه يسلمون وهو يشق طريقه بصعوبة، وبينا هو في طريقه إلى البهو الكبير المعد للمؤتمر لمحني سموه فشق طريقه إلي حيث أقف معتمدًا على عصاي وصافحني محييًا ورحب بي ترحيبًا، وكان سموه يعلم بإصابتي من الصحف السعودية التي كانت تنشر كل يوم عن حالتي الصحية، وأبدى لي سموه الكريم أن يجعل نفقات علاجي وإقامتي أنا ومن معي من أهلي على حساب سموه الخاص، فشكرت لسموه فضله وتحيته الكريمة وقلت له: الأمر لم يبعد عنكم، فأنا ومن معي من أهلي على نفقة أخيكم فهد بن عبدالعزيز سفرًا وإقامة وعلاجًا.

وبعد الغداء على ضيافة الأمير سلمان لكل من حضروا بدأ الحوار بخطبة بليغة موجزة حيا فيها الحضور جميعًا تحية آية في الكمال والجمال، ونقل إليهم تحيات جلالة الملك خالد وسمو ولي عهده فهد بن عبدالعزيز، وتمنى للحاضرين الصحة والعافية وطيب الإقامة مقرونات برضا الله، ويأبى فضل الأمير سلمان إلا أن يطفح كرمه فيذكرني من منبره على رؤوس الأشهاد ذكرًا جميلًا رائعًا، وأغدق عليَّ من ثنائه الفاخر وألقاب الشرف والتكريم ما هو أجدر بكل ذلك مني، ولكنه الأمير سلمان آسر الناس بمعروفه وفضله يأبى إلا أن يثقل كاهلي بعوارفه، وعلم بوجودي من سموه من لم يكن يعلم.

وكثرت أوراق الأسئلة من الطلاب الألى أطمعتهم سماحة الأمير في أن يكونوا معه صرحاء، بل حمل بعضهم شعور الأمن والراحة على التطرف فأعطوا أنفسهم قدرًا من الجرأة والحرية أكثر مما هو بأعظم الدول أمنًا وحرية.

وكان السؤال يُتلى على مسامع الأمير والحاضرين وذكر اسم السائل وكأنه يتكلم مع زميل صديق مؤتمن، وكذلك كان موقف الأمير العظيم سلمان مع كل السائلين.

ودهش السامعون من الطلاب وغيرهم ممن حضر للسلام على الأمير وشهود مؤتمره وفيهم من حملوا أسئلة طلاب قدموها نيابة عنهم، وأعطى الأمير الحرية لمن أراد إخفاء اسمه حتى لا يعرف، ومع هذا أفصح كل سائل عن اسمه، لأنه شاعر بالأمن منسوب لدولة الأمن المثلى، ولَشَدَّ ما أدهش الحاضرين سؤال لم يَخَفْ صاحبه فأفصح عن اسمه، ولم يتحرج قارئ الأسئلة من قراءته، لأن سلمان بن عبدالعزيز طلب إليه أن يقرأ كل سؤال مهما كان أسلوبه ومعناه، فقرأ السؤال وكان نصه:

«يا صاحب السمو الملكي، ما رأيك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، وما كدنا نسمع

السؤال واسم صاحبه حتى سرت همهمة من الحاضرين، وشيء كثير من الاستنكار، لأن في السؤال تعريضًا وما لا يليق، ولكن الأمير العظيم سلمان ابن عبدالعزيز رأى في الوجوه استنكارًا شديدًا، وفي الهمهمة سخطًا، فآثر أن يبدد من جو المؤتمر ما كان قد غشيه من السؤال بحكمته وسماحته وتقديره لحرية الرأي والتعبير وضمانها فقال سموه وهو يبتسم:

«أيها الإخوة، نحن هنا في حوار، ولكل من حضر حرية السؤال بالأسلوب الذي يصوغه به، ولا تظنوا أن السؤال يغضب، وأنا أجيب الأخ السائل بما جاء في القرآن الكريم بما تحتفظ به الذاكرة من تفسير الأئمة والعلماء، والآية التي ذكرها الأخ السائل من ضمن آيات منها: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ إلى آخر الآيات التي تكمل مشهد قصة سيدنا سليمان مع الملكة بلقيس.

ثم قال الأمير سلمان لا فُضَّ فوه:

«وقد حكى الله قول بلقيس ملكة سبأ اليمن، والمعنى كما أذكر: أن بلقيس قالت للملأ من قومها: لنتدبر الأمر، لأن الدخول في حرب قد تكون الهزيمة من نصيبنا... وحينئذ يدخلون بلادنا ويخربونها، وتكون من عواقب الهزيمة ذل الأعزاء... إلخ».

وقال الأمير العظيم سلمان: «النيات في علم الله سبحانه وتعالى، وما أظن الأخ السائل أراد التعريض، وأشكره على حسن ظنه بي في علمي القليل فألقى عليَّ سؤاله».

وامتص خلق الأمير وجوابه سخط الناس وأعاد إليهم راحة النفوس، وما ندري أنشكر الأمير على مكارم أخلاقه وعظمة وتواضعه أم نشكره على

التماس العذر للسائل؟ إننا نشكره على كل ذلك، ونكبره حق الإكبار على سرعة بديهته وصفاء قريحته ووفاء ذاكرته وصحة تفسيره ومكارم أخلاقه.

ولئن كان جواب الأمير العالم بحق وذي المنطق بحق، والكبير جدًا بهذه الأخلاق التي لا نجدها إلا في حكام البلاد السعودية وحدهم دون غيرهم قد سر الحاضرين، فقد سرهم أكثر لطفه وهدوؤه وسماحة نفسه وترفّعه عن الغضب والحقد؛ وأكبروه إكبارًا لا مزيد عليه، أكبروه لصفات كثيرة أبرزها هذا الموقف.

ولا غرابة ـ يعلم الله ـ فيما شهدنا، فأولاد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ نمط عزيز ونادر في الناس بعامة وفي الحكام بخاصة، ويمتازون بسمو الخلق، والسماحة والعفو عند المقدرة، وسبق حلمهم غضبهم، وإيثارهم الصفح على الانتقام، كما يمتازون بسرعة البديهة التي تسعفهم في أحرج الأوقات فتخلصهم من الحرج، وتخرجهم إلى السعة، وما أخذ عليهم أحدٌ أنهم انتقموا من أحد لأشخاصهم، وما أخذتهم العزة بإثم أو خطأ.

وقد قلت في مقال لي نشر بجريدة «البلاد» بالعدد ١٩٧٨ الصادر في ١٦ يناير ١٩٧٨م[(١)] ما نصه:

«إنني رأيت أناسًا من عامة الشعب خاصموا الملك الشهيد فيصلًا وناقشوه وجادلوه دون أن يصيب أحدًا منهم أذى في نفسه أو ماله أو حقوقه المدنية أو أهله فهم في أمن آمن. وكذلك الأمر بالنسبة للملك خالد، وولي عهده الأمير فهد، وكل إخوانهما من الحكام، والحريات بأنواعها في المملكة العربية السعودية مكفولة من قبل الحكام أنفسهم ومن نظام الحكم القائم».

---

(١) عندما كنت أكتب هذا الفصل كنت بمدينة «سان فرانسيسكو» ضيفًا على أولاد لي يدرسون بجامعتها، ولم تكن جريدة «البلاد» بين يدي، بل نقلت الشاهد من مجلة تصدر بأمريكا فذكرت التاريخ الميلادي دون الهجري.

وكان أحد الطلاب الذين يتعلمون على حساب أهليهم، قال في وريقته: «يا صاحب السمو، كنت أتعلم على حساب والدي، ومعي زوجتي وثلاثة أولاد، وتوفي أبي، وليس لدى والدتي ما ترسله، بل هي في حاجة إليَّ، وجئت إلى هذا المؤتمر مستدينًا قيمة التذكرة، وتركت زوجتي وأولادي جياعًا، وجئت وأنا جائع، وأرجو أن تعمل لنا شيئًا».

وأجابه الأمير السمح الطيب الكريم: «أيها الأخ، ستنضم إلى البعثة بمشيئة الله، وأرجو بعد انتهاء المؤتمر أن تقابلني لأقدم لك الإسعاف العاجل حتى تتم إجراءات ضمك إلى البعثة».

وتلقى الأمير سلمان أسئلة لم يخلُ بعضها من إحراج أجاب عليها كما أجاب ذلك السائل، وبعد انتهاء المؤتمر مضى ذلك الطالب الجائع إلى سموه فسلّمه ظرفًا يحوي عشرين ألف دولار.

وكنت أعرف بعض الطلاب ممن ضُلِّلُوا (بكسر اللام الأولى المشددة) فلما قابلوا الأمير وحضروا حواره وحاوروه دهشوا من تواضع حاكم كبير من حكامهم وتسامحه وأريحيته، خرجوا من المؤتمر وقد رضوا أتم الرضا عن حكامهم الكرام، وصاروا لهم جنودًا مخلصين.

وكان من ثمار هذا الحوار إجماع الحب لحكامهم والصدق في هذا الحب، ونالوا من الأمير سلمان ما أرضاهم كل الرضا.

وعندما نشرت هذه الكلمة بجريدة المدينة المنورة كنت قد اقترحت عقد أمثال هذا المؤتمر بين الحكام والمحكومين حتى يزداد قرب بعضهم من بعض فيموت الذين في قلوبهم مرض بغيظهم من الارتباط الوثيق بين هذه الأمة وقادتها.

وقد أثمرت المؤتمرات الكبيرة التي انعقدت بين الملك فهد وعشرات الآلاف من أبنائه طلاب الجامعات السعودية ومديريها وأساتذتها والمعيدين بها، كما حضرها آلاف من المسؤولين مدنيين وعسكريين ورسميين وغير

رسميين، كما انعقدت مؤتمرات بين بعض الأمراء الحكام والجامعات، أثمرت هذه المؤتمرات تلاحمًا قويًا بين الحكام والشعب.

والأمير فواز بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة السابق كان مثلًا عاليًا في الخلائق الفاضلة، فأرضى مواطنيه كما أرضى ضيوف بيت الله الحرام من حجاج وعُمّار وزُوّار، لأنه كان حاكمًا عادلًا نظيف اليد والقلب واللسان، فأحبه أهل مكة المكرمة والمنطقة الكبيرة التابعة لها حبًا عظيمًا هو له أهل.

وكان من سنته في الحكم عرفان أقدار الناس، وإنزالهم منازلهم، فإذا ادعي على أحد ذي قدر ومكانة لم يكلفه من أمره عسرًا بإجراء المعاملة في خطها الرسمي بإحالتها إلى الشرطة أو المحاكم فيُطلب بأسلوب الإجراءات المتبعة في هذه الدوائر حرصًا على سمعته، وكان بهذه السنة التي استنها ينهي معاملات كثيرة بالتي هي أحسن.

وقد تلقى من سمو الأمير فواز أحدُ الكتاب البارزين السعوديين رسالةً رسمية خاصة ذكر له فيها أن «فلانًا» الذي كان يعمل «فراشًا» لديه ادعى أن له بذمته حقوقًا مقدارها بضعة آلاف من الريالات، ولما كان (المعتدى عليه) من أهل الفضل فإنه آثر أن يكتب إليه هذه الرسالة رجاء أن ينهي الدعوى حرصًا على سمعته ومكانته إذا كان للمدعي ما ادعاه.

فلما تلقى الكاتب البارز من الأمير العظيم رسالة سرته مجاملة سموه وسنته الحسنة فبادر بالجواب الذي قال له فيه: إن هذا «الفراش» كان يعمل لديه وادعى عليه بالباطل حقوقًا ليست صحيحة، وإنما دفعه أحد خصومه ليدعي عليه تشويهًا للسمعة، وقد قدم دعواه الباطلة إلى مكتب العمل والعمال، وأجابه بأن المدعي كاذب، فهو لا يستحق في ذمته شيئًا ألبتة، بل هو له بذمته أشياء، وراجعه غير مرة يستجديه للصلة السابقة فيعطيه، ونظرت الهيئة العليا لقضايا العمال دعوى الفراش وحكمت عليه لا له، وصرفت

النظر عن دعواه، فلا تُسمع من المحاكم ومن أي جهة رسمية بموجب الأمر السامي.

وذكر الكاتب لسموه أنه مستعد بدفع المبلغ للمدعي إذا كان ذلك يرضي سموه، وأصحب الجواب بصورة من حكم الهيئة العمالية العليا.

وطبيعي أن الأمير لا يرضيه الكذب والباطل بتأييد صاحبهما وإجابة ما يطلبه، فأحضره سموه لما ثبت له كذب الشاكي فعاقبه.

وكان سموه لا يبالي في الحق كبيرًا، فقد ادعى لديه عامل أن (فلانًا) الثري الكبير ذا اللقب الرفيع قد أبى أن يسلمه حقه الذي صدر به حكم له بمبلغ ستة آلاف ريال سعودي على ذلك الثري.

وبينما الشكوى بيد الأمير العظيم فواز بن عبدالعزيز كانت مناسبة لجمع التبرعات لقضية عربية فبادر الثري بكتابة رسالة إلى سموه يعلن له تبرعه بأكثر من عشرة ملايين ريال، فأبى الأمير قبول تبرعه ورده إليه ردًا حتى يدفع حق العامل فورًا، وراز[١] الثري الحاذق موقف الأمير فوجده صلبًا فدفع حق العامل.

والأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة شديد الاندماج في الناس، يحبهم ويحبونه، ويشجع الصناعات برعايته إياها، كما يشجع كل المشروعات، ويلبي دعوات الأندية الأدبية، ويهتم اهتمامًا عظيمًا بوفود بيت الله الحرام، ويسهر على راحتهم، ويتفقد أحوالهم حتى يتأكد من راحتهم وضمانها بتضحيته براحته، فلا يُرَى سموه في موسم الحج إلا منهمكًا في العمل ليل نهار، فإذا أهلَّ شهر ذي الحجة زادت تبعاته، وكثرت ساعات عمله.

ومن خير ما يتصف به الأمير ماجد اتزانه وتحريه للعدل وإن كان يؤثر

---

(١) راز الشيء: حمله ليعرف ثقله.

الفضل حتى يسود بين من يحكمهم الحب والوئام، شديد الغيرة على الأخلاق، شديد الوطأة على المتهورين من الشباب، وعلى من يعاكس النساء فيعاقبهم عقابًا رادعًا.

ولكل ولد من أولاد عبدالعزيز شخصيته المستقلة، وكلهم بارز ذو تاريخ مجيد في مكارم الأخلاق والأعمال الطيبة الكثيرة، وعدا امتيازهم على من سواهم، تفصح عنه أقوالهم وأفعالهم.

أما أحفاد الملك عبدالعزيز فقد بارك الله فيهم فكثَّر عددهم كثيرًا، حتى بلغ المئات أعرف بعضهم كما يعرفهم المجتمع لترداد أسمائهم وأخبارهم في الصحف، وكما تدل قطرة الماء على النوع كله يدل ذكر بعضهم على جميعهم، كما يدل النموذج على كل النوع.

فأبناء الملك سعود بن عبدالعزيز، وأبناء الملك فيصل، وأبناء الملك خالد، وأبناء الملك فهد، وأبناء الأمراء: محمد، وناصر، وسعد، ومنصور، وعبدالله، ومشعل، وسلطان، ونايف، وسلمان، وعبدالمحسن، وبدر، وفواز، وأحمد، وماجد، ومشاري، ومتعب، وطلال، وسطام، وعبدالرحمن، وتركي، وعبدالإله، وعبدالمجيد، ومقرن، وهذلول، ومشهور، وثامر، وممدوح، وحمود، أبناء الملك عبدالعزيز[١]، عدا أبناء بناته ورثوا من جدهم ومن آبائهم صفاتهم وطباعهم وخصائصهم فكانوا مثلهم أفذاذًا بعيدي المنال.

فالأمير عبدالله الفيصل (ابن فيصل بن عبدالعزيز، والأمير سعود الفيصل (ابن فيصل بن عبدالعزيز) وزير خارجية المملكة العربية السعودية، والأمير خالد الفيصل (ابن فيصل بن عبدالعزيز) أمير منطقة عسير، والأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، والأمير فهد بن

---

(١) لقد اعتمدت على الذاكرة في سرد أسماء الأمراء كما اتفق لها دون ترتيبهم حسب ميلاد كل منهم.

سلطان بن عبدالعزيز وكيل الرئيس العام لرعاية الشباب، والأمير سعود بن عبدالمحسن بن عبدالعزيز وكيل إمارة مكة المكرمة، والأمير خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز وكيل الحرس الوطني بالمنطقة الغربية بجدة، ومئات غيرهم من أحفاد الملك عبدالعزيز يمتازون مثل جدهم وآبائهم بمزايا تجعلهم متفردين بارزين، ومعذرة لمن لم أذكر أسماءهم.

وأكتفي بذكر الحفيد الكبير للملك عبدالعزيز، الأمير عبدالله الفيصل الذي عرفته منذ كان تلميذًا بالابتدائية بمدرسة الطائف في إجازة الصيف التي لا تقتصر فيها على الطائف وحدها بل تكون لأبناء المصطافين، وعرفته معرفة وثيقة منذ أن شغل منصب نائب نائب جلالة الملك عبدالعزيز في حكم الحجاز كله، وكان الملك فيصل هو نائب الملك، وعبدالله الفيصل نائب أبيه، وما كان فيصل ـ رحمه الله ـ يحابي في الحق قريبًا أو يجافي فيه بعيدًا، فهو لم يسند إلى ابنه هذا المنصب الأرفع وهو النائب المساعد إلا وابنه أهل له، وكان عبدالله حقًا أهلًا لهذا المنصب.

والنيابة العامة حكومة مهامُّها أكثر من المناطق كلها تبعة وأعمالًا، ومع أن الملك عبدالعزيز كان المسؤول المباشر عن حكم نجد كلها فإن مسؤولية نائب الملك في الحجاز كانت أكبر تبعة وأكثر مهام، فالوزارات كنَّ بالحجاز، وزارة المالية، ووزارة الخارجية، وكذا الأمن العام، والأوقاف، والمعارف كانت بالحجاز، كما كانت به السفارات والقنصليات، ومعنى هذا أن الحكومة بالحجاز، والنيابة مرجع كل الوزارات والإدارات، ويكفي لبيان عظم مهامِّ النيابة العامة مسؤوليتها عن الحج والحجاج والمعتمرين وزوار رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة.

فعمل عبدالله الفيصل كان خطيرًا كل الخطر، ومنصبه يحتم عليه أن يكون على علم بالأنظمة وبالشريعة الإسلامية وبأعمال كل دوائر الحكومة،

وكان سموه على علم وعلى فقه بكل تبعات منصبه الخطير، مع الأخلاق الكريمة، ولا غرابة فهو تربية عبدالعزيز وفيصل.

وكان من حظ عبدالله الفيصل أنه نشأ وربي على عين جده الملك عبدالعزيز الذي أضفى على حفيده من الحب والحنان والاهتمام ما لم يلقه منه أي حفيد من أحفاده، وبقيت هذه الصلة تتوثق بينهما حتى تحولت إلى ما يشبه الصداقة، إذ كان الجد يأنس إلى حفيده كما كان الحفيد يأنس بجده وإليه أكثر، حتى ارتفع بينهما التكليف بعض الشيء.

وزاد قدْر الحفيد لدى جده بعد أن صار عون أبيه في نيابة الملك بالحجاز، بل كلما كبر الحفيد كبر حب الجد له وإعجابه به.

وذات مساء كان الحفيد بالرياض شخص إليها من الحجاز يزور جده وصديقه، وبينا هما في سمر لطيف اجترأ الحفيد على أن يسأل جده عن سبب دخوله إلى الحمام ينظف جسده ويغتسل ويلبس ملابس جديدة غير ملابس النهار والعمل، فأجابه بصراحة الصديق للصديق: إن ابنة الناس التي تكون الليلة ليلتها الموعودة تنتظره وهي في أبهى حللها نظيفة متعطرة، أيصح أن يدخل وهو غير نظيف النظافة التامة التي تتكافأ مع نظافة من تنتظره واهتمامها، لهذا يدخل مخدعه وهو في الحال التي تحب المرأة من زوجها الذي يرجو منها أن تكون دائمًا مثل «العروس».

وهذا سؤال لا يجرؤ أن يسأله أي ابن أباه، وكذلك الأحفاد، إلا من يصعد منهم إلى مرتبة الصديق الرجل الوقور، وكان عبدالله الفيصل صديقًا لجده، ورجلًا وقورًا مع أنه في عنفوان شبابه.

فلقد بكرت الرجولة إلى عبدالله الفيصل بسبب نشأته وقضائه طفولته في كنف جده: وهي بالنسبة لعبدالله الفيصل كانت الرجولة إليه أسرع، حتى الزكانة والوقار والعقل يبدو فيه فوق سنه الحقيقية.

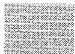
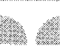
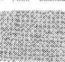
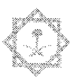
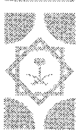
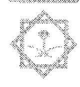
وفي آل سعود بعامة؛ وفي آل عبدالعزيز بخاصة شعراء، ولكنهم جميعًا ليسوا في مكانة عبدالله الفيصل الشعرية وشاعريته العظيمة المتدفقة، فهم شعراء محليون، أما عبدالله الفيصل فقد تخطى حدود بلاده وتجاوزها إلى العالم العربي كله، وصار بعض شعره يتغنى به العرب بعد أن غنت له أم كلثوم وعبدالحليم حافظ، بل ترجم بعض شعره إلى الإنجليزية والفرنسية، بل ترجم بعض شعره إلى اللغة الصينية وغيرها.

وعبدالله الفيصل كبير عندي وعند الناس، وتزداد كبارته على مر الأيام، وكلما ازددت به صلة وقربًا ازدادت رؤيتك له على حقيقته وحجمه، مثل الطود الشامخ لا ترى حجمه وأنت بعيد عنه، وكلما اقتربت منه تزداد عظمته لديك حتى إذا كنت بجانبه واقفًا على سفحه رأيت عظمته وشهرته.

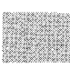
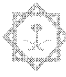
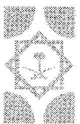
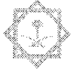
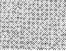
نعم، إن عبدالله الفيصل كبير في خلقه، كبير في أدبه وشعره، كبير في اطلاعه، كبير في إنسانيته، وسع قلبه الكبيرُ الناسَ، كما وسع بره الآلاف، فتعيش على فضله أسر لا تحصى، وتواضعه مَثَل نادر في كل عصر.

ولو أردت أن أكتب في عبدالله الفيصل الإنسان والأديب والشاعر والوفي، والكريم لاقتضتني أن أكتب عنه مئات الصفحات في الثناء على هذا الإنسان النموذج في خلائقه ومكارمه ومحاسنه.

وموجز القول في آل عبدالعزيز بنين وبنات وحفدة ذكورًا وإناثًا أنهم جميعا آل بيت كريم لا ينجب إلا نجباء أفذاذًا، نماذج في مكارم الأخلاق التي اجتمعت في زينة آل سعود وآل عبدالعزيز الأحباء ومفخرتهم بل مفخرة العرب والمسلمين الملك فهد ابن عبدالعزيز الذي ندعو الله أن يمد في عمره ويبارك في حياته ليغنم الإسلام والعروبة مزيدًا من الأمجاد تضاف إلى الأمجاد التي حققها لبني العروبة والإسلام، وما يزال يحققها لهم على مر الأيام.

تعليم فهد وثقافته



تعليم فهد وثقافته

أسس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة حرسها الله، وجعل له منهجًا غير مناهج المدارس الأهلية الكبيرة كالمدرسة الصولتية ومدرسة الفلاح إذ كانت مناهجها تحوي دراسة عالية ومتخصصة، ومن ذلك تدريس الفقه على المذاهب الأربعة، يُدرِّس صاحب كل مذهب فقهه، فقد كان الناس حريصين على مذاهبهم الفقهية، ومنهج تدريس العربية يحوي دراسة شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك بالفلاح والصولتية التي تزيد عن زميلتها بتدريس حاشية الصبان على الأشموني.

أما المعهد العلمي السعودي فقد كان منهجه عصريًا حديثًا يحوي الجبر والهندسة العملية والزراعة التي اختفت من المنهج بعد سنة من تدريسها، وأصول التدريس والتربية، مع تدريس قواعد اللغة العربية نحوًا وصرفًا، وتدريس الأدب العربي، وتفسير القرآن.

وقد أدخلني أبي المعهد العلمي السعودي مع ضمان دراسة خاصة للفقه، لأن المعهد لم يكن يدرس غير الفقه الحنبلي، وكنت حنفي المذهب فأتفق مع عالم يدرسني فقه الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله، إلى جانب علوم أخر.

وأذكر أن المعهد في أيامي فتح فصلًا جديدًا لتدريس الأمراء أبناء الملك عبدالعزيز دراسة خاصة ذات منهج خاص، وأذكر من بينهم الأمراء: الأمير (الملك) فهد، والأمير ناصر، والأمير منصور.

ولكن الفصل لم يبق مفتوحًا غير سنة دراسية ثم أغلق، لأن مدرسة

خاصة للأمراء فتحت بالرياض، وانتدب للتدريس بها خير المدرسين، ونقل إليها الأمراء الذين كانوا يدرسون بمكة المكرمة بالمعهد العلمي السعودي.

والحق، أن أولاد الملك عبدالعزيز كانوا أذكياء، مجتهدين ناجحين بجدارة، ولفت فهد أنظار مدرسيه بسمته الخاص ومواظبته وجده واجتهاده فلم يتأخر يومًا، بل كان يبكر في الحضور إلى مدرسته استعدادًا لتلقي العلم، ويرى المدير والمدرسين قد سبقوا، فينتهز فرصة ما قبل بدء الدراسة فيمضي إلى غرفة المدير والأساتذة، ويسألهم في موضوعات أعد الأسئلة فيها، ويبتهج كثيرًا عندما يتزود بجديد من العلم، وكان أساتذة تلك الأيام كرماء يبتهجون بتلميذهم الطُّلَعَة، ولا يضيقون بمراجعاته وأسئلته.

تعلم فهد في المعهد العلمي السعودي ثم في مدرسة الأمراء وحصل على شهادتها وتخرج منها في أول دفعة حاصلاً على شهادتها الابتدائية التي كانت تمنحها المدرسة تلك الأيام.

ووصف الشهادة بالابتدائية هبوط بقدرها، لأنها في حقيقتها أكبر من ذلك الوصف بكثير، بل تتجاوز الابتدائية إلى ما فوق التوجيهية حتى إن بعض العلوم التي تُدرَّس فيها تكاد تكون من دراسات التعليم العالي.

وعندما يسمع الناس أو يقرؤون أن الأمير فلانًا يحمل الابتدائية يحسبون المستوى خفيضًا والمحصول يسيرًا، لأنهم يزنون الابتدائية بما يعلمون من كيفها وكمها المعروفين لديهم، ولهذا اضطر من كان يتولى مدرسة الأمراء بالرياض ويدرس بها العلامة الكبير أستاذي الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط[1] إمام المسجد الحرام وخطيبه إلى تصحيح ذلك المفهوم الخاطئ عن الشهادة الابتدائية التي تمنحها مدرسة الأمراء.

---

(١) كان الشيخ الخياط أستاذًا بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، ودرسنا عليه القرآن الكريم وبعض العلوم الأخرى في سنة ١٣٥١هـ ثم انتدب للتدريس بمدرسة الأمراء بالرياض أول ما أسست، وبقي بها المدرس الأول لحوالي عشر سنوات.

ولقد أحسن الشيخ الخياط كعادته دائمًا فيما صنع من التصحيح في مقال له منشور بجريدة «المدينة المنورة»[1] في حلقة من سلسلة مقالاته العظيمة تحت عنوان «لمحات من الماضي» الحلقة الثالثة والأربعين تحت عنوان فرعي (واقع مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز) وها هو ذا نص قوله:

«تقدم في لمحة (٣٠) أن ولي العهد (الملك سعود يرحمه الله) وزع الشهادات الابتدائية على الأمراء المتخرجين.

وبهذه المناسبة كان لزامًا من الكشف عن واقع هذه الشهادات، إنها ابتدائية في عرف نظام التدريس، ولكنها في واقعها ترتفع كثيرًا عن مستوى الابتدائية بمراحل، ذلك أن المنهج الذي وضع للمدرسة لم يكن ابتدائيًا يسير طبق مقررات المنهج الابتدائي، بل هو أرفع بكثير منه، ففيه الكثير من مواد المنهج الثانوي، والبعض من المنهج العالي، لم يكن في المنهج الابتدائي مادة اللغة الإنجليزية ولا إلماعة عن الأدب العربي ولا الخطوات الواسعة في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، ولا غير ذلك مما كان مقررًا في منهج مدرسة الأمراء الذي رسمه بأمر جلالة الملك مدير المعارف العام بالاشتراك مع رئيس الشعبة السياسية الشيخ يوسف ياسين، ولنضرب مثلًا لمنهج الأمراء بالمقررات في المواد الآتية:

١ ـ العقيدة - كتاب كشف الشبهات ولمعة الاعتقاد فكتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد.

٢ ـ الفقه - عمدة الفقه مع أبواب من كتاب الروض المربع.

٣ ـ التفسير - تفسير ابن كثير لبعض آيات الأحكام.

٤ ـ الحديث - بلوغ المرام متنًا مع كتاب رياض الصالحين.

---

(١) العدد ٥٩٩٣ الصادر في يوم الثلاثاء ١٥ من ذي القعدة ١٤٠٣هـ .

٥ ـ التاريخ الإسلامي سيرة ابن هشام - الخلفاء الراشدون - الأمويون والعباسيون.

وقس على ذلك المقررات في المواد الأخرى، لذلك كان جلالة الملك يرحمه الله كثيرًا ما يتوعد أنجاله كلما بدر من أحدهم الزهو والغرور بحصيلته العلمية، يتوعدهم بقوله:

«أنا لا أصدق كل هذا حتى أحضر بنفسي إلى المدرسة وأحضر معي الكتب الكبار فأسألكم عن المسائل الصعبة»، ويقول أيضًا: «سوف أحضر لكم المشايخ الكبار يسألونكم عن المسائل الصعبة الكثيرة»، ولم يكن ذلك إلا عن دراسة واسعة الأبعاد لا تقتصر على المقررات الابتدائية، وإذن فلم تكن الشهادة الابتدائية كجواز سفر من المدرسة، وإنما كان جواز السفر من المدرسة هو الزواج، يدخلها الطالب منذ نعومة أظفاره ويتدرج في حقل التعليم حيت يحين يوم زواجه، وعندئذ يغادر المدرسة وقد كسب حصيلة علمية أقل ما يقال عنها إنها فوق المستوى الثانوي بكثير وإن لم تكن في كل العلوم والفنون، وإذن فقول البعض إن مدرسة الأمراء لم تنتج غير طلاب في المرحلة الابتدائية قول مجانب للواقع والحقيقة.

وإن من حق كل متخرج من مدرسة الأمراء أنجال الملك عبدالعزيز ألا يدور بخلده أنه لا يحمل غير الشهادة الابتدائية، فذلك غمط لحقه وإهدار لحصيلته العلمية والجهود العظيمة التي قضاها بين غرف الدراسة سنوات طويلة مديدة منذ نعومة أظفاره إلى أن بلغ مبلغ الرجال، وهبوط أيضًا بمستوى المدرسة التي كانت تنتج إنتاجًا عظيمًا كونت به رجالًا أصبحوا في مستوى المسؤوليات العظيمة.

هذه كلمة كان لزامًا للمسؤول الأول في مدرسة الأمراء تسطيرها لتقرير الواقع، ولتدخل في إطار هذه اللمحات التي عنيت عناية خاصة بكل الأدوار التي قطعتها في حياتها مدرسة الأمراء، وسجلت الكثير من نشاطها

في مناسبات مختلفة، والكثير أيضًا عن تحصيل الأمراء وعناية والدهم يرحمه الله بتوجيههم إلى العلم وتثقيفهم ثقافة يحرزون بها سعادة الدارين.

رحم الله الملك عبدالعزيز ورفع درجاته في عليين، ونضرع إلى الله سبحانه أن يستجيب فيه دعاءنا ويكرمه بما يكرم به عباده الصالحين لقاء ما قدم للأمة عامة ولأنجاله خاصة من خير سابغ، وأن يرحم من لحق به من أنجاله الملك سعود والملك فيصل والملك خالد، ويحفظ للأمة من حمل الأمانة بعدهم جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز، وأن يمد في عمره ويبقي للأمة آل سعود الغر الميامين عضدًا للدولة وسياجًا منيعًا للإسلام والمسلمين، إنه أكرم مسؤول».

ولا شك أن من يدرس الدراسة التي أتاحتها مدرسة الأمراء لطلابها يحصل في علم غزير وثروة علمية تؤهله لأن يتولى التدريس، وتجعل منه طالب علم مبرزًا، وقد تجعل منه عالمًا.

وبالنسبة للملك فهد فمنذ نعومة أظفاره كان مولعًا بالقراءة والاطلاع الواسع، لا شغله عنهما شاغل حتى إذا تخرج من المدرسة لم يُودِّع بها طلب العلم، وإنما أطلَّ على عالم القراءة الرحيب بكل نفسه، وبلغ من نهامته في العلم أنه كان يطلع على الصحف العربية وبخاصة المجلات الأدبية والعلمية الجادة مثل مجلة الرسالة والثقافة والهلال والمقتطف اللاتي كان يكتب فيهن عمالقة الأدب الحديث وأساطينه وعباقرته كالعقاد والمازني وطه حسين ومحمد حسين هيكل وعبدالرحمن شكري وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين وأساتذة الجامعة المصرية.

وكان إذا رأى إعلانًا في تلك الصحف عن كتب صدرت بادر إلى اقتنائها وقراءتها وكثيرًا ما كانت تشغله عن طعامه ومتنزهاته.

وكان من نهامة فهد في القراءة والاطلاع أنه كان يقرأ ما يصل إليه من كتب في مختلف فنون المعرفة والعلم والأدب والسياسة والاقتصاد

والاجتماع، وإن كان مِن آثر الكتب لديه دواوين الشعر وكتب الأدب العربي قديمه وحديثه، والتاريخ، ولم يفته الاطلاع على ما يترجم إلى العربية من الأدب العالمي.

ففي التاريخ - مثلًا - قرأ البداية والنهاية لابن كثير من أوله إلى آخره قراءة فقه واستيعاب، إلى غيره من كتب التراث في حقل التاريخ مضيفًا إليها كتب التاريخ لمؤلفين عصريين.

ومن عشق فهد للكتب كانت خير هداياه، ولم يكن بمكتبته الحافلة كتاب للزينة، بل كل كتاب لديه للقراءة التي هي غذاؤه الضروري، فجسم الإنسان عنده وعند أمثالنا مفطور من جسم وروح، ولكل منهما غذاؤه، الطعام للجسم، والقراءة غذاء الروح، وكان يعبر عن عشقه الكتاب ببيت المتنبي الذي كان يردده:

وخير مكان في الدُّنى سرجُ سابح   وخير جليس في الزمان كتابُ

وكانت عنايته بالكتاب عظيمة وحرصه عليه أعظم، حتى صارت الكتب خير حزائره[١] عنده، وكان ذات مرة في مقابلة لي معه يريني كتبًا اشتراها وذكر لي: أن غرفة نومه تحوي مكتبة صغيرة، ولا يستطيع أن ينام إلا بعد أن يقرأ ساعة أو أكثر حتى إن القراءة تسحره وتنسيه الوقت.

وكان ذات مرة ببيروت فزرته بالفندق الذي ينزل به، ورأيت بغرفة استقباله كتبًا جديدة، فسألني عما صدر منها فذكرت بعضها مما لم تكن لديه، فبعث من فوره من يشتريها له، وهذا برهان عشقه للكتاب وجد القراءة.

ولهذا كان الملك فهد واسع الاطلاع، وقد ذكرت في ترجمتي لبروتوكولات صهيون[٢] بالمقدمة التي كتبتها:

---

(١) الحزائر: جمع حزيرة وهي خيال المال.

(٢) الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).

«في صيف سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) بالطائف حضرت المجلس العام للملك العبقري الشهيد فيصل رحمه الله، ومجلسه مجلس خلق وعلم وأدب، ودار البحث في «بروتوكولات صهيون» - وسأل الملك: أهناك ترجمة غير ترجمة الأستاذ التونسي؟ فأجابوا بأنها هي الترجمة الوحيدة، فقال الملك: إن هذه الترجمة حديثة، فقد طبعت سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) وأنا أذكر أنني قرأت في سنة ١٣٥٩هـ (١٩٣٩م) ترجمة هذه البروتوكولات.

«وقال أحد الحاضرين - ولم يكن سعودياً -: إن العرب لم يعرفوا البروتوكولات إلا نتفاً ترجمها بعض الكتاب والصحفيين، أما الترجمة الكاملة فهي للتونسي.

وكان الأمير فهد بن عبدالعزيز وزير الداخلية والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء - في ذلك الوقت - حاضرًا فقال: إنني أذكر أن هناك ترجمة قديمة بقلم الخوري أنطون يمين، ولعلها هي الترجمة التي اطلع عليها طويل العمر (يقصد جلالة الملك فيصل)».

«وقلت: للبروتوكولات أربع ترجمات هن:

أولاً: الترجمة التي اطلع عليها الملك فيصل سنة ١٣٥٩هـ وأشار إليها الأمير فهد، وذكر أنها بقلم الخوري أنطون يمين، وهو حق، ولعلها ترجمت قبل اطلاع جلالته عليها ببضع سنوات[1].

---

(١) نشرت هذه الترجمة تحت هذه العناوين وعلى هذا الترتيب:

المؤامرة اليهودية على الشعوب

المقررات الصهيونية

أو مضابط الجلسات السرية لحكماء إسرائيل

وجاء في الغلاف وصفحة الكتاب الأولى: نقلها عن الإفرنسية الخوري أنطون يمين، وفي الذيل جملة «طبع في مصر» ولم يذكر اسم المطبعة ولا سنة الطبع، ولكني رأيت نسخة من ترجمة الخوري سنة ١٩٣٦م (١٣٥٧هـ).

ثانياً: ترجمة بقلم فريديريك زريق، ولا أذكر تاريخها، وقد نشر ملخصها بمجلة «الرسالة» القاهرية سنة ١٩٤٨م، وإخالها في أواخر الثلاثينيات أو أول الأربعينيات.

ثالثاً: ترجمة الأستاذ محمد خليفة التونسي المطبوعة سنة ١٩٥١م.

رابعاً: ترجمة الأستاذ عجاج نويهض ونشرت سنة ١٩٦٧م»[(١)].

ورأيت في وجه الملك سروراً، وسألني: ألم يترجمها سعودي؟

فأجبته: كلا، مع أن بين السعوديين من تخرجوا من بعض جامعات بريطانيا وأمريكا، وفيهم من يتقن الإنجليزية ويكتب العربية كتابة رائعة، إلخ.

وبرهان ثقافة الفهد الواسعة وعلمه واطلاعه حواره العلني مع طلبة الجامعات السعودية وأساتذتها وعمدائها ومديريها وأحاديثه للصحافة السعودية والعربية والإسلامية والعالمية والتلفزيون، وحديثه المرتجل في مجلسه العام والخاص، ومناقشاته، ونقده.

وإنه لآية في الفصاحة وحسن المنطق، وتلك من خصائص أولاد الملك عبدالعزيز، فكلهم في الفصاحة سواء، ويختلفون في العلم وأنصبة كل منهم منه، وإن الملك فهداً من أفصحهم وأعلمهم، ومصداق فصاحته وعلمه

---

(١) هناك ترجمة خامسة صدرت في مصر، وطبعت بالقاهرة بمطابع دار التعاون للطبع والنشر، وليس على الكتاب تاريخ طبعه، كما خلت المقدمة نفسها من أي ذكر لتاريخ، وإن كنت أخمن أنها صدرت بعد سنة ١٩٦٧م.
وقام بالترجمة شوقي عبدالناصر شقيق الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.
وقيل لي: إن هناك ترجمة أصدرتها إدارة الاستعلامات المصرية، ولم أطلع عليها، ولا أدري صحة هذا القول.
أما الترجمات الخمس فقد اطلعت عليهن، وعندي منهن أربع، وهي: ترجمات الخوري أنطون يمين، والتونسي، وعجاج نويهض، وشوقي عبدالناصر.
(هذا الهامش منقول مع المتن من المقدمة)

وثقافته الواسعة حواره في أحرام الجامعات السعودية التي حاورته حوارًا، فقد أعد الأساتذة والطلاب أسئلة أعدوها إعدادًا تناولوا فيها موضوعات جدّ مهمة وعظيمة في العلوم والآداب والفنون المختلفة والاجتماع، فأجاب عن كل أسئلتهم في صدق وصراحة ووضوح، فما ضاق بسؤال، ولم يتهرب عن جواب، حتى إذا نفد ما أعدوا من الأسئلة وما ارتجلوا، وفرغت الجعاب أعطاهم فرصًا للتذكر ليجيبهم عن مزيد من الأسئلة إن كان لديهم مزيد، فضجوا بالهتاف والتصفيق اللذين لم ينقطعا حتى غابت سيارته عن أنظارهم لتستقبله جماهير الشعب التي سمعت مقولاته من مكبرات الصوت والإذاعة والتلفزيون بهتاف وتصفيق شديدين.

ولم يسعدني حضور أحورته في جامعة البترول والمعادن بالدمام وجامعة الملك سعود بالرياض لبعدهما عن بلدي مكة المكرمة حرسها الله وحرسنا، ولا حضور حواره مع طلاب الملك عبدالعزيز بجدة لأسباب صحية مع حرصي على الحضور، إلا أنني تتبعت باهتمام لا مزيد عليه حواره المعروض على شاشة التلفزيون الذي دام بضع ساعات، فما بدا عليه ملل أو كلل، لأن الأب البار لا يضيق بأبنائه وأسئلتهم، ويسر المرء بغرس يده وبخاصة وقت الحصاد.

ولما أعلنت وسائل الإعلام أن الفهد سيحضر إلى جامعة الملك عبدالعزيز بجدة عزمت على الحضور وأعددت سؤالًا مكتوبًا لأعطية أستاذًا بالجامعة أو طالبًا ليلقيه على جلالته باسمي، لأنه لا حق لي في السؤال ألقيه، إذ الحوار خاص بالجامعة أساتذتها وطلابها، وما أنا منهم إلا أن حالتي الصحية حالت دون ذلك، فاكتفيت بالتلفزيون أشهد وأسمع كما سبق لي الشهود في حوار جامعة البترول والمعادن بالدمام وجامعة الملك سعود بالرياض.

ومن شهدوا حوارات الملك فهد في التلفزيون وسمعوه تأكدت لهم

فصاحته، وسرعة بديهته، وغزارة علمه، وسعة آفاقه، وحسن منطقه، ونصاعة حجته، ولعل مشاهديه في التلفزيون أصدق حكمًا من حضور حواره الذين لا يملكون ـ وهم في تلك الحالة ـ أن يحكموا بالعدل وهم واقعون تحت تأثير الحفلات العامة التي لا تُمكِّن الإنسان من التفكير الحر السليم من عدوى الجماهير.

وحكمي بعد شهودي الملك فهدًا غير مرة في التلفزيون في حواره حكم فرد حر مستقل سليم من عدوى الجماهير، إنه حديث لبق فصيح، ومحاور بارع، ومعبر بليغ، ذو ذهن مرتب.

وما أكثر ما جمعني به مجلس خاص مختصر وهو وزير معارف ثم وزير داخلية، ثم نائب رئيس مجلس الوزراء الثاني فإذا حديثه ينم عن ذكاء وألمعية وعلم ومنطق.

ومهمة الملك في المملكة العربية السعودية غيره في غيرها، فمثلًا ملكة بريطانيا امرأة متعلمة تعليمًا راقيًا ومثقفة ثقافة عالية، ومتابعة لما يجد في هذا العالم من آراء وأفكار ومذاهب اجتماعية وسياسية ودينية، وكل ذلك لشخصها وحدها ولا أثر له في غيرها، لأنها ملكة رمز، تملك ولا تحكم، ولها الحق في إبداء رأيها كأي فرد في الشعب البريطاني، إن الملكة البريطانية رمز منصوب يجتمع حوله الشعب ويلتف به ويحبه، لأن الملكة لا تدخل في الخصومات طرفًا أبدًا مثل رئيسة وزراء بريطانيا التي تعيش في حلبة الصراع والخصام، ويتناولها خصومها بالنقد والتجريح كما تتناولهم هي نفسها بالنقد والرد والتجريح، وشيء من هذا لا يمكن أن يحصل مع الملكة المنزهة المترفعة الطيبة مع كل أفراد شعبها الذين يحرصون على أن تكون كذلك ضمانًا للحب المتبادل بين الملكة وشعبها، ولو كانت تملك وتحكم لدخلت في صراع الأحزاب والخصومات السياسية التي لا يؤمن جانبها.

أما ملك المملكة العربية السعودية فيملك ويحكم ويتصرف في كل أمور الدولة، ومسؤول عن كل كبيرة وصغير، وعن الصواب والخطأ، مسؤول عن

كل أفراد شعبه الموزعين على رقعة المملكة الواسعة البعيدة أطرافها، ومسؤول إلى جانب ذلك عن مئات الآلاف من عمار بيت الله في شهر رمضان المبارك، ومئات الآلاف من زوار الرحيبة للمدينة المنورة زادها الله شرفًا وتعظيمًا وصلى على نبيه وآله وصحبه وسلم، ومئات الآلاف من حجاج بيت الله الحرام من غير السعوديين، مسؤول عن تهيئة السكن في المدينة وجدة ومطاريهما ومكة المكرمة حرسها الله، وعن طرق حجاج البر الوافدين من جهات المملكة العربية السعودية وأمنهم وضمان سلامتهم وطعامهم وشرابهم وصحتهم وعلاجهم وإسعافهم وإيواء الضائعين منهم، وعن الزيارة والعمرة والحج لمئات الآلاف بل لحوالي مليونين من البشر يزدحمون في وقت واحد، حتى إنهم يحتاجون في يوم عرفة أو في كل يوم من أيام التشريق إلى عشرة ملايين رغيف وإلى ملايين الصفائح من ماء الشرب إلى غير ذلك من آلاف الأطنان من ألوان الطعام كاللحوم والخضروات والفواكه.

كل ذلك وغيره مسؤول عنه ملك المملكة العربية السعودية مباشرة، فإذا مات حاج أو معتمر أو زائر أو سائح أو متعاقد أجنبي للعمل بالمملكة علم به الملك أولًا فأولا، ويستطيع ورثة الميت الأجنبي سؤال الملك في رسالة أو برقية ولو كانوا في أقصى الأرض، وسيتلقى الجواب سريعًا، وهو مستعد لتلقي شكاوي كل الوافدين إلى المملكة ودعاواهم ومطالبهم لإنصافهم.

ونحن ـ السعوديين ـ نعرف ذلك حق المعرفة، ولكن غيرهم يشكون أو لا يصدقون، أو على الأقل يستغربون ويسألون: كيف يعرف الملك كل ذلك؟ وهل يجب أن يعرف هو نفسه؟ ونجيبه: نعم، وهذا هو الشرح.

كل قطر مقسم إلى محافظات ومديريات أو إمارات ومشيخات هي إمارات صغيرة أو وسط أو كبيرة بحسب تعداد القبائل والعشائر، ففي المدن كل مدن المملكة الكبيرة والصغيرة إدارات شرطة بكل أقسامها من مباحث ومرور وسجون وتنفيذ وحقوق إلخ.

فإذا وقعت واقعة أسرعت الشرطة وحققت ورفعت خبرًا عن الواقعة بمجرد الوقوع للإمارة، وترفع الإمارة برقية للملك نفسه أنى كان، فما يمضى اليوم إلى وهو محيط بكل ما يقع فورًا مما يصل العلم به إلى الشرطة أو من ينوب منا بها أو الإمارة أو شيخ القبيلة.

وأذكر قضية وقعت تحت سمعي وبصري، جاء حاج من لبنان واستقبله وكيل المطوف بمطار جدة، ونقله مع بتاته[1] معززًا مكرما إلى المطوف بمكة، واستقبله بحفاوة حتى قبض ما له بذمته من حقوق مضاعفًا مع أجور وقيم مضاعفة، وأساء معاملة الحاج وأخذ منه بضعة آلاف من الريالات بدون حق وغشه واستغل شيخوخته وغناه، وآذاه، ولم يقدم له أي عون هو حق للحاج عند مطوفه الذي يقبض ثمن خدماته له، فلما عاد إلى بلده بعث رسالة شديدة للملك فيصل ـ رحمه الله ـ قال لها فيها من جملة ما قال: «إنك - يا صاحب الجلالة - تقف أنت وإخوتك وأولادكم في عرفات ساعة النفرة تخدمون حجاج بيت الله، وتخليتم عن كل عمل لكم وعن راحتكم لتفرغوا لخدمة الحجاج، تقفون في الشمس والغبار وتتحملون دوي السيارات لتضمنوا راحة وفود بيت الله، ولكن المطوف (وذكر اسمه) شوه سمعة بلاده وحكومته وسمعتكم بما فعل معي» إلخ.

واهتم الملك فيصل بشكوى الحاج - وذلك شأن جلالته في كل شكوى من أي امرئٍ كان - فما كان من المطوف إلا أن طار إلى الحاج في بلده واستسمحه حتى نزل عن دعواه، ومع ذلك عاقبه الملك ـ رحمه الله ـ عقابًا شديدًا.

وما أكثر ما تلقى الملك فهد عندما كان وزيرًا للمعارف ثم وزيرًا للداخلية، ثم وليًا للعهد ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء (الملك) شكاوى ودعاوى من خارج بلاده ومن داخلها وما يزال يتلقى، وموقفه الذي لم يتغير وهو ملك أيضًا اهتمامه بكل ما يتلقى، وتقترن باهتمامه سرعة إجابته.

---

(١) البتات: بفتح الباء: جهاز المسافر.

ونظام الحكم في الإسلام الذي تتبعه المملكة العربية السعودية هو ما قرره أمير المؤمنين وسيد المسلمين عمر بن الخطاب ﷺ الذي قال: لو أن دابة في أقصى العراق عثرت لكان عمر مسؤولًا.

ومؤسس هذه المملكة الملك عبدالعزيز وأولاده الذين ملكوا من بعده وما زالوا يملكون ويحكمون يرون أنفسهم مسؤولين عن كل أفراد شعبهم، ولهذا إذا كانت لمواطن حاجة أو رأي بادر بالكتابة إلى الملك الذي يهتم بها، فإن كانت الكتابة في حق له عند أحد أو مظلومًا انتصف له، وإن كان راغبًا منه في عون أجابه، وإن كان ما قدمه اقتراحًا بفتح مدرسة في حي بحاجة إليها أو مسجد بادر بالإجابة، وإن كان راغبًا في علاج في خارج المملكة، في أوربا أو أمريكا أسرع بإصدار الأمر بعلاجه مع مرافق له.

ويجب أن يكون ملك المملكة العربية السعودية على علم واسع بشريعة الإسلام، لأنه مسؤول عن الحكم والقضاء، ولا يُنَفَّذ أمرٌ من المحاكم في الأمور العظيمة إلا إذا صدقه الملك، وإذا صدر أمر من محكمة على أحد ولم يقتنع المحكوم عليه به وجد الملك ينصفه، ويدرس القضية ويتحرى مجرياتها وأسباب الحكم، فإن ظهر له غير الحق عمل للحق، إمَّا أن يمضي هو نفسه في التحقيق رجاء الوصول إلى الحق، أو وَكَّل إلى رجل أو رجال يطمئن إلى عدالتهم ونزاهتهم ليدرسوا ويحققوا ويستوفوا التحقيق ثم يرفعوا إليه النتيجة التي يتحراها جلالته وينفذ ما يظهر له من الحق.

وليكون القارئ على بينة من الأمر أقول: إن الملك عبدالعزيز وكُلَّ أبنائه الذين ملكوا وحكموا، أو مَن يملك ويحكم، وأبناءه الذين يحكمون ممن يتولون بعض الوزارات أو إمارة مناطق المملكة على قدر كبير من العلم والفطنة.

وأذكر ما سبق لي قوله في كتابي «صقر الجزيرة» ٧/ ١٤٢٥ ـ ١٤٢٧:

«وحضر إلى مجلسه ذات مرة عالم من علماء مكة حرسها الله فصافحه

مع المسلمين، ثم أخذ مكانه بعيداً عنه، وبدا عليه بعض الارتباك لاحظه الملك ولم يدر سببه، ثم نهض العالم إلى المليك يريد أن يحدثه، فاستقبله بترحاب، وأجلسه بجانبه، ولكنه لم يستطع أن يتحدث إليه، وسأله الملك فأجابه: لا شيء، وسلم على الملك مودعًا وغادر مجلسه.

وأدرك الملك الملهم أن الرجل في حاجة، ومنعه الحياء من ذكرها، فأمر أحد رجاله أن يزور العالم في بيته ويسلمه مع تحيات الملك «صرة» من الجنيهات الذهبية.

وكانت فراسة الملك في موضعها، فقد كان ضائقة أراد من الملك تفريجها، ومنعه الحياء فخرج كاسفًا.

ويعرض عليه في المجلس العام قضايا ومعاملات وأحكام رسمية للتصديق عليها، وذات مرة قدمت له أوراق قضية حكم فيها قاضي الشرع بإعدام قاتل، وأريد من الملك التصديق عليها للتنفيذ، فقرأ الحكم وأنكره، فالمحكوم عليه قاتل حقاً، ولكنه غير مجرم، وما دام غير مجرم فلا يحكم عليه بالقتل.

والحادثة: أن جنديًا تفقد زوجته ففقدها، وأخذ يبحث عنها حتى عثر عليها بسكن جندي آخر، فداهمه فإذا الزوجة لديه، فأطلق عليهما الرصاص وقتلهما، وسلم نفسه، ودُفع به إلى المحكمة الشرعية، فسألته فاعترف بالقتل، وحكم القاضي عليه بالقصاص، فلم يستنكر، ولم يعترض، وتقبله فخورًا بأنه ثأرَ لشرفه الجريح، وانتقم من طاعنيه.

فلما عرضت الأوراق على ابن سعود وقرأها تجهم وجهه، وصاح فيمن جاءه بها يريد منه التصديق على الحكم والأمر بتنفيذه: ما هذا الحكم؟ وأمر بإحضار القاضي، فحضر بعد دقائق، وأخذ يحاكمه في المجلس العام، وخطأه في حكمه، وأراه خطأه، ولامه على تسرعه وغفلته عن دوافع القتل وأسبابه، وقال ابن سعود بصوته الجهوري في تأثر بالغ: روى الإمام البخاري في صحيحه أن سعد بن عبادة قال: يا رسول الله، لو وجدت مع

أهلي رجلًا لم أمسه حتى آتي بأربعة شهداء ؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم» قال: كلا، والذي بعثك بالحق، إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك! قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني».

وكان العلامة الجليل الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف حاضرًا، فأمره الملك أن يصحب القاضي إلى المحكمة ويحضر السجين ويطلقه بعد مكافأته.

وأحضر السجين وقال له القاضي: لقد عفا الملك عنك، وأمر بأن تُعطى كسوة ومنحة وأن تكرم!

فانبرى الشيخ ابن مانع للقاضي ورد عليه: إن الملك لم يعف عنه، بل حكم في أمره بشرع الله الذي كان أعلم به منكم، وقد حماه من جهلكم بالشرع، وأنقذه من حكمكم العسوف!

وصدق ابن مانع؛ فابن سعود أعلم بالقضاء الحق من القضاة، وهذه الحادثة وأمثالها تدل على علم ابن سعود وفقهه، وقد أعجب العلماء والفقهاء الذين حضروا هذا المجلس بفقه ابن سعود، وكان أعجابهم أكثر بفطنته وذكائه الخارق وعبقريته الفقهية.

«وحضر إلى مجلسه بدوي وقال له: يا عبدالعزيز، أنصفني من ابن لك ضربني، فسأله عن اسمه فلم يعرف، وسأله عن عمره بالتقريب، فذكر له، فأمر بإحضار أبنائه في تلك السن أو ما حولها، فحضروا، وهمس بعض الحاضرين في أذنه لئلا يفصح عن ضاربه، فتردد، ولكن ابن سعود شجعه فأشار إلى ضاربه، فعزله عن إخوانه، وناول البدوي عصًا ليقتص من ابنه، فقال البدوي: حسبي هذا، وعفوت عنه، فنهض الملك إلى ابنه واقتص منه، ولم يتركه إلا بعد أن أمسك البدوي بيد الملك».

هذا مجلس ابن سعود، وهو حافل ـ كما يرى القارئ ـ بكل صنوف

الخير والفضل، وليس فيه من مجلس الملك إلا الوقار والهيبة، ويفضله بأنه مجلس لا يرد فيه غير الحق والعدل والإحسان والعلم والأدب، ويزينه تواضع الملك العظيم الذي يرفع به العامة ويدنيهم من قمته الشامخة، ليشعروا بحقٍّ أن الإسلام سوَّى بين الملك والسُّوقة، ثم لا فضل بينه وبينهم إلا بالتقوى، وهو - إن شاء الله - من المتقين».

هذا هو ابن سعود: الملك عبدالعزيز في ذكائه النادر، وعلمه بالشريعة، وقضائه بالحق، وكذلك كان الملك سعود والملك فيصل والملك خالد أبناء عبدالعزيز رحمهم الله، والملك فهد - مد الله في عمره - الذي حضرت له مجالس كثيرة منذ أن تخرج من مدرسة الأمراء وتقلب في مناصب رفيعة حتى صار ملكًا.

وكانت ترد إليه معاملات من مختلف الوزارات والمحاكم ودوائر الشرطة والإدارات المختلفة والمؤسسات والشركات كان يأخذها معه إلى منزلة ليتفرغ للتوقيع عليها بعد الاطلاع والدراسة، وما أكثر ما قوَّم معوجها، وأصلح فاسدها، وصحح خطأها.

ولهذا كانت مسؤولية ملك المملكة العربية السعودية عظيمة، ومهامه كثيرة وصعبة، فهو مكلف بأن يكون على علم واسع بالشريعة الإسلامية التي تحكم المملكة ملكًا وحكومة وشعبًا حكمًا صحيحًا عادلًا، وعلى علم بالنظم والقوانين وما جدَّ في هذا العصر من آثار حضارته مما لم يكن له فيما سبق من العهود وجود كالجديد في بيع المعاطاة وأنواع البيوع الأخرى والعقود.

نعم، إن الملك السعودي مضطر لأن يكون على علم تام أو ملمًا - على الأقل - بما يتصل بالزراعة والمزارعين وبالحرف والحرفيين وبكل صاحب حرفة وصناعة، وبالأعراف والنظم والقوانين كنظام العمل والعمال ونظام التأمينات الاجتماعية وغير ذلك، لأن الملك يستقبل شكاوى ودعاوى في مختلف القضايا والأحكام، فهو مضطر أن يتابع التطور وما يجدُّ.

ونظام الحكم في المملكة العربية السعودية يجعل باب الملوك مفتوحًا للجميع من أفراد شعبه ومن غيرهم ممن يعيشون في بلاده من الأجانب يلقونه متى أرادوا وسمحت لهم أوقاتهم، ويعرضون عليه أحوالهم ومطالبهم وشكاواهم رجاء الفصل فيها من جلالته، ويجدون منه الاستماع وفصل الخطاب.

ورأيت الملك كثيرًا في مجالسه العامة التي يستقبل فيها كل راغب في زيارته بمكتبه أو بقصره الذي يكون بابه مفتوحًا على مصراعيه، لا يرده بواب ولا حاجب، وقد يقدم له أحد زائريه ورقة بها بضعة سطور، وينتظر منه الجواب، فيقرأ الرسالة في ثوان، ويتظاهر بالقراءة التي انتهى منها يفكر في الجواب الفصل.

واقترح بعض الوزراء على الملك فيصل ـ رحمه الله ـ بحضور إخوته خالد وفهد وعبدالله وسلطان ونايف وسلمان وتركي أبناء عبدالعزيز ألا يشغل نفسه هو أو إخوته الذين يشغلون المناصب الرفيعة بكل الشكاوى و«العرائض» التي يقدمها أصحابها لهم مناولة أو بالبريد، بل تحول كل عريضة إلى الجهة المخصصة بموضوعها، فما كان موضوعها زراعيًا تحال لوزارة الزراعة وهكذا، لأن الحكومة لم تنوع الوزارات والإدارات إلا لتتوزع على كل جهة ما يتصل بها ويتفرغ الملك للسياسة العليا والقضايا الكبرى المهمة مما يعد من اختصاصه، وكذلك الأمراء، لأن في رضاهم واستعدادهم لتسلم كل عريضة مناولة أو بريدًا يضيع عليهم أوقاتهم، ويكلفهم من الأمور أشد العسر.

ولم يرض الملك فيصل الاقتراح ورفضه رفضًا، وأجابهم: لو أن أحدًا شكا وزيرًا وأحلت إليه الشكوى منه أتراه ينصف من نفسه ؟ كلا، وإذا نفذنا هذا الاقتراح نكون قد عزلنا أنفسنا عن أفراد الشعب الذين بايعونا على المنشط والمكره، وقام بيننا وبينهم سد متين، وهذا ليس من

الإسلام الذي قرر أن المسلمين جسد واحد، وإن الإسلام فرض على من بيده السلطة سواء أكان خليفة أم أمير المؤمنين أم ملكًا أم رئيس جمهورية أن يكون مستعدًا دائمًا لخدمة كل أفراد شعبه، يسمع لهم، ويتفهم أمورهم، ويتفقدهم، ويُصغِي لشكاواهم ودعاواهم، وينصفهم ولو من نفسه، ويكون بابه مفتوحًا لهم، وأن يكون طريقهم إليه سهلًا، وإلا فليعتزل.

وكذلك كان مؤسس هذه الدولة الملك عبدالعزيز يفهم الملك فهمًا إسلاميًا صحيحًا، وربى أبناءه على هذا الفهم، فلم يقبل الملك سعود أن يتفرغ لما يسمى السياسة العليا، وكذلك الملك فيصل الذي رد على بعض وزرائه حينما أشاروا عليه أن يتفرغ للسياسة العليا، ويترك كل وزارة أو إدارة ما تختص به من الوظائف، وألا يشغل الملك نفسه بما يخص الوزارات والإدارات التي أنشأها كما أنشؤوا بأخرة الإمارات في كل مناطق المملكة رغبة في التيسير على أفراد الشعب.

وكذلك كان الملك خالد رحمه الله، أما الملك فهد فمنذ أن كان وزيرًا للداخلية كان الناس يراجعونه ويقدمون له طلبات في غير اختصاص وزارته، وحضرت كثيرًا من مجالسه العامة بوزارة الداخلية، ورأيت من قدم له طلبًا بفتح مدرسة ومستوصف صحي، ومحكمة، ورصف طريق، وإدارة بريد، ولاسلكي، لأن القرية التي يسكنها اتسعت وكثر سكانها، وأنهم يتعبون في حياتهم لخلو قريتهم من تلك المرافق، فأولادهم الصغار يجهدون من الذهاب والإياب من المدرسة في القرية المجاورة التي تحوي ما تحتاج إليه من المرافق.

ومن قدم الطلب إلى الملك فهد وهو وزير الداخلية يعلم أن أكثر ما طلبه من اختصاص وزراء آخرين، ولكنه يعلم أن أبواب آل سعود مفتوحة لمراجعيهم، وهم أسرع إجابة من غيرهم.

وذات مرة تقدم قروي بطلب مماثل لما سبقت الإشارة إليه فقال له الملك فهد - وهو وزير للداخلية -: قدم لكل جهة الطلب الخاص بها، فرد عليه: يا طويل العمر، الطلب إليك أسهل، ومراجعتك سهلة دائمًا، فطلبي إليك واحد، فإذا أردت مراجعة الجهات المختصة تقطع طلبي عشر قطع، وأنت تكفيني مراجعتك مرة فتثمر وتتحقق مطالبي، وأنت يا طويل العمر عندك مئات الكتّاب، يستطيع بعضهم أن يعد أوامرك إلى تلك الجهات، واسمك يا ولد عبدالعزيز أعظم من اسمي، فإذا تلقى وزير المعارف أمرك تلقاه باحترام، ونفذه بسرعة، أما إذا كان باسمي فلا ينظر إليه، وقد يهمله موظفوه، أما موظفوك فيخافون منك، فلا تلمني إذا قصدتك، وها هو ذا طلبي في يدك وقرأته، وأنت حر في الاهتمام به أو إهماله، ولكني أعرف أولاد ابن سعود، لا يهملون طلب أحد مهما كان ضعيفًا.

ولم يكن بوسع الملك فهد إلا أن يعد مكتبه لكل جهة «خطابًا» بطلب من طلبات ذلك القروي، وتحقق كل ما طلب.

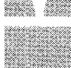
وعندما أشار بعض الوزراء على الملك فيصل أن يتخفف من أعبائه ويتفرغ للسياسة العليا كان الملك خالد نائبَه الأول، والملك فهد نائبه الثاني، وكان الأمير عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد الآن) رئيس الحرس الوطني - وما يزال - والأمير سلطان (النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء الآن) وزير الدفاع - وما يزال - وكان غيرهم من الأمراء يشغلون وزارات، ولم يقبلوا مشورة من أشاروا على الملك فيصل بالتفرغ للسياسية العليا، بل رفضوا جميعًا تلك المشورة التي كان أصحابها مخلصين فيما أشاروا، مشفقين على الملك المرهق من كثرة مراجعات الناس وطلباتهم المتجددة كل يوم.

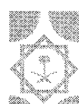
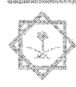
وقد أشير على الملك فهد غير مرة فأبى، لأنه ذكر لهم أنه عضو في جسد الأمة فإذا قطع نفسه منه فقد الحياة، والحق أن الملك عندنا مرهق

أيما إرهاق، ومع هذا مقتنع بما قال الملك فهد، فالملك السعودي عضو في جسد الأمة السعودية، فإذا قطع نفسه من جسد الأمة فقد الحياة.

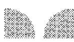
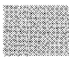
ولهذا كانت مهمة الملك في المملكة العربية السعودية مهمة غاية في الصعوبة والثقل، وما يُسَهِّل عليه الاضطلاع بتبعات الحكم ومهامه إلا الإخلاص لربه، والرغبة الصادقة في خدمة أفراد شعبه.

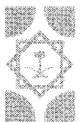
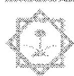




شخصيّة الملك فهد


الشخصية: مجموعة الصفات التي تُميز فردًا عن آخر، وهذا أمر مشهود في كل ما يتكرر من خُلق من حيوان أو نبات، فلا تكاد توجد ورقتان من شجرة واحدة توأمتان ذواتا صفات واحدة في الشكل وفي كل شيء، وكذلك كل بني الإنسان، بل الفوارق فيهم أظهر وأكثر.

ومن أبرز ميزات الملك فهد أن صفاته الخلقية والخلقية تمتاز ببروزها بحيث لا تخطئها العين سواء أكانت قريبة منه أم بعيدة عنه.

وسمات الخلقة في فهد بن عبدالعزيز بارزة، وإذا كان كل أبناء عبدالعزيز يمتازون في صفات الخلقة والخلق فإن لكل منهم سماته الخاصة مع اشتراكهم جميعًا في تلك الصفات، وكلها صفات محمودة.

ومن أبرز صفات الخلقة في أبناء عبدالعزيز صباحة الوجه التي تقترن بها صفات أخرى جليلة وحميدة، منها: سرعة الإجابة، وحسن الذوق في المقابلة، والسماحة في المعاملة، والسخاء والكرم والأريحية.

وما تجتمع هذه الصفات في امرئٍ إلا كان في الصميم من الإنسانية، والملك فهد - مد الله في عمره - معروف بالكرم منذ طفولته، وقد تقدمت الإشارة إلى شيء منه[1]، ونزيد هنا أنه كان «لمصروفه» اليومي عندما كان طفلًا طريقان، هما: شراء بعض الحلوى، ومنح زملائه الفقراء بعض العون من النقود، بل كان يشرك غيره في حلواه، ومفهوم هذا الصنيع منه أنه كان له جزء يسير ولغيره النصيب الأكبر من مصروفه اليومي.

---

(١) انظر الفصل الذي عنوانه «تعليم فهد وثقافته».

ولما صار فتى كان مصروفه الشهري يمضي في طريقيه السابقين مضافًا إليهما طريق آخر وهو شراء الكتب، فلما كبر وصار له راتب شهري كان ينفد قبل مضي الشهر، وما كان ليذكر لأبيه حاجته إلا لاضطراره، فحاجات الناس لا تنتهي، وهم لا يعرفون أن فهد بن عبدالعزيز يكون في أواخر الشهر خالي الوفاض حتى لا يطلبوا إليه عونًا، وما كان يتهرب من أحد، لأن طبعه الطيب لا يطاوعه وإن أراد، ولهذا كان يضطر إلى أن يعود على أمه ليأخذ منها ما يسع ما تبقى من أيام أواخر الشهر.

ولما تضخم راتبه الشهري كان يمضي في الطرق نفسها، ويسر الله له النبع الذي لا ينضب وهو أبوه، فكان يحمل إليه أوراق بعض المحتاجين ليحصل من أبيه على هبات لهم.

ووجه الملك فهد مريح للنظر، لأنه دائم الهشاشة للناس، ويوحي بالتواضع والكرم والسخاء، وهو - إلى جانب أنه مريح - مبشر غير منفر، وهو من الوجوه المعبرة التي يرتسم عليها ما في النفس.

وكلما كبر فهد في السن والمنصب كثر سخاؤه وبذله حتى إذا أنعم الله على أمته وعلى أمة العرب والمسلمين بأن يتولى المُلك كثر خيره، وفاض فيضًا، فأصبح شعبه أسعد شعوب الأرض قاطبة، فقد اهتزت أرض مملكته وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ووسع بره أمة العرب وأمة الإسلام.

وإذا كان وجه فهد يبشر ولا ينفر، ويقرب ولا يبعد، فإن له صوتًا صافيًا ترتاح الأذن إلى سماعه، إذ لكلامه وقع جميل، لأن الأحرف سليمة حين تصدر من مخارجها، إذ يخرج كل حرف من مخرجه الأصيل نقيًا سليمًا له حده الذي لا يطغى عليه حرف آخر أو يزاحمه.

وأما فصاحة فهد في منطقه فتمتزج بها البلاغة، ولهذا كان محدثًا فصيحًا يجتذب اهتمام من يتحدث إليه أو يسمعه، ويمتاز كلامه - دائمًا - بالإيجاز البليغ، ولا فضول فيه، لهذا لا يجد جليسه أو المصغي إليه غير اللباب، فطبعه على الإيجاز حَمَلَه على الاستغناء عن المترادفات في

الكلمات والجمل، وهو كذلك في حديثه وخطبه وفي كتاباته التي سننشر بعضها في آخر مؤلفنا هذا إن شاء الله.

وما جلس أحد إلى فهد إلا أعجب به وقدره حق قدره وأكبره، وَأَسَرَته فصاحته وبلاغته وإيجازه، وهكذا أسلوبه في الحديث القصير، أو الخطبة الوسط بين القصر والطول، أو في الخطبة المطولة، أو في الحوار الذي يمتد بضع ساعات.

ولقد شهد الناس في التلفاز السعودي حواره مع أبنائه طلبة جامعة البترول والمعادن بالدمام، وطلبة جامعة الملك فيصل بالدمام، وطلبة جامعة الملك سعود بالرياض، وطلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وطلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وطلبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة وأساتذة كليات هذه الجامعة وعمدائها ومديريها، وقد امتد كل حوار ثلاث ساعات أو أكثر، ولشد ما أَعْجَب ملايين المشاهدين والسامعين منطقُ فهد الفصيح، وإيجازه البليغ، وقوله الفصل، وحججه القوية، وعلمه الغزير، وثقافته العالية، وأدبه الرفيع.

وخلا كلام الملك فهد من الفضول الذي خلا منه كلام البلغاء، كما أن كلام فهد سلم من الحواشي والفضلات التي يُستغنى عنها، والآية على ذلك أن الكلام إذا أطيل بالحواشي والفضلات وحذفت منه لم ينقص منه شيء، بل يكون بعد حذفها أكثر إشراقًا وتماسكًا ومتانة وفصاحة.

ومما يوصف به كلام الملك فهد بعد الفصاحة والبلاغة والبيان أن له منطقًا غلابًا بحججه، فهو حديث منطيق، فهو عندما كان وزيرًا عضوًا بمجلس الوزراء لم يرد له طلب أو يعارض رأي يراه معارضة تلغيه، لأنه لا يطلب إلا ما هو حق أو ضرورة، ولا يرى رأيًا إلا استطاع أن يقيم البرهان على سلامته ووجاهته.

وعندما كان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ثم النائب الأول كان

يدير الجلسة إدارةً آية في السلامة، فهو لحسن إصغائه يحسن الكلام، ويتخذ المنطق السليم والبرهان الساطع في النقد والتوجيه.

ولما صار الملك فهد رئيس مجلس الوزراء لم يكن «دكتاتورًا» يفرض آراءه ويلغي آراء الآخرين بدون دليل، بل يعد نفسه زميلًا لهم، متكافئ الحقوق، وكل ما له - كما يرى فهد - إدارة الجلسة، وكما لأي وزير أن ينقد أو يعارض أو يطلب أو يقترح فللملك الشيء الذي لأي وزير، فإذا رأى الملك رأيًا وعارضه عضو معارضة أقام الدليل على صحتها أخذ بها راضيًا سعيدًا.

وقد حضرتُ كثيرًا مناقشات الملك فهد فما رأيته قط يخرج عن أسلوب المناقش الحكيم الهادئ المتزن، بل ينساب انسياب الجدول الرقراق، ويملك الدليل والإقناع بسلامة المنطق وقوة البرهان، ولهذا لا يغضب، ولا يخرج عن الحد القوام.

وإن عبقرية فهد عبقرية متفتحة يدل عليها خطة التعليم التي وضعها، و«الخارطة» التي رسمها له بكل مراحله اللتان أثمرتا هذا الانفجار في التعليم الذي صار من حق كل سعودي من أي طبقة كان، وقد حقق الملك فهد «حلم» الدكتور طه حسين عندما كان وزير المعارف في مصر، إذ أراد أن يكون التعليم حق كل مصري، وأن يجعله له كالهواء والماء، فخرج من الوزارة بعد أن صنع لمصر الشيء الكثير في التعليم، ثم مات ولم يتحقق حلمه الذي حققه الملك فهد للمملكة.

وكان من آثار هذا التعليم في المملكة أن أبناء الفقراء الكادحين صاروا بفضل الله ثم بفضل فهد أساتذة جامعات وموظفين كبارًا ووزراء ومديري جامعات وقضاة ومستشارين، ولم يعد في المملكة العربية السعودية من أقصاها إلى أقصاها توارث المهن، ففقدنا مهنًا كثيرة، ولم نجد من السعوديين عمالًا في البناء والتنظيف وشق الطرق وحمل أمتعة الناس والخدم في البيوت والفنادق ومختلف الأعمال التي يقوم بها الخدم حتى

استوردنا الألوف من خدم وخادمات وسائقي سيارات وعمال تنظيف، استوردنا من كوريا الجنوبية ومن الفلبين ومن بنغلاديش ومن إندونيسيا وغيرها، والتذكرة لأي واحد أو واحدة من هذه الأقطار تكلف في القدوم حوالي ثلاثة آلاف ريال، وفي العودة مثل ذلك لقضاء الإجازة، وصرنا بين الناس مثلًا وهو أن السعوديات اللاتي يرافقن أولادهن إلى أوربا أو أمريكا بالدرجة الأولى وبالكونكورد.

وهذا صحيح، ولن يمضي على بلادنا عشر سنوات حتى لا يجد خريجو الجامعات عملًا، بل رأيت آلاف خريجي جامعات «حفيت» أقدامهم في البحث عن أعمال فلم يجدوا حتى إن مهندسًا جامعيًا - على سبيل المثال - لم يجد وظيفة في إحدى البلديات إلا وظيفة «مساح» أو «كاتب يومية»، ولما لم يجد المهندس وظيفة تليق بهندسته الإنشائية فتح «دكانًا» للبيع والشراء.

ونعود إلى عبقرية الملك فهد فنقول فيها كلمة وجيزة حيث ضربنا - مثلًا - بما كان حلمًا عند أكبر أربعة عمالقة في الأدب العصري الحديث هو الدكتور طه حسين وزير المعارف المصرية قد حققه فهد بن عبدالعزيز وزير المعارف السعودية في سنوات معدودات.

وعندما يستطيع إنسان أن يحقق ما عجز العباقرة عن تحقيقه يكون دون شك أو جدال عبقري العباقرة، وكذلك كان الملك فهد.

وإن طه حسين ـ رحمه الله ـ عبقري طُلَعَة، ومن آيات عبقريته مؤلفاته الكثيرة وأعماله الكبيرة، ومن هذه الآيات تخطيطه لمستقبل الثقافة في مصر، وقد نقده وعارضه فيه كثير من أعلام مفكري مصر، فهو ـ باختصار ـ رأى أن تكون المدرسة مدرسة أوربية، وأساتذتها المصري والأوربي، وهذا ما نخالفه فيه، فنرى نحن أن تُخرج المدرسة المصرية مصريًا، والسعودية سعوديًا، وهكذا في كل قطر عربي.

وخطط فهد بن عبدالعزيز لمستقبل الثقافة في بلاده، وقد أرانا بتوفيق الله هذا المستقبل فإذا هو مستقبل مجيد زاهر له شخصيته السعودية العربية والإسلامية، ورأينا أبناء هذا المستقبل بيننا فإذا هم سعوديون عرب مسلمون حقًا، واحتفظ من تلقوا تعليمهم العالي في أقطار أوربا أو في الولايات المتحدة الأمريكية بشخصيتهم السعودية العربية الإسلامية وهم في دار غربتهم، وعادوا إلينا كما يتمنى لهم وطنهم العزيز.

ونجاح فهد في خطة التعليم ورسم مستقبل الثقافة في بلاده آية على عبقريته العظيمة المتفتحة.

وإذا كان فهد بن عبدالعزيز عبقرية متفتحة فإنه طاقة عقلية ضخمة يشهد له بذلك عارفوه، حتى الذين يجلسون إليه لوقت قصير لا يخطئون إدراك ذلك، وتشهد له بذلك ما وضع من خطط ومناهج، وما اضطلع به من الأعمال، وتشهد له أيضا آراؤه السديدة حتى تميزت شخصيته الفاذة المتميزة بسمات وخصائص كانت علامة فارقة مشهودة ميزتها عما سواها من الشخصيات الكبيرة ذات المجد الباذخ المرموق.

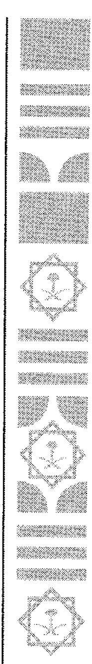
وهل هناك مجد أعظم بذوخًا[1] وعبقرية أشد سطوعًا ممن يضع خططًا ومناهج محكمة لفتح جامعة عملاقة؟ كلا.

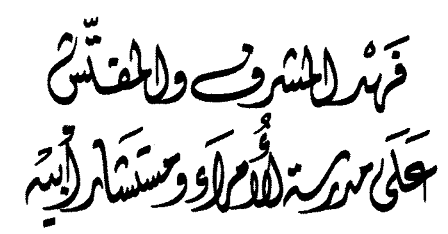
أما من يخطط ثم يبني سبع جامعات فلا شك أن عبقريته لا تحتاج إلى برهان، لأن سبع منارات شامخات يُشار إليهن فيشهدها الغريب والبعيد على السواء فيكتب اسمه بأحرف من نور متوهج لا ينطفئ.

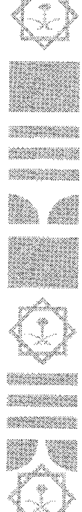
وموجز قولنا: أن شخصية الملك فهد لم تعد محلية، بل هي شخصية عربية وإسلامية، بل صارت شخصية عالمية بعد أن ثبت أن شخصية الملك فهد أكبر شخصية عربية وإسلامية في هذا العصر.

---

(١) بَذَخَ الجبلُ ونحوه بَذْخاً وبُذُوخا: علا وبان ارتفاعه وعلوه.




فهد المشرف والمفتّش
على مدرسة الأمراء ومستشار أبيه



فهد المشرف والمفتش على مدرسة الأمراء ومستشار أبيه

كل الذين كتبوا في سيرة الملك فهد أو موجزاً لترجمة حياته أغفلوا ذكر عملين عظيمين تولاهما في بكرة شبابه مما يدل على عبقريته التي تفتحت مبكرة وهو ما دون العشرين، مثله مثل أبيه الملك عبدالعزيز الذي استرد حكم آبائه من غاصبيه وأخذ يحكم حكمًا صحيحًا وهو ما دون العشرين، وهذان العملان: الإشراف على مدرسة الأمراء، ثم منصب المستشار لأبيه.

وقد اجتذب فهد اهتمام أبيه وهو في العاشرة أو قبلها بعبقريته المتفتحة وبفعله المشرق ومنطقه الخلاب، وكلما تدرج فهد في عمره كانت مواهبه تزداد ألقًا، ونمت أسئلة لأبيه وإخوته الكبار وكبار موظفي الديوان وشيوخ القبائل جلساء أبيه عن نبوغ مبكر واستعداد فطري للانتفاع من علم من عنده علم، واستثماره حتى فرح به أبوه وجده الإمام عبدالرحمن الذي كان شديد التعلق بحفيده يرعاه ويرقب مواهبه الآخذة في النمو، ويتعهدها ويغذيها، فما كاد يتجاوز العاشرة حتى تفجرت ينابيع عبقريته تفجرًا أدهش كل من كانوا على صلة بأبيه، وكانوا يتحدثون إليه ويهنئونه بابنه الطلعة. حتى إذا أشرف على التاسعة عشرة من عمره رأى أبوه أن يستغل مواهب ابنه فعينه مستشارًا خاصًا له.

والأب البار المحب لأبنائه إذا كان ذا أموال وتجارة أو صاحب شركة لا يكل إلى ابن له - ولو كان وحيده - منصبًا رفيعًا في إدارة الأعمال إذا لم يكن أهلًا لشغله، فإذا كان أبوه حاكمًا يحيط به أعداء أقوياء أغنياء بعضهم

أكثر منه مالًا وأثقل في موازين الدول، يتربصون له وبه فإنه لن يكل إليه عملًا ضخمًا إذا لم يك واثقًا من كفايته وقدرته، لأنه إن ولاه إياه وهو لا يحسنه فإنه سيعرضه للخطأ والخطل والزلل، ومن الثابت أنه لن يكل إلى أحد عملًا رائدًا وقائدًا إلا إذا كان حريًا به كل الحرا.

ولا مراء أن منصب «مستشار الملك الحاكم» المتصرف في أمور مملكته المترامية أطرافها منصب رفيع ذو شان خطير، ولهذا لن يتورط بتوليته أحد وبخاصة ابنه ذلك المنصب ما لم يكن على ثقة تامة بقدرته على شغله، ومطمئنًا إلى سداد رأيه.

وقد سبق تعيين فهد مستشاراً لأبيه سلسلة من التجارب خرج منها ناجحًا فعينه في هذا المنصب وهو مطمئن.

وكان عند أبيه مستشارون كما كان هناك "مجلس الربع" اختار أعضاءه من حكماء الرجال، يعرض عليهم أمور الدولة العظام يستطلعهم رأيهم فيها إضافة إلى آراء مستشاريه الآخرين.

وكان الملك عبدالعزيز في كل أحواله في الظعن والإقامة والسلم والحرب وفي الصيد والقنص يرقب أبناءه وهم يخطون خطواتهم مراقبة دقيقة لينشؤوا كما يريد لهم أن ينشؤوا، وكان دائم الروز لهم، كثير الرضا عن ابنه فهد منذ صباه، فلما كان تلميذًا بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة ثم في مدرسة الأمراء ظهرت مخائل نجابته، وسره منه اجتهاده وحرصه على الحصول على المزيد من العلم والقراءة.

ولشد ما كانت سعادة الأب أن ابنه فهد يطلب منه نقوداً لشراء كتب ومجلات علمية وأدبية، أو ليحسن إلى محتاج، أو يعين زميلًا من زملائه، فلما حصل على شهادة مديرية الأمراء انقطع عن الدراسة بحصوله على الشهادة ثم الزواج.

وإذْ غادر مقاعد طلب العلم بالمدرسة فإنه لم ينقطع عن طلب العلم

قط، ولم يترك نفسه للفراغ يطويه، بل طوى هو نفسه الفراغ الذي لديه بالقراءة والدراسة الحديثة، فقد كان شديد النهم إليهما، وكلما تقدمت به السن زاد نهمه إلى العلم، وما كان الكتاب ليفارقه، وما رآه أبوه قط بغير كتاب، فيتناول - أحيانًا - منه الكتاب يفحصه يرى مادته، وسره أن يرى بصحبة ابنه المصادر والمراجع والأمهات من كتب التراث، كما أخذ نفسه بقراءة الكتب الحديثة لأساطين الأدب العصري.

ورأى أبوه ذات مرة وهو يحمل بعض كتب الأدب الحديث كمؤلفات الرافعي والعقاد والمازني وطه وهيكل فسأله عنها فأجابه أنها مؤلفات زعماء الأدب الحديث تُعلم قارئها حسن الإنشاء وتعوده أعلى نمط في البيان العربي الحديث.

وكلما كبر فهد ازداد قربًا من أبيه والتصاقًا به، وما كان يفارقه إلا قليلًا عندما يدلف إلى غرفة نومه، فإذا استيقظ ومضى إلى مسجد قصره لصلاة الفجر رأى فهدًا قد سبقه إليه مع بعض إخوته يقرؤون القرآن، فيسره ذلك أعظم السرور، وكان مدعاة سروره دائمًا، ومن ذلك عنايته بمدرسة الأمراء يزورها يجدد العهد بمن علموه وربوه، ويراقب إخوته الذين يتعلمون، وينقل إلى أبيه ما يرى فيسعد وكأنه معهم، فشجعه على التردد عليها، واختبار معلومات إخوته، فسرته هذه الثقة من أبيه، ومع هذا العمل الذي كان فيه متطوعًا كان حريصًا على حضور مجالس أبيه الخاصة والعامة ليل نهار على الكتاب يقتنيه ويقرؤه.

ولعل تشجيع فهد من قبل أبيه على إدامة صلته بمدرسة الأمراء والتردد عليها كان ذلك التشجيع تعيينًا له من أبيه مشرفًا عليها، ولقد انتفع من هذا الإشراف كثيرًا، فقد كان مراقبًا ومفتشًا على إخوته لا أساتذته الكرام المختارين اختيارًا، فما زار المدرسة إلا وغادرها مزودًا بجديد من العلم والمعرفة يضيفهما إلى ما لديه من علم غزير.

وما كاد فهد يبلغ التاسعة عشرة من عمره حتى بدأت عبقريته في التدفق والسطوع اللذين ما كانا ليخفيا على من يتحدث إليهم من كبار موظفي الديوان الملكي والمستشارين وأمراء المناطق وشيوخ القبائل وأعضاء مجلس الربع والوزراء والعلماء والأدباء وإخوته الذين يكبرونه وهم الملوك: سعود وفيصل وخالد، وكانت أحاديثه معهم تنم عن تلك العبقرية المتفتحة المشرقة، وكان أبوه أسبق من غيره في شهود هذه العبقرية التي رعاها منذ صغره حتى آتت أكلها فقرر أن ينتفع منها فعينه مستشارًا لديه.

وعندما أسند إليه هذا المنصب الرفيع الخطير شعر فهد بتبعاته فبكرت إليه رجولته، فما رُئي بعد الخامسة عشرة إلا متزنًا رزينًا جادًا، يحسن الإصغاء إحسانه الكلام علمًا وأدبًا وتعبيرًا وحكمة حتى صار مرفوع الذكر مقدّرًا من أبيه وكل أفراد الأسرة وأعمامه وأخواله.

ولم يكن المستشار فهد بحاجة أو يرغب في الأضواء تلقى عليه ليظهر، بل كان يحرص على التواضع والبعد عن الدعاية والظهور، ولهذا لم يشر إلى منصبه الرفيع أحد من مئات مَن كتبوا في سيرته حتى وهو ملك، إذ تبارت مئات الأقلام في الكتابة فيه، وتركزت الأضواء عليه، ومع ذلك لم يذكر أحد منهم شَغْله هذا المنصب إلا كلمة عابرة جاء في مقال للأديب الشاعر الأستاذ عبدالله بلخير الذي كان من أبرز موظفي ديوان الملك عبدالعزيز المقربين إليه فحضر اجتماعه بالرئيس روزفلت، الذي انعقد صباح يوم الخميس ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ (١٥ فبراير ١٩٤٥م) في البحيرات المرة، وكان الاجتماع بالمرمة المقلة للرئيس روزفلت.

ولئن كان المترجم الرسمي بينهما الكولونيل وليم إدي الوزير المفوض للولايات المتحدة الأمريكية بالمملكة العربية السعودية فإن الأستاذ بلخير مترجم الملك عبدالعزيز حاضرًا مع جلالته يراقب الترجمة وصحتها ودقتها.

وحضر الأستاذ بلخير اجتماع الملك عبدالعزيز وونستون تشرتشل رئيس

الوزارة البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية بالفيوم يوم السبت ٤ من ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ (١٧ فبراير ١٩٤٥م).

وقرب الأستاذ بلخير من الملك عبدالعزيز في حضره وسفره وليله ونهاره، وفي جميع أوقاته، وكان بينهما الهاتف إذا كان الملك في مضجعه مع أهله ليتصل به إذا جدَّ جديد مهم ويوقظه، لأن الملك كان متتبعًا أخبار الحرب بين الحلفاء والمحور، وعمله بديوان جلالته وارتباطه الوثيق جعله من القلائل الذين يعلمون كثيرًا مما يخفى على الناس من أمر الملك وديوانه وموظفيه ومستشاريه مما لا ينشر بالصحف إلا نادرًا.

الأستاذ بلخير ذكر في مقال له أن الملك فهدًا كان مستشاراً لأبيه الملك عبدالعزيز، ونشر المقال بجريدة «المدينة المنورة» بعددها الصادر في ٩ رمضان سنة ١٤٠٣هـ وها هو ذا نص ما قال:

«أما أن جلالته كان محاطًا بالمستشارين ولست منهم، فهم أصحاب السمو الملكي الأمراء: ولي عهده الملك سعود، ونائبه في الحجاز الملك فيصل، وأخوه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، وكبار أبنائه الآخرين كالملك خالد والملك فهد وإخوانهم، ثم عدد كريم من المستشارين الآخرين، لا يشترك معهم سواهم من الموظفين أمثالنا».

هذه هي الإشارة الأولى إلى أن الملك فهد كان مستشاراً لأبيه، وكنت أعلم بهذا المنصب الرفيع الذي كان يشغله الملك فهد، وعندما اختاره كان فهد في التاسعة عشرة من عمره.

ومن أهم القضايا التي كان للمستشار فهد مشاركة فيها بالرأي السديد قضية لجوء الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني عقب الحرب العالمية الثانية إذ كان محكومًا عليه بالإعدام من الحكومة العراقية في عهد وصاية الأمير عبدالإله لقيامه بالثورة على الاستعمار البريطاني للعراق، وإنها لقضية القضايا في تاريخ ابن سعود الحافل بالقضايا الكبرى، وقد بلغ من عظمها

أنه صمم على خوض غمار حرب ضروس بينه وبين بريطانيا التي خرجت من الحرب منتصرة على أعدائها انتصارًا مبينا.

ودور فهد في قضية رشيد عالي الموقف الذي وقفه أبوه الذي استشار مجلس الربع فكان أعضاؤه مجمعين على عدم تسليم ضيف صقر الجزيرة، وأعلنوا لابن سعود أنهم بكل من ورائهم من نسائهم وأولادهم وعشيرتهم متضامنون معه ويفدون ضيفه اللاجئ إليه بأرواحهم.

أما الشعبة السياسية والمستشارون - غير أبناء ابن سعود - فقد اختلفت آراؤهم، وإن كادوا ليتفقون في التخلص من رشيد عالي الكيلاني بتيسير سفره إلى أي بلد يريد، لأن رشيد عالي نفسه لن يرضى بأن تتعرض المملكة العربية السعودية لما لا تحمد العواقب، فهي لن تستطيع أن تقف في وجه بريطانيا المنتصرة في الحرب.

وكان المستشارون مخلصين كل الإخلاص لابن سعود، ويخشون على المملكة من بريطانيا المنتصرة أن تضربها، وإن من الخير للمملكة أن تتفادى استفزاز بريطانيا وتحديها السافر.

ولكن رأي أبناء الملك عبدالعزيز: سعود وفيصل ومحمد وخالد وفهد وعبدالله وسلطان وكل أولاد عبدالعزيز أعلنوا بالإجماع عدم تسليم رشيد عالي، واتخاذ أسلوب الحكمة في التفاهم مع بريطانيا التي كان موقف ممثلها بالمملكة صلفًا.

ورأي الملك فهد لا يختلف عن رأي إخوته الذين يكبرونه، ولكنه قد أبداه لأبيه بعد مغادرته الرياض في الطريق إلى مكة المكرمة حرسها الله، أبدى رأيه بصراحة ووضوح، واستطلع ابن سعود آراء أبنائه الذين صحبوه في رحلة إلى الحج فردًا فردًا، فإذا الآراء كلها متفقة مما أثلج صدر أبيهم الذي أعلن موقفه الصلب؛ إنه لن يسلم رشيد عالي ما بقي على قيد الحياة أحد من آل سعود ذكرًا أو أنثى.

وكان ابن سعود موفقًا في اختيار من يريدهم أن يعملوا لديه، ومن هذا التوافق اختياره ابنه فهدًا مستشارًا له، ولم يستغرب أحد هذا الاختيار، لأن آخاء[١] فهد وكل آل سعود وغيرهم من الوزراء والمستشارين وزعماء القبائل كانوا يعرفون فهدًا شابًا عبقريًا صالحًا رشيدًا ذا رأي سديد وعقل كبير راجح.

وما اختيار أبيه إياه إلا برهان على نبوغه المبكر الذي كان يكبر مع صاحبه حتى كملت شخصية فهد، وصارت شخصية مرموقة واضحة المعالم والسمات.

وشاء الله سبحانه وتعالى أن ينتقل ابن سعود إلى ربه في ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ فيُجمع كل آل سعود أن يبايعوا بالملك ولي عهد المملكة الملك سعود بن عبدالعزيز وأن يبايعوا بولاية العهد الملك فيصلًا، ورأوا بعد المبايعة أن يأخذوا بسنة التطور في «شكل» الحكومة مع الإبقاء على أساسها الذي وضعه مؤسس هذه الدولة الملك عبدالعزيز ألا وهو الكتاب والسنة.

ولا شك أن قرار أبناء عبدالعزيز بالإجماع في تطوير شكل الحكم نقلة حضارية كبيرة تبدأ من حيث انتهت الوثبة الحضارية الكبرى التي تمت على يد الملك عبدالعزيز الذي طوَّر بلاده وحضَّر البادية بمدِّ يده إلى الحضارة الحديثة واجتذبها إلى مملكته الشاسعة واضعًا الأسس التي تكفل للتطور أن يستمر دون توقف، وأول تطوير قرروه شكل الحكومة إذ قسموها إلى وزارات.

وكان الملك سعود والملك فيصل على علم بآراء فهد في التعليم، وما

---

(١) آخاء، جمع أخ، مثل آباء جمع أب.

كان يبني عليها من آمال ضخام، وما أعد في ذهنه من برامج نشر العلم في كل ربوع المملكة مع العمق حتى لا يكون المتعلم سطحيًا.

ومفهوم أن نجاح الأمم يعرف بمعاهد العلم ومتطلباته، وكان فهد شديد العناية بفكرة نشر العلم حتى يدخل كل بيت في الحاضرة والبادية، وكان كثير الحديث في ذلك، حتى إذا قُرر تحويل «مديرية المعارف العامة» إلى وزارة المعارف كان المرشح الوحيد لها فهد بن عبدالعزيز، ومُنح السلطة والحرية في تحقيق برامجه التعليمية، اقتناعًا بفكرته أن تطوير الفرد سهل، ولكن أثره محدود، وقد لا يؤثر في مجتمع مغلق، وإذا أريد تغيير المجتمع إلى ما هو خير وأفضل وجب نشر العلم كالهواء للجميع.

وانتخبوا فهدًا وزيرًا للمعارف وسلموه كل أزمَّتها، ووعدوه بأن له عونًا كلما احتاج إليهم.

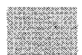
وما اختير فهد لشغل وزارة العلم والمعرفة والتعليم والتربية التي هي من أسس الإسلام الثابتة، بل العلم فاتحته، ما اختير فهد من الأمراء الكبار من أبناء عبدالعزيز سنًا ومقامًا فحسب، وإنما اختير بإجماع الآراء لأنه أهل لشغل هذا المنصب الرفيع الخطير.

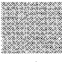
وآية صلاحه كل ماضيه، وبخاصة القريب من عهد اختياره لوزارة المعارف، فهو ذو خلق ودين وعلم وفقه وثقافة واسعة رشحته من قبل أبيه ليكون مستشارًا له، فكانت له في شؤون الحكم وتصريف أمور الدولة آراء آية في السداد والنضج، ومشاركات حتى جاء إلى وزارة المعارف فأحدث انفجارًا تعليميًا كان من آثاره سبع جامعات من أرقى جامعات العالم.

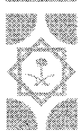
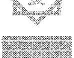
ولما صنع في المعارف من الخوارق التي ما تزال تبهر، أسندوا إليه وزارة الداخلية فطورها حتى استكملت كل ما هي بحاجة إليه فصارت من أعظم وزارات الداخلية التي سبقت سابقيها، ثم صار النائب الثاني لرئاسة

مجلس الوزراء فكـان له فيها فتوح وإضافات جديدة، حتى إذا صـار وليًا للعهد والنائب الأول لرئيس مجلس الـوزراء شارك الملك العظيم خالد بن عبدالعزيز أعباء الحكم مع حيويـة في ديوان ولاية العهد، وهكذا ما شغـل منصبًا إلا ذكره من يخلفه أحسن الذكر.



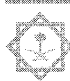


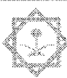
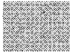


فهد وزير المعارف







فهد وزير المعارف

من حق الملك فهد على أبناء شعبه من رجال الأدب والعلم والصحافة أن يكتبوا عن أعماله الكبيرة التي عادت عليهم بما هم فيه من نور وسعة؛ وفاء لبعض حقه، كأن يكتب أحد منهم في فهد وزير المعارف، ويكتب ثان في فهد وزير الداخلية، وثالث في عبقرية فهد الإدارية، ورابع في عبقرية فهد السياسية، وآخر في فهد قائد حركة الإسلام، وهكذا يُعنى كل منهم بالكتابة في موضوع من هذه الموضوعات، يجب أن يصنعوا ذلك ليدونوا للتاريخ عظمة فهد بن عبدالعزيز التي تفرد بها بين أمثاله من الحكام وقادة الشعوب، ويجب أن يصنعوا ذلك في إخوة فهد الذين قدموا لشعبهم وللعرب والمسلمين ما لم يقدمه حكام عرب لشعوبهم.

والحق أن الملك فهدًا أهل لأن تكتب في جوانبه الكثيرة العظيمة المجلدات، بل ذاك حقه على المثقفين بخاصة، وإخالهم صانعين وفاء لمن أثقلهم فضله.

وبين يدي وأنا أكتب هذا الفصل كتاب ضخم كبير من المقاس الكبير يقع في جزءين ضخمين تبلغ صفحاتهما المئات، أصدره مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي، قسم الإحصاء بوزارة المعارف، أصدره المركز تحت اسم «إحصاءات التعليم في المملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ - ١٤٠١هـ» ورقم هذا الكتاب الرابع والعشرون.

ونحن الذين نشأنا منذ شمول المملكة العربية السعودية الحجاز سنة ١٣٤٢هـ، ومشينا مع التعليم الذي كنا من ثماره، وأخذ التعليم على مرأى

منا ومسمع يتطور وينتشر وتتعدد مراحله وأنواعه نشهد أن هذا المركز موضع الثقة التامة في كل إحصاء أو بيان ذكره، بل هو المرجع الوحيد الذي يستطيع أن يقدم أصح المعلومات في التعليم بالمملكة العربية السعودية لمن يريد أن يؤرخ أو يبحث.

وجاء في هذا الكتاب في أوله من «إحصائية سنة ١٣٦٧هـ قبل أن تتحول مديرية المعارف العامة إلى وزارة المعارف بخمس سنوات: أن مجموع مدارس المملكة - ثانوية ومتوسطة وابتدائية وأولية خمسٌ وستون (٦٥) مدرسة تضم عشرة آلاف طالب».

وجاء في هذا الكتاب صفحة (٨): «ومع إنشاء وزارة المعارف ينتقل التعليم في المملكة إلى مرحلة جديدة من النمو والانطلاق» إلخ.

وفي صفحة (٩): «وصاحَبَ إنشاءَ وزارة المعارف استكمالُ الدولة لشكلها الحديث في الإدارة، وبدأ التعليم في المملكة عهده الجديد بعد أن حظيت الوزارة بأن أوكلت نشأتها إلى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز، فكان الوزير الأول للمعارف في المملكة.

ووضع الوزير الأول الخارطة التنظيمية الأولى للوزارة متضمنة إدارات التعليم المتخصصة، كما أنشأت الوزارة إدارات للتعليم في مختلف مناطق المملكة لتكون نمطًا مصغرًا للوزارة».

وتشرف وزارة المعارف على كل مراحل التعليم بصنوفه المختلفة بالنسبة للبنين، أما البنات فبقين خارج نطاق وزارة المعارف، لأن للبنات وضعًا خاصًا[١] في المملكة مختلفًا عن البنين، فرأت الحكومة أن تنشئ مؤسسة

(١) كانت ببعض مدن الحجاز «كتاتيب خاصة للبنات» وأول من أنشأ مدرسة حديثة لتعليم البنات حسب منهج وزارة المعارف المتخذ للبنين الشيخ/ عمر عبدالجبار، وكنا من أوائل من استجابوا لفكرته وأيدوه، وأدخلنا بناتنا بمدرسته حتى تأهلن للتوجيهية، ثم للتعليم العالي وتخرجن من الجامعة، رحم الله الشيخ/ عمر عبدالجبار وطيب ذكراه وثراه.

خاصة لتعليم البنات سميت «الرئاسة العامة لتعليم البنات» وكان إنشاؤها سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) وكأنها وزارة معارف البنات، فمهمة الرئاسة هي نفسها مهمة وزارة المعارف التي اختصت بالبنين.

والذي حمل الحكومة على إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات أن الحاجة ألحت عليه، بل قضت الضرورة أن يُعطى البنات حقوقهن من التعليم مثل البنين، فهن أشقاؤهم، وتتكافأ حقوقهن معهم، فيجب أن ينلن حقهن من التعليم بجميع مراحله بغير تمييز.

وانفجر تعليم البنات فانتشر انتشارًا غير متوقع، حتى الذين قاوموه أشد المقاومة انتهت مقاومتهم إياه ببعث بناتهم إلى المدارس الحكومية وصار منهن مئات ممن يحملن الشهادات العالية.

وقد احتج علماء من بعض مناطق المملكة على الملك فهد بصفة كونه رائد تعليم البنات، وهو واضع «خارطة التعليم»، وعندما كان يفكر في التعليم الجامعي كان حاسبًا حساب البنات عندما صار وزيرًا للمعارف سنة ١٣٧٣هـ فلما أهلَّت سنة ١٣٨٣هـ بدأت الحكومة تنفيذ ما كان أفكارًا على الورق، ونشرت الصحف خبر فتح مدارس للبنات في المملكة تتولى شؤونها المؤسسة الجديدة المسماة «رئاسة تعليم البنات»، وأقبل رهط منهم قابلوا مسؤولي القمة: الملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد الذي كان أكثر تعرضًا لسخط الساخطين، كما كان أول المتلقين للتهنئة بهذه الخطوة العظيمة في تاريخ المملكة، لأن المهنئين والساخطين كانوا يعلمون أن فهدًا صاحب الفكرة وهو نفسه واضع خطة التنفيذ، والمبادر إليه، والمتحمل كل تبعات هذا الحدث الجديد، ولهذا استقبل فهد التهنئات من الذين استقبلوا خبر فتح أبواب التعليم أمام البنات ببهجة لا مزيد عليها في حينها، واستقبله الساخطون بالاستنكار والعبوس، وجاء رهط منهم إلى الرياض وقابلوا فهد ابن عبدالعزيز واضع خطة تعليم البنات على الصعيد الرسمي.

ومعروف أن نظام الحكم الإسلامي يضمن حرية القول ومناقشة الحاكم وأمن من يعارض الحكم، وكنت بالرياض في تلك الأيام ضيفًا على الملك فهد أراجعه بشأن مطابعي التي أسستها لجريدتي «عكاظ» التي خرجت من ملكي - ككل الجرائد - إلى مؤسسات صحفية، ولم يكن هو المسؤول المباشر، ولكن كان من بضعة الأفراد الذين يحكمون المملكة.

أقبل وفد من المعارضين الأشداء من مقاطعة القصيم، وقابل أعضاءه وكانوا علماء مخلصين في معارضتهم، وثار جدل بين فهد ومعارضي سياسته في تعليم البنات، وكان الجدل أقرب إلى شيء من الحدة في المعارضين لم تغضب فهدًا، لأنه يعلم أن المفاجأة كان وقعها عليهم شديدًا، وتوهموا أخطارًا خافوا منها على بناتهم، وقال لهم فهد في هدوئه واتزانه: «لقد فتحنا مدارس تعليم البنات، ولم نجبر أحدًا على إدخال بناته تلك المدارس، وأنتم من حقكم ألا تدخلوا بناتكم، والذين يعارضون تعليم البنات أفراد، أما المطالبون بتعليم البنات فالشعب كله بمختلف فئاته، وحسبنا أن أكثر العلماء وعلى رأسهم سماحة الشيخ المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم موافقون، وجعلنا تعليم البنات أمانة في يده».

ولم تفتح مدارس البنات ارتجالًا، بل كان ثمرة تفكير وتخطيط محكمين، وبدأت فكرة تعليم البنات رسميًا بالسماح بفتح مدارس البنات المقترن بالتشجيع فقامت في مكة المكرمة حرسها الله وجدة والرياض مدارس حديثة، وكانت مكة المكرمة قاعدة الانطلاق، وكنا من أوائل الدعاة إلى تعليم البنات، وكنت أنا والأستاذ الجليل الشيخ حسين عرب، بل للحق أقول: كان الشيخ حسين عرب وأنا معه من أوائل الداعين إلى تعليم البنات، والمؤيدين لرائد تعليم البنات عملًا ودافعًا الشيخ عمر عبدالجبار ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ فقد جاء إلى ندوة الأستاذ الشيخ حسين عرب اليومية بداره بعد صلاة العصر كل يوم منذ أكثر من عشرين سنة وإلى اليوم، وجاء إلى الندوة الشيخ عمر عبدالجبار وألقى إلينا بفكرته وعزمه المصمم،

فبادرنا إلى تشجيعه وتأييده ووقفنا معه، فلما فتح مدارس الزهراء كنت من المبادرين إلى تدوين أسماء بناتي مع المبادرين الذين كان منهم فضيلة العلامة الجليل الشيخ عبدالله خياط إمام المسجد الحرام وخطيبه، وآخرون من علية أهل مكة المكرمة.

وكان من ثمرات مدارس الزهراء أن بنتًا لي درست فيها، وكانت فيما بعد من الدفعة الأولى من الطبيبات السعوديات المتخرجات من جامعة الملك سعود سنة ١٤٠٠هـ[1]، كما كان من ثمار مدارس الزهراء أن ابنةً أخرى لي تُحضِّر الدكتوراه في علم النفس؛ أحدِ فروعه.

وتدوينًا للحق أقول: إن الملك فهدًا كان وراء تعليم البنات، كما كان ممهد الطريق لهن على التعليم الجامعي الذي انتظم في سمطه عشرات من بنات الملوك والأمراء من آل سعود، بل مئات تخرجن وحصلن على الشهادات الجامعية، ولبعضهن رسائل جامعية عظيمة طبع بعضها.

وإن من التوفيق الذي يذكر لراعي نهضة التعليم الملك فهد أنه اختار لرئاسة تعليم البنات بعد موت المفتي الأكبر ـ رحمه الله ـ عالمًا فاضلًا غيورًا هو الشيخ ناصر بن حمد الراشد الذي شغل منصب الرئيس العام لتعليم البنات سنوات حافلة بتطور سريع مأمون من الخطر في تعليم البنات الذي فجره تفجيرًا حتى وصل الشيخ ناصر إلى الاكتفاء الذاتي في التعليم الابتدائي الذي استغنى كل الاستغناء عن المدرسات الأجنبيات اللاتي بلغ عددهن بضعة آلاف، وصار التدريس في كل سنوات المرحلة الابتدائية من قبل السعوديات حتى صار لدينا جيش عظيم منهن، وهذه مفخرة من مفاخر الشيخ ناصر في تعليم البنات.

---

(١) وحصلت على الامتياز من مستشفى الملك عبدالعزيز بالرياض سنة ١٤٠١هـ ثم ابتعثتها إلى بريطانيا فقضت سنة دراسية بجامعة أدنبرة على حسابي ثم عادت للعمل بمستشفى حكومي.

وإذا كان الشيخ ناصر بن حمد الراشد اليد القوية الأمينة التي تولت عملية الانفجار التعليمي الذي وضع خارطته التنظيمية الملك فهد فإن الفضل لله ثم للملك فهد الذي يعود إليه فضل النهضة التعليمية للبنين كما يعود إليه فضل نهضة تعليم البنات.

وكان من جهود جلالته في ميدان العلم والتعليم أنه لم يكتف بوضع «الخارطة التنظيمية الأولى لوزارة المعارف» بل وضع «خارطة» عامة لتعليم البنات بما فيها: ملحقات لخرائط تتفرع من «الخارطة التنظيمية» الأم، مثل خرائط التعليم لمختلف المراحل، وخرائط أخرى أعدت بإحكام ودقة حتى تستقبل - باستمرار - كل زيادة في أعداد الطلاب دون أن تفاجأ المؤسسات المسؤولة عن التعليم بجحافل المتخرجين سواء أكانوا في شهادات النقل من سنة إلى سنة، أم النقل من مرحلة إلى أخرى، بحيث يكون في قدرة تلك المؤسسات امتصاص كل الزيادات المطردة، دون أن تفاجأ بمفاجآت غير محسوب حسابها.

وتبع خرائط السعة في خريجي التوجيهية وخريجاتها إعداد خرائط تنظيمية للمرحلة الجامعية التي ستستقبل جيشًا كثيفًا جدًّا من الخريجين والخريجات الحاصلين على التوجيهية فلا تفاجأ بهم، لأنها تكون قد أعدت لهم أماكنهم مع إعداد كل حاجاتهم من مدرسين وكتب ومختبرات وأموال كثيرة ومواصلات ومبان.

ولهذا كانت مهمة الملك فهد عندما كان وزيرًا للمعارف صعبة وخطيرة إلى حد بعيد، لأنه مكلف أن يحسب أدق حساب وأصَحَّه لحاضر التعليم ومستقبله، وقد أفصحت خرائطه التي وضعها هو نفسه ورسمها بقلمه عن عبقرية متفتحة وإحاطة شاملة بما يجب أن يعمله، لأن السهو عن مسألة يسيرة يورطه في سلسلة من المفاجآت يضطرب معها كل ما أعدَّ، فيتعرض المجتمع كله لهزات شديدة تنجم عنها عواقب وخيمة.

ولكنَّ شيئًا من ذلك لم يقع والحمد لله بفضله ثم بفضل عبقرية فهد وعلم فهد وصحو ملكاته وثقافته الواسعة الشاملة.

فالانفجار التعليمي الذي حدث من خطة فهد سلم من كل سوء، فقد أخذ من الحضارة الحديثة ما هو في حاجة إليه دون أن يأخذ ما يخاصم الدين، ودون أن تتغير ملامح المجتمع الإسلامية.

ونذكر أن الدكتور طه حسين ـ رحمه الله وغفر له ـ كان يود أن يطور مجتمعه وينقله من التخلف والبلى إلى الحداثة فيجعله مجتمعًا أوربيًا، لأنه كان مفتونًا بحضارة فرنسا وثقافاتها وعادات أهلها ؛ وكل ذلك حضارة أوربية، وألَّف - وهو المستشار الفني بوزارة المعارف المصرية - كتابًا سماه «مستقبل الثقافة في مصر» أراد به وضع سياسة جديدة للتعليم في كل مراحله، وهذه الجدة تحاصر الإسلام في بعض ما ذهب إليه أكثر مما حاصرته سياسة التعليم السابقة التي وضعها الاستعمار البريطاني على يد الاستعماري دنلوب، فاجتمع لتغيير المجتمع المصري بريطانيا وفرنسا.

وقد تصدى لكتاب «مستقبل الثقافة في مصر» نقاد كان من أبرزهم الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ إذ نقده في بضع مقالات.

وقرأت كتاب الدكتور طه حسين الذي أهداه إليَّ حين صدوره فوجدت به من الآراء ما لا يتفق مع الإسلام، لأن طه ـ غفر الله له ـ أراد أن يجعل مصر بلدًا أوربيًا، وفصل بين الدين والدولة، وفي ذلك صبغ مصر صبغًا أوربيًا من الظاهر والباطن، ولولا أن صبغة مصر الإسلامية كانت أصيلة وثابتة لانقلبت مصر أوربية، ولكن ما عجزت عنه بريطانيا بكل جبروتها وظلمها قد عجز فيه الدكتور طه حسين، فسَلِم مستقبل الثقافة في مصر عما أريد له أن يكون بفضل الله، مع أن أشياء كثيرة تعادي الإسلام قد دخلت مصر التي أخذت تنفي عن نفسها الخبث لتحتفظ لنفسها بالصبغة الإسلامية التي أرادت محوها قوى جبارة فارتدت خاسرة مهزومة.

وعندما كان الدكتور طه حسين عميداً لكلية الآداب بجامعة فؤاد (الجامعة المصرية فيما بعد) وذلك سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) كنت طالبا بكلية دار العلوم منتسبًا وبكلية الآداب بجامعة فؤاد طالبًا مستمعًا، وكانت هوايتي الصحفية قد دفعتني إلى أخذ حديث صحفي من عميد الأدب العربي طه حسين، ونشرته بجريدة «صوت الحجاز» سنة ١٣٥٥هـ. ثم أعدت نشره بمؤلفي المسمى «المقالات»[١] تحت عنوان «مع عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين»، وجاء في أحد أجوبته قوله:

«وأما رأيي في الأدب الحجازي فلسوء الحظ لست مطلعًا عليه اطلاعًا كافياً فأحكم عليه، ومع هذا فإني واثق كل الثقة بأن مستقبل الحجاز في الأدب سيكون باهرًا، ولن يتأخر ظهور هذا الروح الأدبي الذي أنتج في الحجاز خير ما في الشعر العربي القديم وأرقه وأرقاه وأنبله. هذا الروح لا يمكن أن يكون قد مات. ولكنه استخفى وسيعود كأجمل وأقوى ما يمكن أن يكون.

ومع أني لست من أنصار مذهب الرجعة بالقياس إلى الأفراد فإني مؤمن بمذهب الرجعة الأدبية بالقياس إلى الأمم. وأنا مطمئن كل الاطمئنان أن الروح الحجازي العذب الذي نجده في شعر جميل وكثيِّر والعرجي سيعود إلينا قريبًا، وسيبعث في نفوسنا هذا الحنان الطاهر البريء الخصب الذي هو متاع النفس الإنسانية الثقفة دائمًا».

وكذلك كان الأمر مع مصر التي أراد الدكتور طه لها أن تكون أوربية فلم تتحول إلى أوربا بسبب من درسوا بأوربا أو تثقفوا بثقافاتها، لأن الأمة المصرية كلها متمسكة بالإسلام برغم الأقلية غير المسلمة وهي الطائفة المسيحية.

وعندما زار الدكتور طه حسين الحجاز إبان انعقاد الدورة الثقافية

---

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م).

للجامعة العربية بجدة، وأضافها الملك فهد الذي كان يشغل منصب وزارة المعارف حينئذ، زار جلالته طه حسين ودار بينهما حديث عن سياسة العلم والتعليم، وحضرت الحديث، وقد سبقت لي قراءة كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» ونقد سيد قطب وغيره له، وأوجز الملك فهد سياسته التعليمية وخططه وما أعدَّ لكل مرحلة من المراحل حتى المرحلة الجامعية[١].

وكان ما أعد فهد من خرائط تنظيمية يضمن الحضارة والتقدم لوطنه مع الإبقاء على صبغته الإسلامية، ويزيد في تعميق الإيمان، وابتعاث الطلاب فيما بعد إلى أوربا وأمريكا لن يؤثر في معتقدهم وأخلاقهم وتربيتهم.

كان حديث فهد مع طه حسين صاحب الخبرة الواسعة في التعليم الذي لم يفارقه، وشارك من سبقوه ومن عاصروه وزاملوه في وضع سياسة التعليم، ودرس طه مناهج التعليم في الدول الأوربية والأمريكية دراسة مُسْتوعبة، حتى إن طه عندما كان وزيرًا للمعارف ابتعث الأستاذ سيد قطب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ليدرس مناهجها الحديثة في التربية والتعليم.

ولما تحدث فهد بن عبدالعزيز إلى الدكتور طه حسين وأحاطه علمًا بما كان قد أعد من «الخرائط» التي سبقت الإشارة إلى شيء منها شهد له بالعبقرية والعلم الحق بسياسة التربية والتعليم، وشهد له بالبراعة الفائقة في إعداد الخطط والخرائط إعدادًا يحمي الأجيال الناشئة من الانحراف في المعتقد والخلق، ويربيها على منهج الإسلام الحق القويم مما يزيد في ترسيخ الإيمان بأن دينه خير دين، ويحوي الخير كله.

الحق أن طه حسين أعجب بمنهج فهد في التربية، وبسياسته الحكيمة الرشيدة في التعليم الذي رسم له مستقبله على أساس إسلامي.

---

(١) في فصل بعنوان: «مستقبل الثقافة بين الدكتور طه حسين والملك فهد» من هذا الكتاب ذكر موجز لما دار بينهما من حديث في مستقبل الثقافة.

وقد تحدث الدكتور طه حسين عن إعجابه بخطط فهد التعليمية إلى الأستاذ ناصر المنقور[١] رئيس الوفد السعودي في الدورة الثقافية، وإلى الأستاذ إبراهيم العنقري[٢] اللذين شرحا للعميد ما أوجز الملك فهد، وقد كانا معه في وزارة المعارف، وما يزال جلالته يذكرهما في ندواته وحواراته العلنية.

والإنسان الذي وضع سياسة التعليم، واجتهد في إعدادها وتطبيق مناهجها عندما يحين أوان جَنْي كل مرحلة يظهر أنه إنسان كبير بعقله وعلمه وثقافته ومعارفه الإنسانية.

وفهد هذا الإنسان مشهودٌ له بالعبقرية المتفتحة والبصيرة الملهمة والعقل الراجح، والعلم الغزير، والثقافة الواسعة، لأن تلك الخطط والمناهج وسياسة التعليم في كل مراحله لن تكون وليدة من تلك المواهب والقدرات عند فهد العبقري العظيم.

وبقيت مؤسسة تعليمية كبرى مسؤولة عن المرحلة التعليمية العالية والعليا يجب أن تذكر ليتم بذكرها المقال في تعليم فهد وثقافته، تلك هي وزارة التعليم العالي الذي كان تابعًا لوزارة المعارف، فلما كثرت عليها الأعباء دخل الوقت المناسب لإفراد التعليم العالي بوزارة خاصة به.

ولم يكن إفراد التعليم العالي بوزارة حدثًا مرتجلًا، بل كان أمرًا مدروسًا من قبل فهد، ومرسومًا في خرائط التعليم التي أعدها، ومذكورًا في مراحله التعليمية، ولهذا قامت وزارة التعليم العالي في أوانها المرقوب، ولم يحدث انفصال التعليم العالي عن وزارة المعارف أي ارتباك في أعمال الوزارة السابقة والوزارة الجديدة.

---

(١) تقلب الأستاذ ناصر المنقور في مناصب رفيعة، وكان من أقطاب وزارة المعارف ومطوريها.

(٢) أحد أقطاب وزارة المعارف الذين شاركوا في تطويرها وتقلب في مناصب رفيعة.

ومن توفيق الله لسياسة فهد التعليمية الرشيدة أن ينقل وزير المعارف نفسه: الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ إلى الوزارة الجديدة حتى تستطيع أن تمشي في الطريق المرسوم لها بخطوات متزنة ثابتة، وكذلك كان، فقد قاد سفينة وزارة التعليم العالي قيادة رشيدة، وأجرى لها الرياح كما يشتهي قائد السفينة.

واختير لوزارة المعارف وزير من بيئة العلم والتعليم، وذو خبرة فيهما ألا وهو الدكتور عبدالعزيز الخويطر الذي تسلم الأمانة واضطلع بها خير اضطلاع، وكان في الوزارة من الناجحين المفلحين.

وروافد وزارة التعليم العالي معدودة، إذ يصب فيها نهر وزارة المعارف الدفاق، ونهر رئاسة تعليم البنات، وكليات قوى الأمن، والكليات العسكرية، والوزارات التي تبتعث من تحتاج إليهم.

وأنشئت وزارة التعليم العالي بالمرسوم الملكي ذي الرقم ١/ ٢٣٦ والتاريخ ٨/ ١٠/ ١٣٩٥هـ لتكون مسؤولة عن مراحل ما بعد التوجيهية.

وخلال بضع السنوات الماضية على إنشاء وزارة التعليم العالي تضخمت تضخمًا كبيرًا، واستطاعت خلال هذه المدة أن تزود بعشرات الآلاف من حملة الشهادات الجامعية في جميع صنوف المعرفة، بل لدينا آلاف من البنات يحملن شهادات الجامعة بما فيها العالمية (الدكتوراه).

وما يزال سيل هؤلاء يتدفق كل عام، ويكفي أن يعلم القارئ أن سبع جامعات كبرى عدا الكليات العسكرية والمعاهد المختلفة تخرج كل سنة دراسية آلافًا كثيرة بنين وبنات يحملون من الإجازات الجامعية ما يسمى الليسانس والبكالوريوس والماجستير والدكتوراه، عدا مئات من الدارسين العائدين من أوربا وأمريكا وآسيا من الجنسين يحملون أرقى الشهادات وأعظم الخبرات.

ويزداد كل عام عدد المبتعثين إلى خارج المملكة، وكلما عاد واحد حل محله اثنان حتى بلغت نفقات المبتعثين السعوديين إلى الولايات المتحدة

وحدها مئات الملايين من الدولات، بل تزيد على خمس مئة مليون دولار سنويًا، عدا المبتعثين إلى آسيا وأوربا.

وهذه النهضة التعليمية العظمى مدينة لفهد بن عبدالعزيز بما ينفق على التعليم بجميع مراحله وبكل صنوفه من الملايين إلى عشرات البلايين، وقال جلالته: «إن الحاكم العادل يسعده أن يحكم شعبًا متعلمًا عزيزًا». وهذه سمة حكومة فهد، فهو لا يريد أن يُعلِّم نفسه بسلب حقوق الشعب من التعليم ويأخذه لنفسه، وكذلك لا يريد أن يعز نفسه بسلب أفراد الشعب عزتهم، لأن ذلك كله ظلم يقوض الحكم من أساسه.

إن الملك العالم الفاضل العادل الرشيد من يحكم متعلمين وعلماء، والحاكم الذي يتمتع بعزته النبيلة من يحكم الأعزة، ولهذا نجد الملك فهدًا شديد العناية بكل فرد من الشعب، يريد أن يجعله إنسانًا صحيح الجسم والعقل متعلمًا عزيزًا مرفوع الرأس، وينفق على أفراد شعبه ما لا تنفقه حكومة على شعبها.

وليست وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات ووزارة التعليم العالي وحدهن المؤسسات التعليمية وإن كنَّ وحدهن المشتغلات بالتعليم وحده، فهناك مدارس ومعاهد وكليات للحرس الوطني ووزارة الدفاع والطيران، ووزارة الداخلية، ووزارة البرق والبريد والهاتف، ووزارة العمل والعمال والشؤون الاجتماعية، ومؤسسة الخطوط الجوية وغيرها.

وطفرة البلاد السعودية في مجال العلم والتعليم وانفجارهما الهائل مدينان للملك فهد الذي كان وراءهما منذ ثلاثين سنة عندما تسلم وزارة المعارف يوم إنشائها فوضع هو نفسه «خرائط» التعليم وشق له طرقه، ولم يفارق قط العلم والتعليم إذ سلم وزارة المعارف لمن خلفه، بل كان الملك فهد مراقبًا لخططه حتى اليوم، فكأنه هو المشرف الرسمي على العلم والتعليم ؛ بل هو المشرف حقًا.

ولهذا كانت طفرة التعليم وانفجاره مدينان للملك فهد، وما يزالان مدينين حتى اليوم لفكره وجهوده وعبقريته التي خططت لتبرز كل فكرة له في إبانها وموسمها حتى تعطي خير ثمارها، ومنها سبع الجامعات اللاتي هن:

الأولى: جامعة الملك سعود بالرياض التي أنشئت وبرزت إلى الوجود سنة ١٣٧٧هـ، وهي أولى الجامعات إذ ابتدأت حياتها بكلية واحدة هي كلية الآداب، ولكن، سبقت مكة المكرمة حرسها الله بإنشاء كلية الشريعة، واللغة العربية، وكلية المعلمين.

الثانية: جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، أنشئت سنة ١٣٨٧هـ من قبل بعض المواطنين على رأسهم الشيخ محمد أبو بكر باخشب باشا الذي تبرع بمليون ريال، وهو الذي اختار لها الاسم قدرًا منه للملك عبدالعزيز رحمه الله، ووافقه زملاؤه أعضاء مجلس إدارة تأسيس الجامعة الذين أذكر منهم الأساتذة الكرام: عبدالمجيد شبكشي، وأحمد عبيد، وأحمد صلاح جمجموم، ومحسن باروم، ثم تحولت إلى جامعة حكومية بعد أن كانت جامعة أهلية، لأن نفقات الجامعة في بلادنا لا يستطيع أفراد احتمالها لمجانية التعليم، وللمكافآت التي يحصل عليها الطلاب ليستعينوا بها أمور معيشتهم.

ولما تحولت الجامعة إلى الحكومة قررت ضم الكليات القائمة بمكة المكرمة إليها مع فتح أقسام جديدة، والتوسع في الكليات القائمة وأقسامها، وصارت فرعًا لجامعة الملك عبدالعزيز.

الثالثة: جامعة البترول والمعادن بالظهران التي أنشئت من قبل الحكومة سنة ١٣٩٤هـ لتطور كلية البترول والمعادن بالظهران التي أنشئت سنة ١٣٨٣هـ، ولما قامت الجامعة رؤي إنشاء كليات جديدة مع فتح أقسام لها حتى تستكمل الجامعة، وتعد هذه الجامعة اليوم من

أعظم جامعات البترول والمعادن في العالم، بل تكاد تأتي في الترتيب بعد الولايات المتحدة، بل هي على التحقيق ثانية جامعات العالم في اختصاصاتها.

الرابعة: جامعة الملك فيصل بالدمام، أنشئت سنة ١٣٩٥هـ ومع أنها حديثة الميلاد فإنها قد تطورت بسرعة، وحوت كليات معدودة، وصارت من الجامعات العظيمة ذوات الثقل في ميزان العلم.

الخامسة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أنشئت سنة ١٣٩٤هـ ولها فروع في أبها بعسير وفي القصيم شمال نجد، وبها كليات كثيرة في علوم الدين والقرآن والحديث ومختلف العلوم والآداب واللغة العربية، ولكل كلية أقسام، وصارت من أكبر الجامعات وأعظمها في الشرق، وطفرت طفرات واسعة وعالية.

السادسة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أسست سنة ١٣٨١هـ، وتحوي كليات كثيرة ذوات أقسام، وهي جامعة فريدة من نوعها في العالم، فهي مؤسسة من أجل غير السعوديين وإن كان منهم عدد قليل، ولعل نسبة السعوديين تقل عن ٥ ٪، وأما غيرهم فهم من أكثر من مئة دولة، فيها من أوربا ومن أمريكا، ومن القارات الأخرى، ومن بين الطلاب طلاب أسلموا فأقبلوا إليها ليأخذوا الإسلام وعلومه من نبعه الصافي ومصدره الأصيل، ويدرسوا بها علوم القرآن والتفسير والحديث ومصطلح هذه العلوم والفقه والتوحيد وعلوم العربية وغيرها من العلوم التي يحتاج إليها الدعاة إلى الله في هذا العصر الحديث، ويعد طلاب هذه الجامعات إعدادًا خاصًا حتى يعودوا إلى بلدانهم ليكونوا أساتذة بجامعاتها ومعاهدها العالية، أو ليشغلوا مناصب القضاء والإفتاء أو المناصب التي لا يشغلها إلا من يكون مؤهلًا بالتعليم العالي.

ومن مكرمات المملكة العربية السعودية التي تفردت بها دون كل أقطار العالم أنها تتكفل بسكن طلاب هذه الجامعة ومعيشتهم وكتبهم وبنقلهم من بلدانهم أنى كان موقعها ذهابًا وإيابًا بالطائرة، وتُعِينهم بعد التخرج بما يحتاجون إليه.

ومن المتخرجين من يحبون أن يكونوا دعاة إلى الله في بلادهم أو البلدان المجاورة فتتكفل الجامعة بنفقات الدعوة وبمرتب يكفيه للتفرغ للدعوة، وهم يكونون على صلة وثيقة بالجامعة.

وإن مئات من هؤلاء الخريجين قد انتشروا في القارات وبخاصة في أفريقيا، ويزداد كل عام عددهم، وقد نجحوا جميعًا في دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتكريمًا من الملك فهد للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قام قبل شهور بزيارتها التي كان لها أطيب الأثر في نفوس طلابها من غير السعوديين الذين رأوا أخلاق الإسلام في الملك فهد المتواضع العالم الفاضل الذي أعطى أجمل صورة للملك في الإسلام، وصاروا على ثقة تامة عبروا عنها لجلالته بأنهم سعداء أن رأوا الملك الخليفة الصالح المتواضع الذين تزاحموا عليه فلم يضِق بهم، بل كان مبتهجًا بتزاحمهم عليه، وانتهز بعضهم الفرصة فقدموا لجلالته «عرائض» خاصة يطلبون إليه فيها حاجات ذكروها له، فكان عند حسن ظن كل منهم.

السابعة: جامعة أم القرى، وقد أنشئت سنة ١٤٠٢هـ، وكانت من قبل فرعًا من جامعة الملك عبدالعزيز، وكان قوام الفرع كلية الشريعة واللغة العربية أقدم كلية على الإطلاق بمكة المكرمة، فضمت إلى جامعة الملك عبدالعزيز فرعًا لها بمكة، وضمت إليه كلية التربية بأقسامها المختلفة، فلما أنشئت جامعة أم القرى بادرت إلى فتح كليات

جديدة حتى أصبحت الجامعة خلال هاتين السنتين تحوي كليات كثيرة بأقسامها المختلفة، واتسعت اتساعًا عظيمًا، وصارت تعطي الإجازات الجامعية من ليسانس أو بكالوريوس وماجستير ودكتوراه.

ومن توفيق الله أن في الجامعات السبع مئات الأساتذة الجامعيين الكبار المفلحين ممن أحيلوا على المعاش في بلدانهم فتعاقدت جامعاتنا معهم، وجاؤوا إلى بلادنا مكرمين فاستقبلتهم جامعاتنا بحفاوة وتكريم لتتناول منهم عطاء سخيًا وأُكُلًا ناضجًا، أحالتهم ديارهم إلى المعاش وأقعدتهم بعد أن نضجت ثمارهم، وغفلت أن تقطفها فأعطوها أبناءنا في أريحية وبر وإخلاص.

وهناك معاهد وكليات جدُّ متطورة انبثقت من غير المؤسسات التعليمية الثلاث: وزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات، ووزارة التعليم العالي، وأخذت تلك المعاهد والكيات تتسع وتتنافس فيما بينها، وتنافس كليات الجامعات.

والبلاد السعودية حكومة وشعبًا تُقَرِّر أنها مدينة في نهضتها التعليمية الكبرى المستمرة للملك فهد عندما كان وزيرا للمعارف إذ وضع للتعليم في جميع مراحله أساسًا ومنهجًا وخطة وخرائط للنهضة التعليمية، ورسم لها طريقها حتى تستمر ما بقي هذا الشعب تصحبه في خطاه إلى الإمام وفي تطوره وتقدمه الحضاري السريع.

وتدعوني هذه المناسبة التي أؤلف فيها هذا الكتاب أن أؤكد ما أقول بشهادات ممن حملوا أمانة العمل مع الملك فهد عندما كان وزيراً للمعارف فأخذوا عنه برامجه وخططه وخرائطه التي وضعها لنهضة التعليم الكبرى المستمرة، وبعد انتقال جلالته من وزارة المعارف إلى شغل منصب وزير الداخلية؛ وتنفيذه هو نفسه ما كان قد أعده، وترك لمن خلفوه تنفيذ ما يبقى تحت إشرافه.

من هؤلاء الأستاذ عبدالوهاب أحمد عبدالواسع وزير الحج والأوقاف الذي نقله الملك فهد إلى وزارته ليعمل معه، فلما انتقل جلالته إلى وزارة الداخلية يجددها ويطورها ترك وزارة المعارف وهو مطمئن إلى أن ما أعده قد نفذ منه ما استطاع، وما يبقى تنفيذه سينفذ بمشيئة الله، لأن في وزارة المعارف من أعدهم ليبقوا في المعارف يتولون التنفيذ، وهو لين ترك ما أعد من إشرافه.

يقول الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع أحد أقطاب وزارة المعارف في كتابه «التعليم في البلاد السعودية»:

«إني مدين فيما ساهمت به من مشاركة في المسيرة التعليمية بالفضل الكبير بعد الله لصاحب السمو الملكي الأمير الجليل فهد بن عبدالعزيز الوزير الأول للتربية والتعليم في بلادنا الناهضة، وذلك حينما شرفني بالعمل في وزارة المعارف بعد أن نقل خدماتي إليها، وتدرجت في إداراتها المختلفة، وتدربت على مختلف أمورها، وإن كان لي من حق أن أصف جهد سموه في هذا الميدان الفعال فإني أستشعر أن نجاح هذا المرفق الخطير كان مدينًا لكريم جهده، وعظيم نشاطه، وكبير فاعليته، وإلى اجتذابه المواطن الناشئ وتوجيهه ليحمل مسؤولية بلاده، وليجرب به عظم هذه المهمة حتى حقق هذه المعجزة التعليمية الشامخة الصرح التي نلمس آثارها في كل قرية أو مدينة وكل بيت ومصنع».

ويقول الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع: «ولن أنسى أن أذكر جهود خلفه وزيرنا الشاب صاحب المعالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ الذي حمل الأمانة بعزيمة ومضاء، وسار في الطريق الطويل الذي شمل الشبان بفضله، وحباهم من وقته، ورعاهم بعطفه، واستشعر الواجب يسعى به للنماء».

وبعد أن رعى الوزير الأول للمعارف فهد بن عبدالعزيز التعليم بجميع مراحله، ووضع خطط السير لمن يخلفونه، ورسم لهم خارطة التعليم

التنظيمية من مرحلة الحضانة إلى ختام المرحلة الثانوية، ووضع بين أيديهم خارطة المراحل الجامعية، حتى إذا أكمل البناء ووضع خطط مستقبل التعليم في المملكة للشخوص عليه، وسلم الأمانة لخلف طيب هو العالم الفاضل الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ الذي وجد في الوزارة من عملوا مع سلفه، فاطمأن إليهم، فأضيف إلى خبرتهم وإخلاصهم خبرته وإخلاصه، وقاد مسيرة التعليم قيادة ناجحة حكيمة.

وبعد سنوات الكدح والسهر والدأب والعمل من قبل وزير المعارف الشيخ حسن الذي اتبع نهج سلفه فهد بن عبالعزيز فنجح نجاحًا باهرًا، وتدفق على يده العطاء الجم المتتابع، مما جعل من وثقوا به وجعلوه وزيرًا للمعارف ومعهم الشعب سعداء بوزيرهم حسن بن عبدالله آل الشيخ.

وكنا ذات مرة بمكتب معاليه بالوزارة بالرياض إذ زاره أحد الإخوة العرب من غير السعوديين، وأثنى على جهود معاليه وهنأه على تحقيق هذه «الإنجازات» الضخمة وفتح جامعة الملك سعود، وابتعاث البعوث إلى أوربا وأمريكا وآسيا وإفريقيا ليتلقوا التعليم العالي والأعلى، وقد شاركناه في التهنئة وأيدناه فيما قال، فإذا معاليه يقول:

«كل ما أشار إليه الأخ صحيح، ولكن الفضل لله ثم للأمير فهد بن عبدالعزيز، فهو باني وزارة المعارف، والمخطط الأول لهذا التوسيع الكبير إلى أبعد حد، ولتأسيس جامعة الملك سعود بالرياض، ولكل ما سيتحقق من مشروعات جديدة ضخمة على مر الأيام، كل ذلك من جهد سموه وأفكاره، وإن من توفيق الله سبحانه وتعالى، ومن حسن حظ هذه البلاد أن جعل سموه وزيرًا للمعارف فصنع كل هذا الذي ترى، وفي الطريق مشروعات مدروسة ومخططه سيظهر كل مشروع منها في أوانه بمشيئة الله».

وفي خطب مديري جامعاتنا التي زارها الملك فهد إشادة بجلالته بصفة كونه رائد النهضة التعليمية والعلمية في المملكة العربية السعودية، وهو ناشر العلم في كل أرجاء من أرجائها الواسعة حتى دخل كل بيت فيها.

وما نقوله جميعًا في الثناء على الملك فهد وتعداد مآثره الجليلة ومفاخره حق، ويشعر جلالته بسرور يغمره كلما رأى قدر أبناء شعبه إياه قدرًا هو أهل له، لأن ذلك يشعره بأنه خدم وطنه وشعبه أجلّ خدمة، وبأنه يؤدي ما يجب عليه أحسن أداء.

وعندما رجا مؤلف كتاب «التعليم في المملكة العربية السعودية» الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع من جلالته أن يكتب له مقدمة مؤلَّفه سُرَّ بذلك، لأنه يذكره بعهد جميل رائع لا ينساه، وجاء في مقدمته التي كتبها جلالته ما نصه:

«كتاب يسجل الواقع، ويضيء الطريق إلى مستقبل مجيد ننشده جميعًا لوطننا العزيز، وقد وجدتها فرصة لكي أشد أزره (يقصد جلالتُه أزرَ المؤلف) وأشجعه على تحقيق أمل أصدقائه، فأنا أستشعر بطبيعتي أني مشدود إلى العملية التعليمية؛ وإلى حب التربية وتنمية كل ما من شأنه أن يحقق مفهومها ويشع أهدافها في ضوء تجاربي في التعليم خلال فترة عزيزة على نفسي».

وما ذكره الملك فهد عن نفسه حق أيضاً، فهو مشدود في كل وقت بالعلم والتعليم ما يكاد يفارقهما، بل هو شديد الاتصال بهما وبوزيرهما وبكل المشتغلين بهما.

وكلما قام مشروع علمي ضخم أخذته هزة الفرح والغبطة، لأنه المخطط له، والراسم خارطه، فهو سعيد كل السعادة لأن ما كان قد فكر فيه ورسم له خارطته صار واقعًا مشهودًا.

ووفاءً من جامعة الملك سعود واعترافًا بفضل فهد وبمناسبة مرور ربع قرن على إنشائها رأى مديرها الدكتور منصور التركي وأساتذتها وكل العاملين بها وطلابها أن يحتفلوا بصاحب فكرة إنشائها وراعيها الملك فهد، فدعوه إلى حفل تكريمه المقام بعد مغرب يوم الخميس ٢١ شعبان ١٤٠٣هـ

فلبى الدعوة الموجهة إليه وإلى ولي عهده، ونائبه الأول الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ونائبه الثاني وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبدالعزيز وإخوته الأمراء حتى إذا شرف الحفل ضجت أكف عشرات الآلاف وحناجرهم بالتصفيق والهتاف باسم باني النهضة العلمية الكبرى فهد العظيم.

ولقد احتشد الآلاف في الشوارع القريبة من مكان الحفل كما احتشد عشرات الآلاف من طلاب جامعة الملك سعود ومن طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وطلاب المعاهد والمدارس المهنية والمدارس الثانوية جاؤوا يشاركون جامعة الملك سعود حفلها، إذ حقهم في مليكهم واحد عن آلاف الجنود من قوى الأمن والدفاع والحرس الوطني، ومعهم من أفراد الشعب رابطوا بين يدي شاشة التلفزيون يشاركون في الحفل بمليكهم المفدى بحق.

وقد ناب عن الشعب والجامعات والأساتذة والطلاب جميعًا مدير الجامعة العالم الفاضل الدكتور منصور التركي في الترحيب بالملك مرتجلًا هذه الكلمة:

«صاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، الرئيس الأعلى للجامعات:

أصحاب السمو الملكي

أصحاب المعالي

أيها الإخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

يا صاحب الجلالة، هذه إحدى الجامعات غرس يديكم، رعيتموها وليدًا، وتابعتموها تخطيطًا، ودعمتموها دعمًا، وواليتموها بتوجيهاتكم التي جعلت منها واحدة من أهم الجامعات في المنطقة العربية، وأصبحت

تضاهي في مستواها العلمي وفي إمكاناتها العلمية أحسن الجامعات العالمية.

يا صاحب الجلالة، باسم أبنائكم أرحب بكم، وأشكر لكم هذه اللفتة الكريمة، ونحن جميعًا نتطلع إلى سماع جلالتكم، فتفضلوا يا صاحب الجلالة».

وما كان جلالته يتهيأ لإلقاء كلمته ويأخذ مكانه من مكبرات الصوت وناقلته حتى عادت حناجر عشرات الألوف تضج بالهتاف الصارخ المدوي باسم جلالته ؛ والتصفيق الحاد، ورد جلالته تحية مدير الجامعة والأساتذة والطلاب والمدعوين بخير منها وقال:

«لا أدري في الحقيقة ما أقول، ولكني أستطيع أن أقول لكم: إني عشت مع هذه الجامعة منذ نشأتها، ولست أنا وحدي الذي ساهمت، ولكن هناك بعض الإخوان ممن شاركوا في بناء التعليم منهم الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع والأستاذ إبراهيم العنقري وكثير من الإخوان غير موجودين الآن، بل هم في أعمال حكومية خارج البلاد مثل الأستاذ ناصر المنقور».

وقال جلالته: «الجامعة - في الواقع - كانت فكرة مبسطة، وفي ذات الأمر كنا مدركين أنه من غير الممكن أن تبرز هذه الجامعة إلا على سواعد أبناء الوطن، وفي أثناء ذلك تمر مرحلة اقتنعنا فيها بأننا لا نزال في بداية الطريق فيما يتعلق بإيجاد الكوادر التي تستطيع أن تؤدي الواجب بالنسبة للتعليم، فكانت بداية التعليم في نظري أنا أنها سبقت تشكيل وزارة المعارف، وعلى ما أعتقد عام ٧٤ و ١٣٧٥هـ.

وإن النهضة التعليمية في المملكة سارت بخطى حثيثة وثابتة خلال السنوات القليلة الماضية، وتحققت إنجازات كثيرة حيث كان عدد الطلبة والطالبات عام ١٣٧٣ و ١٣٧٤هـ لا يتجاوزون خمسة وثلاثين ألفًا أو أقل، وكان عدد المدارس الثانوية لا يتجاوز أربعًا، أما الآن فقد بلغ عدد الطلبة

والطالبات هذا العام مليونًا وثمان مئة ألف ولدينا سبع جامعات وعشرات الآلاف من المدارس مما يؤكد اهتمام الدولة بمرفق التعليم، ويؤكد بلوغ المملكة أرقى مستويات التطور».

وقال جلالته:

«إن الدولة لن تبخل بإقامة جامعة في أي مكان بالمملكة بشرط توافر الأيدي السعودية، وإن جامعة الملك سعود أُمّ الجامعات السعودية، وهي في قلبي ومشاعري».

ومما قال جلالته هذه القطوف:

«إنني أؤمن أن للسؤال والجواب أهمية كبرى، وأرحب بالرد على أي سؤال كتابة أو شفاهًا، والطريقة المتبعة في المملكة هي لا حاكم ولا محكوم، وإن جميع المواطنين في إخاء واحد، والمواطن السعودي يشعر بذلك، ويدرك أنه لا حواجز بين المواطن والمسؤول».

و«إن الفتاة السعودية حقها وواجبها مثل الفتى السعودي، وليس هناك أي مانع في أن تتعمق في الدراسة المفيدة البناءة، وأن تصل إلى ما تصبو إليه في مجال الدراسات العليا على أن يتفق ذلك مع عقيدتنا الإسلامية».

وختم الملك فهد كلامه وحواره مع أبنائه الطلبة بقوله:

«إننا في هذه البلاد نعتمد على الله وعلى عقيدتنا السمحة لا يضرنا من عادانا، ولا يضيرنا من أراد أن ينال منا بأي حال من الأحوال ؛ لأنه لا يستطيع، وإن ما حصلنا عليه من نهضة وتطور في هذه الفترة القصيرة مبني على أساس تمسكنا بعقيدتنا الإسلامية التي سندافع عنها بالنفس والنفيس، وسنجعلها القدوة في تشريعاتنا وتنظيماتنا، وإننا لنؤمن إيمانًا كاملًا أنه لن يكون هناك نصر للأمة الإسلامية سواء أكانت عربية أم غير عربية إلا بالالتفاف حول العقيدة الإسلامية».

ويصدر الملك فهد في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته عن الإيمان الحق

بأن الإسلام دين الله الذي ارتضاه للبشرية كلها عقيدة وشريعة وآدابًا وسلوكًا واجتماعًا، ويعزو ما تنعم به مملكته من سعة في الرزق، ورخاء في العيش، وعلم نافع، ومجد باذخ، وتقدم وازدهار، وسمعة حسنة في العالم إلى تمسكنا بدين الله، وطلب العز به.

وعرضنا في بحثنا هذا بشيء من التفصيل صنيع فهد بن عبدالعزيز للتعليم ليدرك القارئ من خلال ذلك اضطلاعه بمهام هذه النهضة التعليمية الكبرى التي لا يمكن أن يضطلع بها إلا ألمعي على علم واسع، وإلا لما استطاع أن يخطط لمستقبل الثقافة في المملكة العربية السعودية.

ولتظهر ألمعية الملك فهد في تخطيطه لمستقبل الثقافة في بلاده نقرر أن تخطيط فهد خير من تخطيط الدكتور طه حسين لمستقبل الثقافة في بلاده، والفارق الكبير بين التخطيطين: أن طه حسين - غفر الله له - أراد أن يجعل مستقبل الثقافة في مصر منقولًا عن الغرب وبخاصة فرنسا، ليتسنى لمصر أن تكون أوربية التفكير والتعليم والمنهج.

وما رآه الدكتور طه حسين لا يحسن ببلد عربي مسلم، لأن ما رآه يفقد مصر شخصيتها العربية المسلمة.

أما تخطيط الملك فهد لمستقبل الثقافة فمبني على المحافظة على شخصية بلاده العربية المسلمة، وتزويدها بعلوم العصر الحديث وحضارته العلمية، ليضاف إليها ما يزيد إيمانها بدينها، وثقتها بنفسها فيجتمع لها المجدان: مجد الدين ومجد الدنيا.

وبرهان ذلك أن مئات من أبنائنا تلقوا علوم الحضارة الحديثة من طب وتكنولوجيا وجيولوجيا وعلوم الفضاء والذرة والصواريخ إلى مختلف فنون الهندسة والمعادن والبترول وغيرها من العلوم تلقوها في الدول المتقدمة جدًا كالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا دون أن تتغير شخصيتهم العربية المسلمة، بل زادت قوة بما أضافت إلى تليدها طريقًا هي في حاجة إليه.

هم أخذوا من الغرب علومه الحديثة المتقدمة المتطورة، ولم يستطع أن يأخذ الغرب منهم إيمانهم ومعتقدهم وأخلاقهم، وفي ذاكرتي أربعة منهم درسوا بالغرب ونالوا من أرقى جامعات الغرب، فعادوا بالعلم خيرًا مما كانوا، فقد رأوا تدهور الغرب خلقًا.

هؤلاء هم: الدكتور عبدالرحمن الأنصاري أستاذ بكلية آداب جامعة الملك سعود، والدكتور محمد سعيد القحطاني مدير جامعة الملك فيصل بالدمام، ومحمد عبده يماني المتخصص في الجيولوجيا ومدير جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ووزير الإعلام سابقًا، كانوا وقت دراستهم بالغرب نماذج رائعة للشاب المسلم الصالح، والدكتور بهاء حسين عزي.

وعرفت مئات من الشباب السعودي الذين يدرسون في أوربا وأمريكا، وزرتهم في مساكنهم، فإذا كل منهم لا يغادر بلده في المملكة العربية السعودية إلا ومعه مصحف وسجادة صلاة، وكل السعوديين طلابًا وغير طلاب يصحبون معهم في أسفارهم المصحف والسجادة.

ومما لا شك فيه أن مخطط فهد لمستقبل الثقافة في بلاده حفظ عشرات الآلاف من شبابنا من الوقوع في الزلل والخطأ والخطل وهم في بلاد الإباحية والخلاعة والمجون، وعادوا إلى بلادهم ليكونوا قدوة للناشئة والشباب في مكارم الأخلاق والتدين والعلم الغزير النافع.

وما اطلعت عليه من بحوث رجال التربية والتعليم في المناهج الدراسية وفي التربية كانوا مبهورين بحضارة الغرب فلم تكمل لهم الرؤية الصحيحة فأخطؤوا.

ولو أن فهدًا الأديب الكاتب العالم كتب آراءه وخططه في التعليم كما فعل هؤلاء لكان دستوراً لوزراء المعارف في العالم العربي والإسلامي، ولكن أعمال فهد وخرائطه التنظيمية للتعليم في كل مراحله أفصح تطبيقها عن نجاح مخططه وسلامة رؤيته للمستقبل الذي مهد له فإذا هو خير كله،

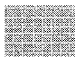
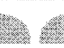
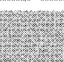
مستقبل زاهر مجيد ينعكس في الجامعات السبع ومئات المعاهد والكليات العسكرية وعشرات آلالاف من المدارس.

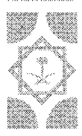
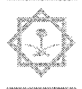
وأفضت النهضة العلمية الشاملة على النهضة في الصناعات والزراعة وفي كل شؤون الحياة حتى أصبحت المملكة العربية السعودية مثلًا رفيعًا في كل أمر من أمور الحياة، وذلك على نقيض رؤية طه حسين لمستقبل بلاده وتخطيطه له، فقد كان مخطط فهد مبنيًا على قواعد الأخلاق الفاضلة، وكان مخطط طه مبنيًا على قواعد الأخلاق كما تقررها حضارة الغرب التي لا تعرف مكارم الأخلاق.

وختام هذه الفصل قولنا: إن الملك فهداً رائد النهضة التعليمية الكبرى في المملكة العربية السعودية أسَّس دولة الإسلام الوحيدة التي تأخذ نفسها به عقيدة وشريعة، وهو مطوِّر التعليم فيها عندما كان وزيرًا للمعارف، وهو مؤسس التعليم الجامعي، ومخطط مستقبل الثقافة، وهو الذي طفر بالتعليم طفرًا عظيمًا مأمونًا من كل خطر، ونشره نشرًا على نطاق المملكة كلها حتى انتهى إلى كل رجأ من أرجائها.

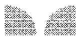
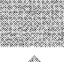
وأخيرًا نقرر أن الانفجار التعليمي المشهود في المملكة إنما هو ثمرة تفكير الملك فهد وعمله، فجزاه الله كل خير عن شعبه الذي هيأ له كل فرص العز والنجاح والتقدم، وجزاه عن شعوب الأمة العربية وعن شعوب الأمة الإسلامية، لأن الله أعز العرب بفهد وآل سعود كما أعز بهم المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

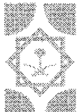
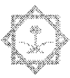


فهد وزير الداخلية




فهد وزير الداخلية

كانت وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية موجودة، ولكنها لم تكن وزارة ولا مستقلة في شؤونها، وإنما كانت إدارة تابعة لنائب الملك في الحجاز الذي تفرد بتصريف شؤونها عقوداً من السنين، ولعلها كانت أكبر إدارة تتبعه.

ولما أعيد تشكيل الحكومة بعد وفاة الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية وتولي الملك سعود أعيد تأسيس وزارة الداخلية، ورؤي إسنادها إلى الملك فهد بن عبدالعزيز، لأن وزارة الداخلية تكاد تكون الحكومة التي تصرف أمر الداخل، وينتهي إليها تنفيذ الأحكام، ويجب أن يكون على هذه الوزارة رجل معروف بالزكانة والفطنة وقوة العزيمة والعلم والحلم وبعد النظر وحسن الخلق والعفة الأمانة.

وما كان أمام الأسرة المالكة إلا فهد بن عبدالعزيز، فهو الذي يجمع تلك الصفات في شخصيته التي تمثل مجموعة من المواهب والقدرات يتفرغ لوزارة الداخلية؛ يزيد في قدرتها ويكمل ما هي في حاجة إليه، ويمدها بطاقاته أو بالطاقات المعروفة عن أبناء الملك عبدالعزيز.

ووزارة الداخلية - كما هو معروف - تضم إدارات ضخمة كبيرة وكثيرة، ويكفي أنها مسؤولة عن الأمن الداخلي وتنفيذ الأحكام، وترتبط بها كل إمارات المملكة المتسعة المترامية أطرافها.

ولهذا تختلف وزارة الداخلية في مهامها وأعمالها وحجمها عن وزارات

الداخلية في غير بلادنا عنها في بلادنا، فوزارة الداخلية السعودية دولة في داخل الدولة، ولهذا كانت وزارة في غاية الضخامة والسعة والمهام.

ويجب أن يكون وزير الداخلية آية في مكارم الأخلاق، وفي اليقظة والسهر على مصالح الأمة وأعراض أفرادها وأموالهم وكراماتهم وعلى أعراض المقيمين بالبلاد من غير أهلها، وعلى أمن مئات الآلاف من حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد النبي ﷺ يفدون خلال بضعة أسابيع من موسم الحج، تزدحم بهم مكة المكرمة والمدينة المنورة حرسهما الله وزادهما تشريفاً وتعظيماً والحرمان وطرقهما ازدحاماً شديداً ليل نهار دون انقطاع في كل ساعات اليوم الأربع والعشرين.

وحراس أمن المملكة ليس الجنود والضباط، بل أول حارس الملكُ وولي عهده، ووزير الدفاع والطيران، ورئيس الحرس الوطني، والثقة كلها على عاتق وزير الداخلية، وأمير منطقة مكة المكرمة وأمير منطقة المدينة المنورة.

ومهام وزير الداخلية أكثر وأعظم، فهو مسؤول عن أمن المملكة كلها وبخاصة طرق الحاج البرية، فلو أن حاجاً نسي شيئاً في الطريق البري أو في مقهى به كان وزير الداخلية مسؤولاً.

ولا يجرؤ أحد أن يلتقط لقطة إلا إذا أراد تسليمها لأقرب مركز رسمي، وبذلك كانت كل الطرق بالمملكة حتى الطرق الصحراوية آمنة لا مثيل لها في كل بلاد العالم.

وقبل العهد السعودي كانت طرق الحاج وبخاصة طريق ينبع إلى المدينة المنورة والطريق ما بين مكة والمدينة، وجدة إلى مكة، وطرق المشاعر المقدسة، حتى إن الحاج كان إذا عزم على الحج ودع أهله ووطنه وداع مفارق غير آيب، وكان الأعراب يقتلون الحجاج وينهبونهم، ويأخذون منهم الإتاوات، وكانوا يقطعون الطريق، حتى إنهم قبل العهد السعودي ببضع

سنوات ردوا قوافل الحجاج الذين أرادوا زيارة المدينة المنورة من رابغ الواقعة في منتصف الطريق بين مكة والمدينة.

وقد سمعنا من آبائنا وإخواننا الكبار قصصاً عن قطع الأعراب للطرق، وقتل الحجاج والزوار، وحفلت كتب الرحلات بذكر الفظائع من حوادث النهب والسلب والقتل، ولأمير الشعراء شوقي ـ رحمه الله ـ قصيدة طويلة من تسعة وثلاثين بيتاً، نكتفي بذكر الأبيات الأولى وهي[1]:

ضج الحجاز، وضج البيت والحرم ... واستصرخت ربَّها في مكة الأمُمُ
قد مسها في حماك الضر فاقض لها ... خليفة الله، أنت السيد الحكم
لك الربوع التي ريع الحجيج بها ... أللشريف عليها أم لك العلم؟
أهين فيها ضيوف الله، واضطهدوا ... إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
أفي الضحى وعيون الجند ناظرة ... تسبى النساء ويؤذى الأهل والحشم
ويسفك الدم في أرض مقدسة ... وتستباح بها الأعراض والحرم
يد الشريف على أيدي الولاة علت ... ونعله ـ دون ركن البيت ـ تستلم
نيرون إن قيس في باب الطغاة به ... مبالغ فيه والحجاج متهم
أدِّبه أدّب أميرَ المؤمنين فما ... في العفو عن فاسق فضل ولا كرم
لا ترج فيه وقاراً للرسول فما ... بين البغاة وبين المصطفى رحم
ابنَ الرسول فتى فيه شمائله ... وفيه نخوته، والعهد والشمم
ما كان طه لرهط الفاسقين أبًا ... آل النبي بأعلام الهدى ختموا
خليفة الله، شكوى المسلمين رقت ... لسدة الله هل ترقى لك الكلمُ
الحج ركن من الإسلام نكبره ... واليوم يوشك هذا الركن ينهدم

(١) القصيدة بديوان شوقي، الجزء الأول، ص ١١١-١١٤، طبع بالقاهرة.

من الشريف ومن أعوانه فعلت نعمى الزيادة ما لا تفعل النقم
عزّ السبيل إلى طه وتربته فمن أراد سبيلاً فالطريق دم

وكتب رحلات الحج تذكر فظائع قطع طرق الحج من قبل الأعراب، وبحسبنا شاهد من كتاب «مرآة الحرمين» على ظلم الأعراب للحجاج يغني عن الإكثار من الشواهد، وها هو ذا مؤلف «مرآة الحرمين» يقول في صفحة (٢٤٦) من الجزء الثاني تحت عنوان «حادثة المحمل في سنة ١٣٢٦هـ»:

«ولقد علمنا اليوم في هذا الشأن أن ركب المحمل الشريف برح المدينة في أول يوم إلى آبار علي، وفي اليوم الثاني وصل آبار درويش، وبرحها في صباح اليوم الثالث، ولما بعد عنها وصل إلى مضيق أولاد درويش قابلهم الأعراب بنار حامية فصعد في الحال نصف حرب المحمل وانقسموا إلى قسمين فوقف الملازم أحمد أفندي مختار ومعه مدفع مكسيم و(١٢) عسكرياً و«اليوزباشي» محمود أفندي صالح ومعه (٣٥) عسكرياً من المشاة على قمة المضيق من الجهة اليمنى وصعد حضرة «اليوزباشي» محمود أفندي رياض ومعه (٥٠) عسكرياً من المشاة ووقف على قمة المضيق اليسرى وكان حضرة رئيس المدفعية قد وضع مدفعاً من مدافع كروب في أول الركب بجهة تجعل المدفع في مأمن من نيران الأعداء وتمكنه من إرسال نيرانه عليهم ونصب المدفع الثالث في مؤخر الركب لدفع هجمات الأعراب من الوراء إذا أرادوا الإضرار بمؤخرة الركب، ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين نحو خمس ساعات وكانت الشمس قد ارتفعت فدحر الأعراب عن مواقفهم وصاحوا «الأمن والأمان» وطلبوا الصلح فحينئذ صدر أمر «قومندان» الحرس إلى القوات المحتلة للأكمتين بالنزول، فلما نزلوا من مواقفهم أسرع الأعراب إليها واحتلوها وصبوا على الركب ناراً حامية، وكان قد صدر الأمر إلى رجال مدفع كروب الذي كان موضوعًا في محل أمين بالتقدم إلى الأمام بغير حرس، فلما وصل إلى

مكان مكشوف صبت عليه الأعراب نيرانها فقتل واحد من العساكر وجرح أربعة ولم يبق مع المدفع إلا «جاويش» وعسكري ولا يمكنهما القيام بإطلاق المدفع أو إرجاعه إلى موقفه الأول فأرسل حضرة «القومندان» الملازم الأول أحمد أفندي مختار رئيس المدفعية ومعه نفر من الجمالة لتخليص المدفع فلم يبعد بهم حضرة الملازم المذكور قليلاً حتى تمكن منهم الخوف فعادوا وتركوه وحيداً فعاد واصطحب معه نفراً من المدفعية وقصد إنقاذ المدفع فوجدوا «الجاويش» والعسكري قد تمكنا من تخليصه وهما قادمان به فرجعوا جميعاً إلى الركب، وحينئذ قفل الركب عائدًا رأسًا إلى آبار علي، وفي اليوم التالي إلى المدينة وقد مات في هذه الحادثة عسكري من «الطوبجية» يدعى أحمد عرابيا ورجل من أهالي المنيا وامرأة من سكان القرى ويقال: إن الذي جرح في هذه الواقعة من الأعراب نحو (٣٥) على أن الروايات مختلفة في تقدير عددهم.

وكانت هذه الواقعة الثالثة، لأن الأعراب قابلوا الركب عند ذهابه إلى المدينة وصوّبوا عليه نيرانهم فأعطاهم أمير الحج (١٥٠) جنيهًا فأخلوا له الطريق غير أنه لم يطل سير الركب حتى قابله الأعراب مرة ثانية فتبودلت الطلقات النارية بشدة فارتد الأعراب على أعقابهم واستأنف الركب المسير إلى المدينة المنورة».

كان أداء الحج والعمرة والزيارة محفوفاً بالمكاره والأخطار، وكان الحجاج والعمار والزوار معرضين للنهب والسلب والقتل، وكان الأمن مختلاً في مكة والمدينة نفسهما، وكان الأعراب يقومون بالسطو ويهربون دون أن تستطيع الحكومة أن تضمن الأمن والحماية للرعية.

فلما دان الحجاز كله للملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٤هـ أنذر العربان في كل طرق الحجاز بأن أي أحد يقطع طريق المسلمين يطبق عليه شرع الله، وأخذ على شيوخ القبائل تعهدًا باجتناب الأذى، وعرف الأعراب أن ابن

سعود ليس كغيره، بل هو قوي بربه وبشرعه، وما جاء إلى الحجاز إلا لتحكيم شرع الله فيه، ولن يبالي بأحدٍ إذا فعل ما يستوجب العقاب.

وحج سنة ١٣٤٥هـ من إندونيسيا وحدها خمسة وتسعون ألف حاج، وازدحمت الطرق ما بين المدينة وينبع، وما بين المدينة ومكة، وما بين جدة ومكة، وما بين مكة والطائف، وكل الطرق المفضية إلى مكة المكرمة فلم تقع حادثة سطو على قوافل الحجاج، لأن ابن سعود أقسم بربه ألا يتهاون مع قطاع الطرق.

ونفذ شرع الله في كل مملكته الواسعة، فقتل القاتل، وقطع السارق، وأقام الحدود فهابه البدو ولم يجرؤ أحد منهم على أن يفعل ما كان يفعل به قبله. فلما أمَّن الملك عبدالعزيز الرعية والطرق ازدهرت الحياة الاقتصادية والتجارية، وأقبلت البلاد على الحضارة.

ومفهوم الدين عند ابن سعود ملخص في هذا البيت:

وما الدينُ إلا أنْ تُقام شعائرٌ وتُؤمَنَ سُبْلٌ بينا وشعابُ

وكان الأمن الداخلي شُغل الملك عبدالعزيز وأولاده وإخوته الشاغل، فهم قد أمَّنوا كل فرد في الشعب، لا يتجاوز أحد حده إلا كان بين يدي العقاب الزاخر السريع، فإذا ضبط قاتلٌ صباحًا وثبت عليه ما اتهم به أقيم عليه الحد بعد صلاة العصر، وهكذا في الحدود كلها.

ولما كانت المملكة العربية السعودية تكاد تكون ذات حدود مع أكثر أقطار الجزيرة العربية، وما كانت العلاقات بين المملكة وجاراتها طيبة فقد اقتضى حفظ الأمن أن يطوي كل مملكته تحت جناحه. فربط كل أجزائها ربطاً محكماً باللاسلكي، وجعل قواته المسلحة تحت أهبة الاستعداد، حتى إنه ليستطيع خلال أربع وعشرين ساعة أن يحشد أكثر من مئة ألف محارب.

ولما كان الأمن أعظم نعمة وجب حفظه وحراسته، فإذا قطع طريق من بضعة نفر فوجئوا بمئة من الصناديد يطوقونهم، وإذا أراد ذو قوة وجماعة

وقوامها (٤٠٠) مقاتل أن يفسد في الأرض حاصره ببضعة آلاف حتى يقضي على البغاة خلال سويعة كما فعل ابن سعود مع ابن رفادة الذي ثار وذلك سنة ١٣٥١هـ.

وقسم الملك عبدالعزيز مملكته أربعة أقسام: نجد قلب المملكة تحت حكمه المباشر ومعه بعض أبنائه، والحجاز تحت حكم ابنه ونائبه الملك فيصل، وجعل صديقه وقريبه عبدالله بن جلوي حاكماً على ما يعرف ـ الآن ـ بالمنطقة الشرقية، وأما جنوب المملكة ونجران فتحت إشراف الملك فيصل مع حكمه المباشر.

فوزارة الداخلية قبل تأسيسها كانت مهامها مقسومة بين ابن سعود وابن جلوي، وفيصل، كل منهم مسؤول عن منطقته.

وكان الحجاز أكثر تنظيماً في الإدارة وأكثر تحضراً وتعليماً، وكان الأمن العام غير معروف إلا في الحجاز، وكانت به إدارة الجوازات وشؤون الأجانب، كما كان به إدارات أخرى، وكل هذه الإدارات تتبع الإدارة العامة التي يديرها الملك فيصل، وترتبط بإمارات المناطق والمدن الحجازية.

وأسست بالرياض إدارة شرطة ترتبط بإدارة الأمن العام بمكة المكرمة، ثم أسس مدير الأمن العام بأمر الملك عبدالعزيز إدارة شرطة الأحساء سنة ١٣٥٧هـ.

والحقُّ أن إنشاء إدارة أمن عام يدين للملك فيصل كما يدين له إنشاء إدارات أخرى كثيرة للتعليم، والجمارك، والصحة، والإمارات وغيرها.

ثم أُخذت مهام وزارة الداخلية تكثر وتنشأ لها إدارات يستقل بعضها عن بعض، وكانت من عمل «النيابة العامة»، ومفهومها في البلاد السعودية يختلف عنه في مصر وغيرها، في بلادنا تطلق على أعمال نائب الملك في الحجاز وعلى الإدارات التي تتطلبها تلك الأعمال، أما النيابة في القانون:

فهيئة قضائية تقوم بإقامة الدعوى على متهم ونحوه نيابة عن المجني عليه فردًا كان أو مجتمعًا[١].

ثم أُنشئت وزارة الداخلية وشغلها اثنان من البيت المالك هما: الأمير فيصل بن تركي بن عبدالعزيز رحمه الله، والأمير عبدالمحسن بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة الحالي، وأضاف كل منهما إلى الوزارة جديداً، ونهضا بها.

ولما أرادت الحكومة تطوير وزارة الداخلية والنهوض بكل أقسامها مع إنشاء أقسام جديدة، وإدخال ما جدَّ من الأجهزة والآلات كالكمبيوتر وآلات التصوير رأت إسناد وزارة الداخلية إلى فهد بن عبدالعزيز الذي عرف عنه من العبقرية ويمن الطالع والفطنة فإذا هو عند حسن الظن به، واستطاع في خلال سنة واحدة أن يطور وزارة الداخلية ويجددها ويضيف إلى أقسامها أقساماً جديدة حتى أصبحت من أحدث وزارات الداخلية في العالم، وكل قسم بها استوفى كل متطلباته حتى صار مثلاً في التمام، فصار «خفر السواحل» جهاز أمن حديثاً، وفيه من الآلات والأجهزة الحديثة ما جعل كل سواحل المملكة شرقاً وغرباً تحت رقابة يقظة دقيقة، فلا تقع حادثة في أي مكان بهذه السواحل إلا اقترن العلم بها في لحظة حدوثها.

أما جهاز الأمن العام فقد طوره الملك فهد أعظم تطوير حتى صار في أرقى مستوى انتهى إليه جهاز الأمن في أرقى دول العالم.

واقترن بتطوير وزارة الداخلية ونهضتها الشاملة فطنة فهد بن عبدالعزيز التي أدت إلى مكافحة الجرائم قبل وقوعها، والقبض على المجرمين في لحظة وقوعها، وضبط الأمن في كل شبر من أرض المملكة الواسعة.

وكما قال أمير الشعراء شوقي رحمه الله:

---

(١) المعجم الوسيط الذي أصدر المجمع اللغوي المصري مادة نوب.

* مَنْ رعى أمرًا عظيماً لم ينَمْ *

فإن اضطلاع فهد بوزارة الداخلية اضطرته إلى اليقظة والسهر والتنبه لكل ما يحدث، فقد رأى ذات مرة سائق سيارة مضطرباً في قيادتها، فوقفه ورأى «رخصة» السياقة التي يحملها، وردها إليه مصحوبة بنصحه.

حفظ في ذاكرته رقم الرخصة وتاريخها ومصدرها، وأدرك أن الجهة التي أصدرتها ليست أمينة، فبعث أحد من يثق به يتحقق فيما شك فيه، ورسم له خطة البحث والكشف، وصح حدس العبقري فهد وزير الداخلية، فقد كان هناك عصابة من ثلاثة من الموظفين يتاجرون ببيع رخص قيادة السيارة والاستمارة واللوحات، ويعطون الرخصة لمن لا يعرف القيادة.

وكان في درج مكتبه صور «فراش» توفي، وأعطى الذي انتدبه للبحث والكشف صور الميت يستخرج له رخصة قيادة سيارة، فمضى المنتدب إلى الجهة التي تعمل بها العصابة، وهي المنطقة الشرقية، مضى إليها من الرياض صباحاً، وأعطى الصور والرشوة فصدرت رخصة باسم المتوفَّى الذي لم يكن يعرف قيادة السيارة، وقدم الرخصة لوزير الداخلية، فرأى «توقيعات» أفراد العصابة الذين بوغتوا برجال أمن يضبطونهم بالجرم المشهود، وثبت جرمهم وأنهم تسببوا في خسارة الدولة ملايين الريالات، وصودرت ممتلكاتهم وفاء للخسارة، واستردادًا لما أخذوه بدون حق.

ويعود إلى فطنة فهد وفراسته كشف بعض الجرائم والقبض على مقترفيها، ومنها جرائم قتل غامضة أدى رأيه السديد إلى كشفها.

ويجب على وزير الداخلية السعودية أن يكون على علم بشريعة الإسلام وملماً بالأنظمة والقوانين، لأن القضايا والمعاملات التي تُنْظَر من قِبَل إدارات الشرطة والمحاكم تنتهي بما تم فيها من تحقيق وإدانات وأحكام من قبل الشركة بمختلف أقسامها والمحاكم الشرعية وغيرها وإدارات «حسم

المنازعات» إلى وزير الداخلية الذي يرى تبرئة لذمته أن يدرس تلك القضايا والأحكام، فإذا اقتنع بصحة الأحكام أجازها وحوَّلها للتنفيذ ثم الحفظ، وإلا أمر بإعادة النظر والتحقيق تحريًا للمزيد من العدل وتوخيًا للمزيد من الحق والصواب.

وقد ردت معاملات وأقضية وأحكام إلى الجهات التي أصدرتها لكي تعيد النظر على ضوء ما يكون قد لاحظه وزير الداخلية، وكذلك كان شأن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ عندما كان نائباً لجلالة الملك عبدالعزيز، فقد صدرت صكوك شرعية من قبل المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة في قضية وقف حقق فيها القسم العربي بالأمن العام، ورفعت نتيجة التحقيق إلى الملك فيصل الذي درس القضية والصكوك دراسة متأنية من قبله فأصدر حكمه الشرعي الذي كان ثمرة دراسته وعلمه بالشريعة والقضاء فنقضت تلك الصكوك، وصدرت صكوك أُخر مبنية على الحق.

وقد رد فهد بن عبدالعزيز وزير الداخلية معاملات للأمن العام وإدارات الشرطة لإجراء مزيد من التحقيق أو إكماله في نقاط موضحة منه، ورد إلى المحاكم قضايا ومعاملات لإعادة النظر في الأحكام رجاء إصدار أحكام أخرى تتفق مع الحق الذي تبينه الوزير.

وبمثل هذه اليقظة والفطنة والتدقيق في الأقضية والأحكام حتى تعاد إلى مصادرها لا يتعجل الحاكم في حكم مخافة المحاسبة من المسؤولين الذين هم أكبر منه. وإن من حق الملك والأمراء التدقيق والتقضيب ضماناً للعدل، وإقامة للحق حتى لا يظلم بريء، أو ينجو مذنب.

ووزير الداخلية نفسه المسؤول الأول والأعظم عن الأمن، ومكلف قبل غيره بحفظ الأمن في المملكة الشاسعة المترامية أطرافها في البوادي، وفي الجبال، وفي الكهوف، وفي المجاهل التي تحتويها البوادي والصحاري، ومكلف قبل غيره بحفظ الأمن في الحضر، في المدن والقرى الغاصة

بالملايين من المواطنين، وبمئات الألوف من الأجانب المقيمين للعمل لدى الوزارات والإدارات الحكومية، أو الشركات والمؤسسات والمواطنين، ومكلف بحفظ مئات الآلاف من الوافدين للحج أو العمرة أو للزيارة الذين يزدحمون في الحرمين الشريفين والمدينتين المقدستين وطرقاتهما، ويتجمعون في رقع صغيرة من الأرض، وبخاصة في المطاف وبين يدي الرسول ﷺ ببلده الكريم.

وتتاح الفرص للسراق والنشالين، كما جدَّت حيل ذكية للمجرمين الأجانب الذين وفدوا للعمل في بلادنا فعاث بعضهم فساداً، وارتكبوا جرائم بشعة من قتل وسرقة وسطو مسلح.

ووزير الداخلية مسؤول عن الأمن في كل ساعات الليل والنهار، وهو وحده يحمل تبعة حفظ الأمن، والمسؤولية العظمى تقع عليه وحده، وإنه ليحملها راضياً، لأن في ذلك إعلاءً لكلمة الله، وتمكيناً لشرعه وفرائضه، إذ يسر أداءها بالأمن المحفوظ المضمون الذي شجع مئات الآلاف من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على أداء فريضة الحج، وأصبح - لذلك - تكثر أعدادهم كل عام مع تزايد ثمن التذاكر وارتفاع مستوى المعيشة.

وأشهد أن كل وزراء الداخلية عندما يسهرون شطراً من الليل في الوزارة، فإذا غادروها اصطحبوا معهم أضابير مزحومة بالمعاملات يراجعونها ويمضونها في بيوتهم.

وعندما كانت جريدة «عكاظ» ملكاً لي وكنت رئيس تحريرها كنت أتصل أحياناً بوزير الداخلية ليلاً فإذا هو سهران بمكتبه.

وذات مرة كان وزير الداخلية (الملك) فهد بن عبدالعزيز، واتصلت به هاتفياً أرجوه أن يفْضل عليَّ بموعد أقابله فيه، وكنت أنا بمكة المكرمة، وكان هو بجدة، فضرب لي الساعة الثالثة ليلاً بالتوقيت الغروبي بعد صلاة

العشاء بساعة ونصف ساعة، فلما حضرت في الموعد كانت كل المكاتب خالية إلا مكتبًا به ثلاثة موظفين هم موظفو الليل، لأن موظفي النهار خاصون بالنهار، ودخلت على وزير الداخلية بمكتبه فإذا بين يديه أكداس من المعاملات، فرثيت لحاله، وذكرني بأبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ عندما قصده قاصدٌ ليلاً فرآه ساهراً في ساعة متأخرة من الليل فعجب وسأله فأجابه الإمام الأعظم: نام الناس اعتماداً علينا فسهرنا تحقيقاً لحسن ظنهم فينا.

فإذا حضر وزير الداخلية إلى وزارته صباحاً في الضحى متأخراً ساعة أو ساعتين من بدء الدوام الرسمي لموظفي النهار فله عذره، بل لا ضرورة للعذر، لأن العذر يكون عن خطأ أو قصور أو شيء مما يظن أنه مستوجب للعذر، وهنا لا شيء من ذلك، فهو قد صحا مبكراً، وصلى الفجر في أول وقته، وقرأ من القرآن ما تعود أن يقرأ منه، ثم نظر في المعاملات التي اصطحبها معه لينجزها، ثم يضطر، ويعود للنظر والإمضاء.

وقد يزور وزير الداخلية الملك أو ولي العهد لبعض أمور الدولة، وقد يكون مرتبطاً بموعد في مكان غير مكتبه بالوزارة.

فهو - إذا تأخر - عن دوام الموظفين يكون قد أمضى وقته في عمل، فإذا حضر للوزارة جلس في البهو الكبير للناس يعرضون عليه حاجاتهم، أو يطلبون منه، أو يسلمون عليه، أو يزورونه، ثم يدخل إلى مكتبه للعمل، ومع هذا يقابل زواراً غير الذين استقبلهم قبلُ، فإذا جاء وقت صلاة الظهر أداها جماعة ثم انتقل إلى مكتب العمل، وقد ينتهي وقت الدوام الرسمي فيبقى هو ومدير مكتبه، ولا يغادره إلا بعد خروج موظفي النهار بساعة أو ساعتين، فإذا لم يكن لديه ما يدعوه إلى مقابلة الملك أو ولي العهد مضى إلى منزلة للراحة والاستجمام، وقد يتناول غداءه.

ويمضي إلى المكتب بعد صلاة المغرب أو بعد صلاة العشاء فيعمل إلى ما بعدها بساعتين أو ثلاث كان الله في عونه.

وهناك مزيد من الجُهْد والتعب ينتظر وزير الداخلية المسؤول عن كل مناطق المملكة وإماراتها التي تحوي كل إمارة عشرات الإدارات، فكل إمارة منطقة حكومة مستقلة تشتمل على كل ما تشتمل عليه الدولة إلا وزارة الخارجية، لديها الداخلية، والتعليم، والزراعة، والمالية، والكهرباء، والصناعة، والدفاع والطيران، والحرس الوطني، ورعاية الشباب، والأندية الأدبية، والرياضية وغيرها.

وكل هذه الإمارات مرتبطة بوزارة الداخلية، بل بوزير الداخلية المسؤول عن تلك الإمارات وعن أمرائها وموظفيها وسكانها وتأمين الأمن لهم ولكل ممتلكاتهم وأعراضهم.

وكل إمارة تتبعها إمارات ترتبط بها، وكل هذه الإمارات ترسل كل ما لديها من معاملات إلى الإمارة الأم، وهي ترفع كل ما لديها إلى وزارة الداخلية التي يطلع وزيرها على ما يرفع إليه، وهو يوزع تلك المعاملات على قنواتها المخصصة لها ليحفظ في مستودع الحفظ ما انتهى الإجراء فيه، أو يعاد إلى الإمارة التي تبعث المعاملات المعادة إليها لتحفظ في جهاتها.

وعندما كان الملك فهد وزيراً للداخلية جددها وطورها إلى أقصى ما تحتاج إليه من التطوير والتجديد، فأحدث من الأقسام ما قد تحتاج إليه في المستقبل لئلا تُفاجأ بجديد قد يربكها. أَمَا وقد وجد فإنه يتدرج ليبلغ حد التمام، وأعد فهد في وزارة الداخلية عدته، فكما لمكافحة المخدرات والمسكرات إدارة يقظة قوية، كذلك لمكافحة الشيوعية والمذاهب الهدامة قسم خاص، وهكذا.

وإن من الفخر لوزارة الداخلية السعودية أن يقظة أجهزة الأمن قد جعلت البلاد نظيفة من الشيوعية ومن كل مذاهب الهدم، فما ببلادنا خلايا هدامة ولا أوكار للشيوعية، ولا لأي مذهب هدام من مذاهب الهدم الأدبية، أو السياسية، أو الاجتماعية، ولا وجود لعملاء أو خونة ببلادنا والحمد لله.

وقد قلت في مقدمة كتابي «الشيوعية والإسلام» المطبوع بالقاهرة الطبعة

الأولى[1] سنة ١٣٧٦هـ: «والبلد الوحيد الذي لا تعيش فيه جرثومة الشيوعية لحظة واحدة هو البلد الذي يرفرف عليه العلم السعودي، والبلد الوحيد في العالم السالم من النشاط الشيوعي هو البلاد السعودية المقدسة التي حماها الله بفضله».

ومع أن موسم الحج يفتح أبواب المملكة أمام كل المسلمين ليدخلوها، وهو فرصة لدخول نشرات هدامة فإن الله قد حمى بلده الأمين وبلد رسوله الكريم وحمى معهما كل أرض السعودية إذ عصمها الله بفضله ثم بفضل مخطط فهد.

وقد قلت في مقدمة الطبعة الثانية من كتابنا: «الشيوعية والإسلام»، ما نصه: «وخير ما يُعْمَل لضرب الشيوعية في البلدان غير الشيوعية ما عمله مليكنا العظيم فيصل وحكومته الرشيدة وشعبه المؤمن، فكل فرد في هذه الأمة حارس أمين يقظ، ولو أعطي الدنيا بدل دينه، أو الرضا عن الشيوعية لأبى، فكيف وهو يعلم حق العلم أن الشيوعية شرُّ أنواع الكفر وألأمه وأبشعه».

ولما كثرت أعباء الملك فهد وهو وزير الداخلية رأى أن يأتي بعون له فاختار أخاه الأمير نايف بن عبدالعزيز ليكون نائب وزير الداخلية، وليضطلع بأعباء هذه الوزارة الضخمة العظيمة تمهيداً لتوليها عندما يغادرها إلى منصب آخر يحتاج إلى قدرة فهد وكفايته.

وبعد أن أصبحت وزارة الداخلية السعودية وزارة متقدمة ومتطورة جداً تركها الملك فهد لأخيه نايف الذي استطاع أن يتحمل أعباءها دون أن ينوء بأثقالها بعد أن شغل هذا المنصب من سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) إلى سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، حيث أضيف إلى فهد وزير الداخلية منصب رفيع آخر هو منصب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء فشغلهما بقدرة وكفاية تامتين

---

(١) طُبعت الطبعة الثانية منه ببيروت سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)، والطبعة الثالثة ببيروت أيضاً سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).

إلى سنة ١٣٩٥هـ منتقلاً إلى منصب أرفع، وهو منصب ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، وتسلم المنصبين في ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ.

وتولى نايف بن عبدالعزيز منصب وزير الداخلية خلفاً لأخيه فهد فأضاف الخلف إلى مجد السلف جديداً كثيراً وعظيماً، وما يزال منذ ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ إلى يومنا هذا وزيراً موفقاً أعظم توفيق، مظهرًا من العبقرية والكفاية والقدرة ما مكّنه من الاضطلاع بمهام هذه الوزارة الخطيرة العظيمة اضطلاعاً انتهى بها إلى أن تكون متميزة على كل وزارة داخلية في العالم، لأن وزارة الداخلية السعودية وزارة الأخلاق الفاضلة الكريمة قائمة على الخير للخير دون أن تسيء إلى أحد سواء أكان مواطناً سعودياً أم غير سعودي، لأن المملكة العربية السعودية نفسها تتفرَّد بهذه المزايا، فلم تسئ إلى أحد قط، ولن تسيء إلى أحد أبداً بمشيئة الله تعالى ما دام آل سعود هم حكامها.

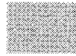
ويشاء الله الخير للأمير نايف بن عبدالعزيز ولوزارة الداخلية وللشعب السعودي فيشد الله عضده بأخيه الشاب المثقف القوي العزوم العادل الصالح حضرة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز فيكون نائب وزير الداخلية، وكانا معًا يدًا واحدة تهطل بالخير على بلدهما وشعبهما، وذلك فضل من الله عليهما.

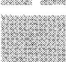
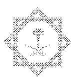
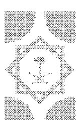
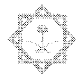
وكان نقل الأمير أحمد إلى هذا المنصب الخطير قوة لأخيه نايف وزير الداخلية، وعوناً بعد أن زادت ضخامة وزارة الداخلية وكثرت تبعاتها التي أخذت تتضاعف على الدوام، ففي حقل الأجانب العاملين بالمملكة الأُلى بلغ عددهم أكثر من ثلاثة ملايين يحتاج إلى أجهزة قوية تدون استقدامهم، ثم تدون خروجهم، فدخولهم، وانتقالهم إلى الجهة التي يعملون بها، ومراقبتهم.. إلخ.

ومنذ بضعة شهور ومن سنتنا هذه سنة ١٤٠٤هـ احتيج إلى مزيد من

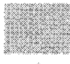
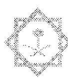
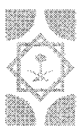
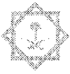
العون فصدر أمر جلالة الملك فهد بتعيين حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز نائب وزير الداخلية المساعد.

وقد أثبت سموه كفايته لهذا المنصب الخطير وجدارته به فكان - حقاً - عوناً قوياً للوزير ونائبه العظيمين.



فهد والشباب


فهد والشباب

ليست عناية الملك فهد بالشباب حديثة العهد، بل ترجع إلى حوالي خمسين عاماً مضت، وتبدأ منذ كان في عنفوان شبابه في السادسة عشرة من عمره المديد إن شاء الله، فهو نفسه قد عني بشبابه عناية كبرى فرضها عليه دين الحق، فهو حريص على أداء الفرائض من صلاة وصوم وحج، هذه الفرائض الذي تنمي حيوية الشباب وعزمه، وتقوده الدقة في المواعيد، وأداء الواجبات في مواعيدها الدقيقة، ففرائض الصلاة تؤدى أداءً سليماً في أول أوقاتهن، لأن الصلاة في أول الوقت رضوان، وهي درجة عالية عند الله حرص عليها الشاب الناهض الطّلعة فهد بن عبدالعزيز، فكما عوده هو أن يؤدي صلواته جماعة منذ أن كان في السابعة فهو يعوِّدُ إخوته على أداء الصلاة جماعة.

ولاحظ أبوه عبدالعزيز حرص ابنه فهد على صلاة الجماعة منذ طفولته وحرصه على أن يصحب إخوته ممن هم لداته أو أصغر منه إلى المسجد فكانت سعادة الأب عظيمة بما يرى، فكافأهم بالدعاء لهم والرضا عنهم، وتشجيعهم.

ولما كان فهد في السادسة من عمره كان حسن الإدراك لأمور الحياة، حسن الوعي لما هو خير، وكان تأثيره في إخوته ذكوراً وإناثاً تأثيراً حسناً قوياً، وكلما تقدم به الشباب ازداد فهد تفهماً لوظيفة الشباب، فهم أعظم رؤوس الأموال للأمم، وهم الذخائر النفيسة لها، وهم عدتها سلماً وحرباً، ولهذا كان شديد العناية بأطفال آل سعود وشبابهم عندما كان مفتشاً على

مدرسة الأمراء، يرعاهم ويدفعهم دفعاً إلى العناية بأجسامهم، لأن العقل السليم في الجسم السليم.

وعندما اختاره أبوه مستشاراً له لم يشغله هذا المنصب الرفيع عن العناية بالشباب، فكما كان يحرص على أن يكون قريباً كل القرب من أبيه بحيث لا يكاد يفارقه، فإن تلك العناية بالشباب كانت لها حصتها من وقته ومما يهتم به.

وكانت هذه الفترة من حياة فهد أحفل فترات حياته، وهي الفترة من العشرين إلى الثلاثين حيث تزود من المعارف الإنسانية تزود ذوي النهامة إلى المعرفة حتى تضلع إلى حد الطفح، واتسع من نطاق اطلاعه وثقافته نطاق تجاربه، وما أدري إذا كان يدون ما خطط للشباب أم كان يكتفي بذاكرته الوفية التي تسعفه بجواب كل سؤال، وتمده بما يريد مما أودعها من التجارب والمعلومات، ولكننا ندري أن عنايته بالطفولة والشباب قد بلغت حد الطفح بسبب الغزارة والفيض.

ولقد برهنت أعماله الكبيرة الكثيرة عندما وضع مناهج التعليم بجميع مراحله من الحضانة فالابتدائية فالكفاءة فالتوجيهية، ورسم (خارطة) التعليم الجامعي وبدأ ينفذ ما خططه عندما صار وزيراً للمعارف.

وما صادفه من توفيق لايدل على الارتجال، وإنما يدل على درس وفقه وتفكير وتخطيط وإعداد سابق كل ذلك لمرحلة التنفيذ، فالقائد الماهر الناجح الحاذق لا يخطط للمعركة وأسلوبها في إدارتها وهو في الميدان ساعة المعركة، بل يسبق رسم الخطط والعلم بفن إدارة الحرب والقتال والمعارك قبل الهبوط إلى الميادين وإلا كان أخيب القادة.

ولما كان فهد من أنجح من رأينا من وزراء المعارف في عالمنا العربي وغيره فإن هذا النجاح المنقطع نظيره يدل على سبق دراسته وتفكيره لمرحلة التنفيذ الذي يبدأ بدأ سليماً وقوياً ناجحاً إلى أبعد الحدود، فهو لم يبدأ بمرحلة الحضانة مع أن التعليم الابتدائي كان موجوداً، لأن المجتمع لم

يكن متهيئاً لها، فأرجأه إلى الوقت المناسب، فلما جاء لم يفاجأ المسؤولون عن التعليم، بل سار كل شيء سيراً طبيعياً في الطريق الذي رسمه فهد العبقري.

ومراحل التعليم من الحضانة إلى الجامعة خاصة بالشباب فهم الذين يتعلمون، ومن هنا كانت العناية بالشباب شغل الملك فهد، وكذلك كان الأمر بالنسبة للنواحي العسكرية، فلما انتهى من تنفيذ برامجه وخططه التعليمية، وشق للتعليم طرقه لم تعد حاجةٌ إلى وجوده، لأنه يسَّر لمن يخلفه أن يقوم بالتنفيذ.

وما أعده مع إشرافه الدائم على التعليم أسند إليه منصب وزير الداخلية فجددها، وخطط لكل جديد تحتاج إليه في إبَّانه دون أن يتقدم ما حقه التأخير، أو يتأخر ما حقه التقديم، بل يتم كل شيء في وقته.

والعاملون في الداخلية وما تتبعها من الإدارات كالأمن العام وخفر السواحل وإمارات المناطق شباب، يبلغ عددهم عشرات الألوف من موظفين وجنود أمن وجنود خفر سواحل.

وقبل أن يتولى الملك فهد كان أكثر الجنود أميين، فلما تولى وزارة الداخلية شجع على العلم، وفتح معاهد لتخريج الضباط، ووضع منهج محو الأمية بعامة، ومحو الأمية من الجندية بخاصة حتى صار ٩٠ ٪ من جنود الأمن والدفاع والطيران والبحرية وجنود الحرس الوطني من المتعلمين فيهم خريجو جامعات ومعاهد وكليات.

وما من قطاع فيه شباب يعمل إلا وشملته رعاية فهد شمولًا، ورأى أنه قد آن أوان قيام مؤسسة كبرى لرعاية الشباب عمل على تأسيسها، وصار هو الرئيس الأعلى لمجلس رعاية الشباب التي تدين لها بميلادها وقيامها حتى فاقت مثيلاتها في العالم العربي والإسلامي، ورعاية الشباب في المملكة العربية السعودية لم تقف عند حد المولد والقيام، بل صحبها التطور السريع حتى تفردت على مثيلاتها في العالم العربي والإسلامي، وفي كثير من دول

العالم، وأعظم امتياز لرعاية الشباب التي أسسها الملك فهد أن كل أنشطة الشباب الأدبية والفنية والرياضية يحافظ كل من فيها على الأخلاق الفاضلة، وعلى أداء الصلوات في أوقاتها جماعة، وأداء كل الفرائض أداء حسنًا صحيحًا.

وإذا بلغ اهتمام فهد بشباب بلاده في كل الأقطعة إلى حد أن جعلهم المثل العالي لشباب العالم في مكارم الأخلاق ومحامد الصفات فمن الطبيعي أن يهتم بتربية أولاده تربية مثلى تليق بانتسابهم إلى أبيهم المثل فيما كَرُمَ من الأخلاق، وحمد من الصفات، وهيأ ابنه الأكبر فيصل بن عبدالعزيز تهيئة خاصة ترشحه لأن يكون الرئيس الأعلى لرعاية الشباب فكان الرئيس بحق في كل مكرمة من مكارم الأخلاق، كما هيأ منهج فهد التربوي أو منهج ابن عبدالعزيز في تربية الأولاد لأن يعود فيصل بن فهد بن عبدالعزيز بعد تعليمه الجامعي بالولايات المتحدة الأمريكية، ورآه أهلًا لأن يشغل منصب الرئيس الأعلى لرعاية الشباب كما عاد فهد بن سلطان بن عبدالعزيز بعد تعليمه الجامعي بأمريكا فصدر الأمر الملكي بأن يكون وكيل الرئيس الأعلى لرعاية الشباب.

ولقد أدرك الشعب السعودي بكل طوائفه نجاح رعاية الشباب عندما شاهدت الجماهير على شاشة التلفاز الفرق الرياضية في كرة القدم وفي غيرها من صنوف الرياضة إذ شاهدوا مباريات الدوري الممتاز وفي تصفياتها حتى الصعود إلى مباراة كأس جلالة الملك، وإذا هم يشهدون مباريات رائعة أفصحت عن مهارة وحذق.

وزاد تأكد جماهير الشعب من نجاح رعاية الشباب عندما رأوا في تصفيات قارة آسيا للصعود إلى أولمبياد لوس إنجلس، وشهدوا مباريات منتخبهم وهو يصعد حتى زوى فرقًا رياضية عالمية وأخذ أمكنتها بجدارة واستحقاق، وصعد على الأولمبياد.

وقد رأت جماهير الشعب السعودي رعاية الملك فهد واهتمامه بالمنتخب السعودي الذي تهيأ لخوض معركة التصفية الآسيوية وتهيأ للذهاب إلى سنغافورة كرمه الملك بمقابلة أفراده ومدربهم، وألقى عليهم كلمة هي كلمة القائد ونصح الوالي الأب.

نصح لهم بتقوى الله في السر والعلن، والاعتصام بحبله المتين، والحرص على أداء الفرائض، والظهور بمظهر المسلم الحق المنتسب إلى مملكة الحرمين الشريفين.

ويعلم الله أن كلمة جلالته التي كرم بها المنتخب السعودي قد أثرت في كل من شهدوا التلفاز وهو يعرض هذا الحفل العظيم، وقد حقق الله الأمل ففاز المنتخب السعودي فوزًا مبينًا، ورأينا مهارات أبنائنا حتى غلبوا الغالبين بفضل الله ثم بفضل الملك الأب الكريم حتى عادوا إلى المملكة ليتهيأوا للسفر للألعاب الأولمبية بلوس أنجلس التي بدأت يوم السبت ٢٩ من شوال ١٤٠٤هـ (٢٨ يوليو ١٩٨٤م) إلى يوم الأحد ١٥ من ذي القعدة ١٤٠٤هـ (١٢ أغسطس ١٩٨٤م).

وقد اشترك المنتخب السعودي في ثلاث مباريات للتصفية لترشيح الفريق الصاعد على المباراة العالمية الكبرى: اشترك في المباراة مع البرازيل التي كسبتها بنسبة ٣ إلى ١، ومع المغرب الفائز بـ ١ إلى صفر، ومع ألمانيا الغربية بفوزها على المنتخب السعودي بنسبة ٦ إلى صفر.

وليس ما حدث لمنتخبنا السعودي بمطعن في قدرته وقته ومهارته، فهزيمة البرازيل الفائزة بكأس العالم، وهزيمة ألمانيا أمام إيطاليا في إسبانيا بثلاثة لإيطاليا وواحد لألمانيا مع أن الخبراء كانوا يتوقعون الفوز للبرازيل ولألمانيا، ونحن في هذه المواقف لا ننسى الخطر الذي قال فيه شاعرنا العربي الكبير ابن الرومي:

إن لـلـحـظ كـيـمـيـاء إذا مـا ... مـسَّ كـلـبًـا أحـالـه إنـسـانـا

وبتأسيس الملك فهد رعاية الشباب أتاح للجيل الصاعد أن يستغل ما لديه من وقت فائض وطاقة حيوية فيما يجعله صحيح الجسم والعقل، فرأينا عشرات الآلاف من الشباب يعنون بالرياضة.

وقامت رعاية الشباب بفتح أندية الأدب والثقافة التي شاركت في تنشيط الحركة الأدبية وحركة التأليف السعودي فأصدرت هذه الأندية في عام واحد أكثر من مئة كتاب، كما أسست رعاية الشباب جمعية الفنون والثقافة التي فتحت لها فروعًا في مختلف مدن المملكة، وقد شاركت هذه الجمعية في حركة التأليف السعودي، وتشجيع الفنانين، فرأينا معارض فنون الرسم التي دلت على وجود المواهب وتفتحها، كما شجعت فن الموسيقى والتمثيل.

وأفاد الشباب في مملكتنا الفتية من رئاسة الشباب التي أنفقت مئات الملايين من الريالات على إنشاء الملاعب الرياضية وحمامات السباحة وميادين الرماية وغيرها.

ومن الاهتمام بالشباب ورعايته الإكثارُ من فتح المعاهد والمدارس والكليات والجامعات التي بلغ عددهن سبعًا يستوعبن عشرات الآلاف من الشباب وعشرات الآلاف من الشابات، عدا الكليات التابعة لرئاسة تعليم البنات اللاتي تستوعب آلافًا مؤلفة من الشابات.

وهناك كليات قوى الأمن، وكليات وزارة الدفاع المتنوعة وهي تستوعب الآلاف من الشباب.

وبلغ اهتمام الملك فهد ورعايته للشباب زيارته للجامعات، وتوثيق صلاته بأبنائه الطلاب، وأتاح لهم ولمديري الجامعات السبع وعمداء عشرات الكليات والأساتذة والمعيدين أن يحاوروه، وأن يسألوه في كل ما يشغل بالهم، وفيما يريدون من فهد بن عبدالعزيز بصفة كونه مليكهم المحبوب، وأباهم المفدى، وراعيهم الأكبر إذ هو الرئيس الأعلى للجامعات، وإذا لم يسمح للملك وقته لإلقاء بعض المحاضرات فإن ندواته مع أبنائه الطلاب وأساتذتهم وحواره معهم إنما ذلك خير وأجدى من مئات

المحاضرات، بل إن أقوال الملك فهد وأجوبته عن مختلف الأسئلة معالم في طريق الشباب وغير الشباب، وذخيرة وخلاصة مكثفة لفنون من المعرفة لا تتاح إلا للعباقرة من أمثال فهد.

وأعظم من ذلك أن استجابة الملك لأبنائه طلاب الجامعات وأساتذتهم وعمداء كلياتها ومديري الجامعات توثيق الصلة بين الملك والرعية، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الأبناء والأب، وبين الطلاب وأستاذهم الأكبر الذي يعرضون عليه مشكلاتهم فيجدون لديه حلها، ومطالبهم فيلقون منه سرعة الإجابة.

ولا شك أن استجابة الملك فهد للجامعات في كل رجاء ومطلب ودعوة تجعله أهلًا ليكون الرئيس الأعلى لهذه الجامعات، لا لأنه رئيس الدولة كما هو متبع في تقاليد الدول وحسب، بل هو أهل لهذا المنصب العلمي الرفيع.

إن الأمر بالنسبة للملك فهد لمختلف جدًا، فهو - حقًا - منشئ هذه الجامعات، وهو واضع خارطتها ومناهجها، وهو راعيها ومتعهدها، وهو مؤهِّل الطلاب حتى يلتحقوا بها، وهو الذي جعل للنساء نصيبًا مفروضًا في التعليم مثل أشقائهن.

والملك فهد من الحكام الذين يعملون كثيرًا، بل يعملون أكثر مما يعلمون، فكما هو الخبير الفذ بسياسة التعليم في المملكة كذلك هو خبير في أعمال كثيرة، خبير في الحج والأوقاف، فهو لهذا يرأس بحق المجلس الأعلى للمساجد، وهو يفتتح دوراته التي تعقد بمكة المكرمة حرسها الله، وهو خبير بالطرق والمواصلات، وهو لهذا يشارك برأيه الحصيف في خرائطها، بل يسبق منه التفكير في احتياجات البلاد منها، وكذلك في الشؤون الأخرى.

وما من مؤسسة في الحكومة إلا وهي محتاجة إلى رأي جلالته، إذ هو

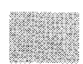
من مؤسسيها، وهو من الخبراء فيها، فلا غرابة أن تكون في حاجة إلى رأي جلالته وتوجيهه وخبرته.

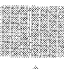
ومن ذلك اختيار جلالته رئيسًا للمجلس الأعلى للبترول والمعادن، وهو صاحب الحق في هذه الرئاسة لا لأنه رئيس الدولة، وإنما اختير لخبرته في شؤونهما، إذ كان يتابع باهتمام ثروات بلاده الطبيعية، ويدرسها دراسة دقيقة وافية مستمرة مع التطور حتى اكتسب فيها خبرة واسعة حتى صار من أخبر الخبراء في شؤون الثروة المعدنية ببلاده.

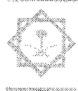
وشجع الملك فهد شباب بلاده ليدرسوا دراسة جامعية كل شؤون الثروات المعدنية وغيرها دراسة جامعية عليا متطورة، وقد حصلت البلاد على حشد من الشباب السعوديين النابغين تخصصوا في مختلف العلوم والفنون حتى شهدت لهم الدول المتطورة العملاقة بنبوغهم العظيم.

ودوي الصناعات والمؤسسات الصناعية في المملكة يعظم على مر السنين، ولكن الذي يسر من شيوع الصناعات في ربوعها الشاسعة، وتعدد أصنافها أن من يشغل أعمالها سعوديون، فمنهم المهندسون، ومنهم الصناع والعمال والمديرون والخبراء.

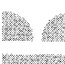
وقد رأى الشعب السعودي على شاشات التلفاز السعودي المصانع الضخمة العملاقة والصناعات المختلفة بأيدي الشباب السعوديين الذين أعدهم الملك فكانوا كما أراد جلالته مواطنين صالحين يكثرون على مرور الشهور، فكما ارتفع رقم عدد الطلاب من خمسة وثلاثين ألف طالب سنة ١٣٧٣هـ عندما اختير الملك فهد وزيرًا للمعارف حتى بلغ مليونين، والزيادة كما قلنا ملموسة ومتطورة بمرور الشهور لا السنوات، ويكفي ألا يصيب الدهش القراء إذا علموا أن وراء هذه النهضة الكبرى في المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبدالعزيز الذي فجر الله على يده الخير كله لبلاده كما فجره على يده لغير بلاده من أقطار العروبة والإسلام التي قدم لها من العون ما لم تقدمه دولة قط لأخرى، فجزى الله فهدًا خير الجزاء.

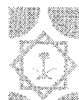




من التجربة إلى الاستقلال





من التجربة إلى الاستقلال

عمل الملك فهد بن عبدالعزيز كثيرًا منذ طفولته كما حفلت حياته بالدراسة والتحصيل والتجارب الكثيرة، فأخذ رصيده منها يربو ويضخم على مر الأيام، وبخاصة بعد أن تخرج من المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة حرسها الله، ومن مدرسة الأمراء بالرياض، وعندما ودع مقاعد الدراسة بتخرجه فزواجه، لم يكن هذا الوداع لعهد التحصيل في المدارس قطيعةً للدراسة، أو اكتفاءً بما حصل عليه من العلم والأدب، وإنما ودع الدراسة المدرسية والتحصيل المدرسي إلى الدراسة الحرة، وبذلك خرج من فصل دراسي محصور بين جدران أربعة ضيق النطاق إلى عالم رحيب لا حدود له، ذلك هو عالم الدراسة الحرة والقراءة الحرة.

وإذا كان في عهد الطلب يدرس خلال سنة مقرر التوحيد والفقه والتفسير والحديث والمطالعة في كتب محدودة الصفحات والنطاق لا يخرج عنها حتى يؤدي الامتحان وينجح إلى فصل آخر أعلى ليستبدل بما درس دروسًا جديدة فإنه عندما يتخرج فلا يجد بين يديه معاهد عليا وكليات يودع العلم والتحصيل إذا لم يكن ممن يطلبون المزيد من العلم ما دام حيًا.

خرج فهد من الضيق إلى السعة، ومن الالتزام إلى الانطلاق، ومن الإلزام والحصر إلى الحرية، فهو لم يعد مقيدًا بزمان ومكان وكتاب ومدرس وموادَّ معينة ومحدودة، بل صار حرًا يقرأ أي كتاب شاء في أي وقت شاء، وصار يملك وقته والتصرف فيه.

وما كاد فهد يودع مقعد الدراسة حتى وجد لديه ثراء طائلًا في الزمن، أفتراه يبدد الثروة الطائلة كما يبددها الوارثون؟ كلا، إن لديه حقًا ثروة في الزمن، ولكنَّ لديه وجوهًا سليمة للإنفاق، تلك الوجوه الكتب والصحف الأدبية والعلمية، والاتصال بمن لديه علم ومعرفة وثقافة يتزود منها ما هو في حاجة إليه.

وهكذا وجد لفراغه ما يشغله به، وانصرف إلى الكتب يشتريها، وإذا أشار عليه أحد بكتاب غير موجود بأسواق بلاده بعث يطلبه حيث يكون مكان طبعه أو نشره، واشترك في المجلات العلمية والأدبية الجادة، وصار يشكو الضيق والفقر في الزمن، وقد يشغله الكتاب عن الطعام وعن النوم، وصار في كل غرف منزله الكتاب.

وإذا خرج أبوه للصيد أو الاستجمام في البيد أو الحج صحب فهد مكتبته يشغل بها نفسه ووقته، وما يكاد العلم يفارقه فهو يطلبه من كتاب أو صحيفة أو ممن يتوسم لديه علمًا، وأخذ رصيده من العلم والمعرفة والتجاوب يتضخم ويربو، وازداد اقترابًا من المعلم العصري أبيه الملك عبدالعزيز يتلقى عنه من عبقريته وعلمه وفهمه للحياة وتجاربه ينمي بها ما لديه من معارف حتى تراكم رصيده منها وصار فيها من أصحاب الثروات الضخمة في المعارف الإنسانية.

وكان الملك فهد في كل عهوده مقبلًا على العلم وتحصيله أيما إقبال، شديد النهامة إليه، وكلما تقدمت به السن ازدادت مصادر ثقافته، فهو يأخذ من أبيه ما حباه الله به من العبقرية والنبوغ والإلهام، وكان ما يتلقاه عنه عدًّا[1] لا ينقطع ولا يجف ولا ينضب، ومع هذا لم يقتصر على هذه الروافد الغزيرة المتدفقة بغير انقطاع، بل كان دائم التطلع على المزيد من العلم والتزود منه، فكما زاد شبعه وريه ازداد جوعه وظمؤه، صدق ما جاء

(١) العَدُّ: الماء الغزير الذي لا ينضب.

في الأثر الشريف: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال»، وبالنسبة لفهد كان الاثنان طالبي علم.

وهكذا تعددت مصادر ثقافته وروافد علمه وتجاربه، فما توسم في أحد علمًا إلا قصده، وما سمع بكتاب إلا أحضره وقرأه، وكان المذياع من مصادر العلم والثقافة، إذ كان يسمع منه أساطين الأدب والفكر وهم يتحدثون من مختلف المحاطّ الإذاعية التي تذيع بالعربية عندما كانت الإذاعة والصحافة من أعظم مصادر الثقافة، وكان من أعظمها - أيضاً - عند فهد سؤاله أهل العلم، فهو يعدُّ الأسئلة ويلقي على كل متخصص السؤال المناسب لتخصصه.

وبوفاة والده الذي كان له المعلم الأكبر والقدوة الأمثل لم يقف عنه ما تزود منه فقد كان يربو مع نضج تفكيره وتقدم سنه، وكان ما تلقاه من أبيه ورفاق أبيه ورجال عهده زادًا لا ينفد، وجاء عهد أخيه الملك سعود بن عبدالعزيز، وكان امتدادًا لعهد أبيه في إضافة لبنات جديدة إلى الصرح الشامخ الذي شُيِّد من أبيه مؤسس الدولة السعودية الحديثة، وشارك فهد مشاركة فعالة في تصريف أمور الدولة مع أخيه الملك سعود وإخوته الآخرين وعلى رأسهم أخوه العظيم فيصل.

ولئن كان عهد الملك سعود امتدادًا لعهد الراحل العظيم الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه إلا أنه امتاز بالطرافة والجدة، فالأساس الذي وضعه الملك عبدالعزيز للدولة السعودية الحديثة ما يزال هو نفسه الأساس، واجتمع الملك سعود وإخوته الكبار لتجديد طلاء الصرح الذي شيده عبدالعزيز وإضافة جديد إلى القديم مما يقتضيه تغير الأحوال والزمن.

ومن أعظم القرارات المتخذة من قبل مجلس أبناء مؤسس الدولة أن طلبوا إلى أخيهم فهد أن يتفرغ لما أملوا في العهد الجديد: عهد الملك سعود، وأن يتسلم ما كان يتحدث إليهم فيه ألا وهو التعليم في المملكة،

وكان من آمال فهد التي يتمنى تحقيقها أن يجعل العلم كالماء والهواء لكل أفراد الشعب السعودي، وأن يجعله شعبًا متعلمًا، وأن يدخل إلى كل بيت سعودي نور العلم، وأن يفتح في كل منطقة من مناطق المملكة جامعة، وأن يجعل التعليم العالي حقيقة مشهودة في أقرب وقت بمشيئة الله عز وجل.

وكان الملك فهد في هذه الوزارة الجديدة التي كانت برئاسة الملك سعود، والأمير (الملك) فيصل ولي العهد نائبًا لرئيس مجلس الوزراء صاحب الآراء الجريئة الجديدة، ووقف بشخصيته القوية مع الملك ونائبه وإخوتهما الراضين عن آراء أخيهم فهد السديدة العظيمة، وكانوا على علم سابق بآمال فهد وطموحه في تعليم الأمة فوكلوا إليه تأسيس وزارة المعارف التي كانت «مديرية عامة للمعارف»، ويكون هو نفسه أول وزير معارف في المملكة العربية السعودية ليتولى هو نفسه تنفيذ برنامجه التعليمي، ويجسِّد الفكرة التي كان يشير بها، فتسلم منصب وزارة المعارف، وأخذ ينفذ برنامجه ويطبق الأفكار التي بشر بها على سُنَّة التدرج دون أن يفهم من التدرج البطء، لأنه بدأ بداية نشطة قوية، وعمل ما أشرنا إليه في فصل «وزير المعارف».

ومع مهامه الكبرى في وزارة المعارف التي أخذت كل وقته فقد كان مستشارًا لأخيه الملك سعود ولولي عهده الملك فيصل، كما كان على علم بعمل كل وزارة ومشروعاتها، وكان يحب أن يطلع على «الجزئيات» مع الكليات، وليس ذلك بتدخل منه في شؤون غيره، وإنما ذلك حق كل وزير عضو بمجلس الوزراء.

والآن، وقد صار فهد ملكًا فهو ما يزال كما كان يحب أن يكون على علم بكل مشروع تفصيلًا وجملةً وكلًا وأجزاءً، وأن يقف على التنفيذ مع أنه مقترح المشروعات العملاقة.

ومضى عهد الملك سعود ـ رحمه الله ـ بعد أن حقق لبلاده مشروعات ضخمة منها: توسعة الحرم المكي وتعمير مشاعر الحج المقدسة، و«زفلتة»

طرقها استعدادًا من المملكة لاستقبال أي عدد من حجاج بيت الله الحرام وعماره وزوار حرم نبيه الأكرم محمد ﷺ.

مضى عهد الملك سعود ـ رحمه الله ـ بعد أن حصل فهد على خبرات ومعلومات وتجارب جديدة أضيفت إلى مكتسباته السابقة، فأربى ما جدَّ منها أيما إرباء.

وجاء عهد الملك فيصل حيث تولى الملك، وتولى أخوه الملك خالد ولاية العهد وصار النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، وصار فهد وزيرًا للداخلية والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء.

ويشاء الله أن يواجه عهد الملك فيصل مشكلات وخصومات وحروبًا ضارية شنها على بلاده وشخصه ونظام الحكم السعودي القائم على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ؛ شنها أعداء الله الذين نقموا على الملك فيصل وأبيه وإخوته إيمانهم بالله ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

وهزم الله الأحزاب وأذلهم، وانتشرت دعوة الملك فيصل إلى التضامن الإسلامي وأعطت الزهر والثمر، واستمر الدعاة إلى الله في دعوتهم المباركة كما استمر أعداؤها في الحرب.

وكانت مهمة وزير الداخلية والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء في هذه الظروف السيئة غاية في الصعوبة، فقد تدسس البلاد مخربون وعملاء مذاهب الهدم فكان فهد متنبهًا لهم حتى ضبطهم ونالوا جزاءهم، وحمى بلاده من كل أعدائها.

وكان الملك فهد مع أخيه الملك سعود ثم مع أخيه الملك فيصل مشاركًا مشاركة قوية فعالة في حمل أعباء الحكم وتبعاته وتصريف كل شؤونه، وقد أمدته هذه المشاركة بتجارب الملك سعود في كل سنوات حكمه، كما أمدته هذه المشاركة بكل تجارب الملك فيصل الكثيرة فأدرك

خفايا السياسة وألاعيبها وخدعها مضافًا إلى هذا الإدراك ما اكتسبه من تجارب أبيه الملك عبدالعزيز وخبراته حتى دانت لفهد الرؤية الصحيحة للسياسة بكل ضروبها وفنونها وتقلباتها، ونفذت هذه الرؤية إلى أعماقها وكهوفها المظلمة فتكشفت لفهد الحقائق والأسرار.

ولا شك أن مصاحبة الملك فهد لأبيه العبقري السياسي الداهية ذي البصيرة الملهمة والنظر الثاقب؛ وزمالته لأخيه الملك سعود، وصحبته لأخيه الملك العبقري المجتهد فيصل أكسبت الملك فهدًا الكثير من الحذق والمهارة في تصريف الأمور وفقه السياسة، كما منحته رصيدًا كثيرًا وضخمًا من التجارب لا يملكه أحد أبناء هذا العصر إلا أبناء الملك عبدالعزيز بخاصة وآل سعود بعامة.

ولمّا انتقل المُلك إلى الملك خالد بعد استشهاد الملك فيصل أنزله الله الفردوس الأعلى، كانت مشاركة فهد أعظم حتى لكأن أحدهما متمم للآخر بحكم الأخوة والزمالة والصداقة التي جعلت صلة كل منهما بأخيه قوية لا تنفصم.

والملك خالد - رحمه الله رحمة واسعة - من رجال السياسة وحذاقها القلائل الواقفين على أسرارها الخفية وأحابيلها وحيلها وضلالاتها وأكاذيبها دون أن تؤثر هذه الآفات في أخلاقه مع الاعتصام بالمثل العليا في مكارم الأخلاق وفي قمتها الصدق والزكانة والفطانة، ولهذا انتدبه أبوه الملك عبدالعزيز ليمثل المملكة العربية السعودية في مفاوضات الصلح والسلام بين المملكة واليمن الشقيق في عهد الإمام يحيى حميد الدين رحمه الله.

وما اختير الملك خالد ليمثل أباه الملك عبدالعزيز ومملكته إلا لثقة أبيه في حذقه وفطنته ودهائه وذكائه وكفاءته.

وإن شابًا في مقتبل العمر يتكافأ مع رجل كبير في العلم والاطلاع لبرهان على عبقريته، ولقد كان الملك خالد كفئًا لعبدالله الوزير وندًا له في

التفاوض الذي انتهى بعقد معاهدة صاغ بنودها الأمير الشاب خالد بن عبدالعزيز ووافقه ممثل اليمن على كل حرف فيها.

ولا شك أن موافقة الخصم على كل ما صاغه خصمه يدل على عبقرية خالد بن عبدالعزيز ونبله ؛ فهو كان يمثل الجانب الأقوى المنتصر، ولكن آثر الأخوة والإنصاف حتى حوَّل القتال والنزاع بين البلدين الشقيقين إلى صفاء ووئام.

وجاء في تعريف الأمير (الملك) خالد في ديباجة المعاهدة هذه الجملة: «عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبدالعزيز نجل جلالته ونائب رئيس الوزراء، وكان عمر الملك خالد حينئذ اثنتين وعشرين سنة، وكان قبل أن يبلغ العشرين مستشارًا لأبيه، ثم في الثانية والعشرين كان نائب رئيس مجلس الوزراء، وكان مع كل أخ له تولى الملك مستشارًا له حتى تولى الملك بعد استشهاد الملك فيصل رحمه الله.

كل هذا الثراء الضخم من التجارب والأعمال الكبيرة والمشاركة في سياسة الدولة منذ حياة والده وفي عهود من سبقوه حتى صار ملكًا مسؤولًا عن تصريف شؤون الدولة في ظروف شديدة السوء بالنسبة لشعوب الأمة العربية وشعوب الأمة الإسلامية، وقاد أمته قيادة حكيمة سليمة جنبها المزالق، ونجحت سياسته في الداخل والخارج نجاحًا كبيرًا، وأحبه شعبه حبًا صادقًا، كما أحبه العرب والمسلمون، لأنه لم يعمل لهم غير الخير، ولم يجدوا منه سوى الحب حتى انتقل إلى رحمة الله صباح يوم ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ.

وتسلم ولي عهده وساعده الأكبر أخوه فهد الأمانة وبايعه آل سعود وكل فئات شعبه مبايعة صادقة، فهم يعرفون أي رجل يبايعونه، إنهم يبايعون رجلا حكيمًا عالمًا مثقفًا ذا عقل كبير وخلق عظيم، متخم بالتجارب التي

تراكمت لديه، إذ هي محصول تجارب صقر الجزيرة الغلاب عبدالعزيز مؤسس هذه الدولة فابنه العظيم الملك سعود فعبقري العرب وحكيمهم ومفخرة آل سعود والمسلمين فيصل الذي اغتيل شهيدًا في وقت كان العالم في حاجة إلى حكمته التي ذهبت مثلًا في العالم، وأعلن نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عندما زار المملكة العربية السعودية قال: جئنا نأخذ الحكمة من فيصل، ويختفي الملك فيصل بغتةً شهيدًا فتقع التبعة الثقيلة على الملك خالد فيتحملها دون أن ينوء بحملها، ويضيف في المدة القصيرة التي لم تزد على بضع سنوات طريفًا كثيرًا إلى تليد المملكة التي ودعته وهي تستقبله في الطائف جاء إليه من الرياض ليقود وفود بيت الله الحرام إلى الحج، فإذا الموت يسبق إليه ـ رحمه الله ـ رحمة واسعة.

ووقعت التبعة أثقل ما تكون التبعات على كاهل فهد الذي أعده الله لحمل أمانة الحرمين الشريفين والاضطلاع بتبعات حكم مملكة يلتف بها حوالي ألف مليون مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، ويدينون جميعًا بالولاء الروحي لمن ينصبه الله خادمًا أمينًا لحرمه وحرم رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام.

إن محصول الملك فهد من التجارب أوفر محصول، ولم يكن مخزنًا لهذه التجارب، بل حصل عليها بجهده وفطنته وعبقريته، ونفخ فيها من روحه فأحياها واستثمرها أيما استثمار فكانت تجارب جديدة حية تضاف إلى إيمانه بربه، وحسن ظنه بخالقه فاعتصم به عز وجل فوفقه الله للخير كله.

والظروف التي بويع فيها فهد بالملك أسوأ ظروف تحيط بملك وضع المسلمون ثقتهم فيه، كما أناط العرب به آمالهم، هي أسوأ ظروف لأن ظروف العرب والمسلمين وحكامهم كانت ـ وما تزال ـ أسوأ الظروف.

تسلم فهد الحكم في أسوأ ظروف تمر بالعالم العربي والعالم الإسلامي، إذ احتلت روسيا الشيوعية أفغانستان المسلمة؛ واقتطعتها من

الأمة الإسلامية، وأجبرت بطغواها وكفرها وجبروتها مليونين من المسلمين إلى الفرار بدينهم ولجؤوا إلى باكستان التي آوتهم، كما قتلت روسيا الشيوعية مئات الآلاف من المسلمين؛ وأحرقت الأرض والأرواح بالقنابل المحرمة دوليًا.

وهناك المصائب والكوارث التي تنهال على الأقليات المسلمة في الفلبين، والحرب الضروس بين شقيقتين مسلمتين: إيران والعراق انتزعت من أرواح أبنائهما مئات الألوف، وقضت على اقتصادهما وما في خزائنهما من أموال الشعبين الشقيقين، وما تزال الحرب مشتعلة بينهما أكثر من أربع سنوات دون أن تثمر وساطة المسلمين وحكامهم ما يحبون.

وهناك الخصومات الفظيعة بين الأشقاء العرب، فسوريا في قطيعة قاطعة مع العراق، والخصومة بين ليبيا والعراق والسودان عنيفة.

وهناك إسرائيل التي زلزلت الفلسطينيين واللبنانيين زلزالًا، واستطاعت أن تنتزع مصر من العرب وتضمها إلى صفها بصلح شاذٍّ أباه كل العرب، فكانت القطيعة بين مصر وشقيقاتها جميعًا.

وفي السودان الشقيق مشكلات، وفي الصومال العربي حرب بينه وبين إثيوبيا التي ضلعت مع الشيوعية المتحفزة دائمًا لإبادة المسلمين.

وما من قطر عربي أو مسلم إلا وهو غريق في مشكلات مختلفة أغرقه فيها أعداء العروبة والإسلام.

في وسط هذه الدوامة تولى الملك فهد، وحمل تبعات قيادة حركة الإسلام والعروبة، وهو أهل لها، وأعانه الله ثم شعبه على ذلك فلم ينوء بما حمل، وليعرف القارئ ثقل الأحمال التي يضطلع بحملها نُحيله إلى موقفه من قضية فلسطين وقضية لبنان في فصلهما من هذا الكتاب.

وما من قضية عربية أو إسلامية إلا ونصيب الملك فهد أوفر الأنصبة فهو يحمل الغرم ويعطي الغنم، ولم يطمع قط في مغنم أو بلد أو زعيم أو حاكم، ولهذا كل عمل له عَمِلَه أو يعمله لأي بلد عربي أو مسلم خالص

لوجه الله، لا يريد عليه جزاء ولا شكورًا إلا ممن سخره لخدمة إخوانه العرب والمسلمين.

ولقد صدق الله العظيم إذ قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ و ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ فعندما حمل عبء الملك والحكم في بلاده وتبعة القيام بمشاركة الأقطار العربية والإسلامية وشعوبها وحكامها جعل الله له مع العسر يسرًا، كما جعل له من كل ضيق مخرجًا، ومع كل كرب فرجًا، ومنحه قدرة قادرة على الاحتمال وحسن التصرّف، ونفعه بأرصدته الضخمة من العلم والتجارب، فما ناء بحمل، وما شكا من عجز، بل كان دائمًا ـ بفضل الله ـ موفقًا في كل أعماله وأقواله.

ولما كان الملك فهد طلعةً في كل مراحل حياته من الطفولة إلى ما بعدها من أدوار كان دائمًا يقف على الجديد يضمّه إلى ما سبق أن حصل عليه.

تسلم الملك فهد حكم مملكته الواسعة والعالم العربي والإسلامي غريق في مشكلات لا حصر لها وهو مزود من الله بالرشد والبصيرة الملهمة والتوفيق، ومتخم بالتجارب التي تلقاها من أبيه الملك عبدالعزيز، ومن إخوته الملوك: سعود، وفيصل، وخالد، ومتضلع بعلوم يحتاج إليها الحاكم المسلم الصالح، ومطلع اطلاعًا واسعًا على تواريخ الحكام والدول، كما أفاد من تجارب أعمامه وأخواله حتى أثرى ثراء عظيمًا من كل ذلك، وأضاف إلى هذه المكتسبات من تجارب العباقرة الأفذاذ الأعلام الأخيار تجاربه الخاصة الشخصية، وليست بالقليلة أو الهينة لأنها تجارب عبقري عظيم ذي قريحة صافية وقّادة، ومواهب كثيرة.

والعظيم في الملك فهد أنه يحسن استثمار معلوماته وتجاربه ومكتسباته أيما إحسان، فأربت ثروته الضخمة إرباء يزداد على مر الأيام حتى صار رجلًا موسوعيًا يحوي من المعلومات والتجارب ما تحوي الموسوعات الكبيرة.

وعندما تصل المعلومات إلى ذهن فهد لا تبقى معلومات، بل تتحول إلى ثقافة مستثمرة استثمارًا من حاذق ماهر خبير، وبهذا ملك فهد رصيدًا ضخمًا من العلم والثقافة والتجارب المختلفة المتلقاة عن آخرين وتجاربه الخاصة، وما يزال هذا الرصيد الضخم يزداد ويربو بما ينميه وما يضيفه إليه حتى يستمر تضخمه وربوه.

ويعزى إلى مواهب فهد وصلاحه وخلائقه الفاضلة بعد توفيق الله للخير والعمل الصالح تفجرُ ينابيع الخير والتقدم والعمران من ولايته، وتدفقت هذه الينابيع تدفقًا حتى ربت الصحراء وزهت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولا غرابة في ذلك ففهد ديمة ماطرة تصيب الخصيب والجديب على السواء.

وفهد يمن على شعبه وعلى شعوب الأمة العربية وشعوب الأمة الإسلامية، ولقد كان مولده يمنًا على أبيه وآل سعود، فقد اقترن بمولده انتصار أبيه، واتساع رقعة حكمه، واتحاد أقطار متنافرة متحاربة في قطر واحد حتى ازدان بالحرمين الشريفين، وصحب هذا اليمن كل عهد أبيه ثم كل عهود إخوته الذين سبقوه إلى الملك حتى انتهى إليه الملك، وكأنما الله قد ادخره لأمته فجعل محاسن العهود السابقة التي شارك فيها تتجمع كلها له فتشرق بلاده نورًا وخصبًا ونماء ونعماء تغشى المملكة كلها وتفيض على شقيقاتها فيخصب الجديب ويزداد الخصب خصبًا حتى يصير الفرد السعودي متخمًا بالنعم والخيرات أغدقها عليه فهد الميمون طالعة على آل سعود ودولتهم التي تميزت بكل معاني الخير والفلاح والعمل الصالح والحرية التي تتبع بها الفرد السعودي.

وليس في شعوب الأمة العربية وشعوب الأمة الإسلامية شعب يتمتع بحرية السفر والإقامة والتصرف فيما يملك غير الشعب السعودي وشعوب دول الخليج العربي.

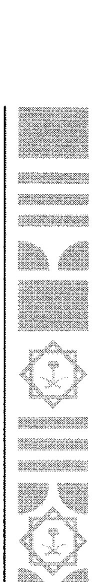
وكل هذا الثراء المادي والروحي الذي لا حد له، والذي يتمتع به

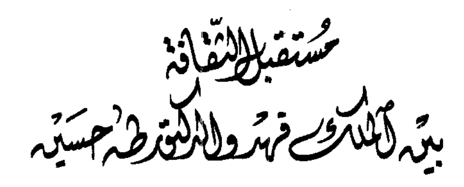
الشعب السعودي دون كل شعوب الأرض قاطبة ثمرة العهد السعودي المجيد وثمرة جهد فهد وعمله وعلمه وتجاربه، فما في الأرض شعب يتمتع بالأمن الشامل وتحكيم شرع الله: كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين محمد ﷺ غير شعب فهد بن عبدالعزيز حيث أمن كل فرد فيه من كل المخاوف: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

وهذا الأمن الذي ينعم به شعب فهد وبلاده وكل من يعملون بها وكل من يفدون إليه حاجين أو معتمرين أو زائرين، وتلك بركة تحكيم شريعة الإسلام وعدل الحكام.

ومن سمات عهد الملك فهد هذا التفجير العمراني والحضاري الذي انتشر انتشار النور، ومن ثمرات جهده المبارك المتدفق بغير انقطاع إخصاب الجديب، وتحضير الصحراء، وشهوق معاهد العلم وبيوت الله والمعامل والمصانع وكثرتها، والسعة في الرزق والعمران حتى تحولت القرى إلى مدن، واتسعت المدن وطالت وعرضت، وما تزال تتسع طولًا وعرضًا، فتقاربت الأبعاد.

وكل هذه النعم التي لا تحصى، والتي تتمتع بها المملكة العربية السعودية إنما هي من فضل الله تبارك وتعالى ثم بفضل الملك فهد الذي فاض من عقله ويده الخير الذي انبثق من التجربة فلما انتهى إلى الاستقلال رأينا كل هذا العطاء السخي الكثير المدرار.




مستقبل الثقافة
بين الملك فهد والدكتور طه حسين



مستقبل الثقافة بين الملك فهد والدكتور طه حسين

أَلَّف الدكتور طه حسين كتابًا سماه «مستقبل الثقافة في مصر» وقد ذهب فيه إلى أن مصر بثقافتها القديمة ليست شرقية، وإنما هي غربية، ويجب أن تكون غربية، وأن تبقى غربية إذا أرادت التقدم والعلم والحضارة.

واستُقبل الكتاب بمظاهرة من النقد، واشتجر الخلاف بين المصريين، فمن كان فرعوني النزعة والتفكير منهم أو كان من دعاة «التغريب» سرته آراء الدكتور طه وأيده، ومنهم من ثاروا عليه ونقدوا آراءه، ومنهم من وقف بين هؤلاء وهؤلاء مثل الأستاذ الشهيد سيد قطب في سلسلة من المقالات نشرت بصحيفة دار العلوم.

وفي مقدمة نقد الأستاذ سيد قطب موجز وصفي للكتاب يجدر ذكره ليعرف القارئ موضوعه، وها هو ذا ما قاله[1]:

«لا شك أن كتاب الدكتور طه حسين بك (مستقبل الثقافة في مصر) هو كتاب الموسم، وهو لهذا جدير بالعرض والنقض، جدير بالبحث والمناقشة.

وليس هو كتاب الموسم فحسب، ولكنه الكتاب الأول من نوعه بعد الاستقلال الذي يرسم سياسة كاملة للثقافة المصرية؛ ابتداء من التعليم الأول، إلى نهاية التعليم الجامعي، ملاحظاً ما يجب أن يتوافر لخطوات

---

(١) جمعت تلك المقالات في كتيب بعنوان «نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر» وصدرت الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م)، وكتاب طه يقع في جزءين صور في سنة ١٩٣٩م.

التعليم المتوالية من التناسق والانسجام، متمشياً في مراحله كلها بروح واحدة، وعقلية واحدة ترمي إلى هدف، وتصل إلى غاية، وليس هذا بالعمل اليسير.

وقد آثرت أن أقول: إنه يرسم سياسة كاملة للثقافة النظرية، مع أنه قد ألم بالدراسة في كليات الهندسة والزراعة والطب والتجارة والعلوم التطبيقية عامة ؛ ولكن من الحق أن يقال: إنه لم يتحدث عنها، لأن الدكتور نفسه لم يقصد على أن يتحدث عنها، بل آثر أن يدعها لمن هم أعلم بها، وأكثر دراية بشؤونها.

ولم يرسم هذا الكتاب الضخم سياسة التعليم فحسب، أو سياسة الثقافة المدرسية فحسب، ولكنه تجاوزها إلى ما بعد مراحل التعليم كلها، إلى ثقافة المجتمع وعواملها: إلى المسرح والخيالة والمذياع والصحافة، وتجاوزها إلى الأدب والأدباء والجو الأدبي، وإلى واجب الدولة والهيئات للبحث العلمي والنشاط الفكري، وإلى كل ما يتصل بكلمة «ثقافة» بأوسع معانيها، وفي أوسع حدودها، ملائماً بين كل مرحلة والتي قبلها والتي تليها، مما يجعل هذا المؤلف دستوراً جامعاً للثقافة في مصر كما يريدها مؤلفه.

هذا النحو من البحث جديد في مصر ؛ جديد إن لم يكن بموضوعه ومادته، فبشكله وتنسيقه، فالواقع أن الكثير الغالب من هذه الأفكار التي حواها الكتاب خاضت فيه الأقلام والمحاضرات والأحاديث والتقريرات، وتناولته دروس الأساتذة في دار العلوم بالذات في محاضرات التربية وسواها، وبعضها من البداهة بحيث لا يحتاج لأن يتناوله حديث أو محاضرة لأنه من الموضوعات المكشوفة المكررة، ولكن الجديد فيه بعد هذا وذاك أنه بحث جامع متناسق شامل لمراحل الثقافة كلها، والغاية منها جميعًا».

هذا تعريف موجز بكتاب «مستقبل الثقافة في مصر» وقد نقده غير واحد من الكتاب البارزين منهم: الدكتور زكي مبارك وساطع الحصري، وكلاهما نشر نقده في مجلة «الرسالة» بسنتها السابعة، وكان أشد المؤيدين للدكتور طه حسين دعاة الفرعونية وأعداء الإسلام ولغة القرآن، ورأوا في دعوة الدكتور طه حسين ليجددوا الدعوة إلى سلخ مصر من الأمة الإسلامية ومن الأمة العربية.

ومع أن الدكتور طه حسين أهدى إليَّ كتابه حين صدوره سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) فهو ليس بمكتبتي الآن، ولهذا أعتمد على شواهد نقاد الكتاب ليرى القارئ نماذج من آراء الدكتور طه حسين.

يقول الدكتور طه حسين:

«ولكن المسألة الخطيرة حقًا والتي لا بد من أن نُجليها لأنفسنا تجلية تزيل عنها كل شك، وتعصمها من كل لبس، وتبرئها من كل ريب، هي أن نعرف أمصر من الشرق أم من الغرب؟ وأنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافي والغرب الجغرافي، وإنما أريد الشرق الثقافي والغرب الثقافي... فهل العقل المصري شرقي التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء؟ أم هو غربي التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء؟ وبعبارة موجزة جلية أيهما أيسر على العقل المصري؟ أن يفهم الرجل الصيني أو الياباني؟ أو أن يفهم الرجل الفرنسي أو الإنجليزي».

ويقول: «فهناك التعليم الرسمي الذي تنشئه الدولة وتقوم عليه، وقد رسم الإنجليز طريقة محدودة ضيقة فأفسدوه وأفسدوا نتائجه وآثاره أشد الإفساد... وهناك التعليم الأجنبي الذي قام في مصر مستظلاً بالامتيازات الأجنبية. غير حافل بالدولة ولا خاضع لسلطانها، ولا ملتفت إلى حاجات الشعب وأغراضه، ولا معنيٍّ إلا بنشر ثقافة البلاد التي جاء منها والدعوة لهذه البلاد وتكوين التلاميذ المصريين على نحو أجنبي خالص، خليق أن

يبغض إليهم بيئتهم المصرية، وأن يهون في نفوسهم قدر وطنهم المصري... وهناك التعليم الوطني الحر الذي يزعم المحافظة على المناهج والبرامج الرسمية، ولكنه إلى عهد قريب لم يكن خاضعاً لمراقبة الدولة وملاحظتها، فكان يمضي كما يريد أو كما يستطيع، وكان يمتاز بخصال أقل ما توصف به أنها مصدر فساد للتفكير ومصدر فساد للخلق، ومصدر فساد للسيرة العامة والخاصة... وهناك تعليم آخر تشرف عليه الدولة ولا تشرف عليه! تشرف عليه لأنه خاضع آخر لسلطانها. ولا تشرف عليه لأنه مستقل في حقيقة الأمر استقلالاً عظيماً، وهو التعليم الديني الذي يقوم عليه الأزهر الشريف وما يتصل به من المعاهد في الأقاليم... وهو بحكم طبيعته، وبيئته، ومحافظة القائمين عليه، وخضوعهم بحكم هذه المحافظة لكثير من أثقال القرون الوسطى وكثير من أوضاعها، يصوغ التلاميذ والطلاب صياغة خاصة مخالفة للصياغة التي ينتجها التعليم المدني... وهناك تعليم وسط بين الديني الخالص والمدني الخالص تمثله الآن دار العلوم وقد مثلته مدرسة القضاء حينًا».

ويقول الدكتور طه: «من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءًا من الشرق».

ومما جاء في كتابه هذه الفقرات:

«إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فها عوج ولا التواء وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع».

«العقل المصري منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط».

«العقل المصري القديم ليس عقلًا شرقياً، وقد نشأ هذا العقل المصري متأثرًا بالظروف الطبيعية والإنسانية التي أحاطت بمصر، وعملت على تكوينها، فإذا كان أن نلتمس للعقل المصري أسرة نقره فيها فهي أسرة الشعوب التي عاشت حول بحر الروم».

«إن التاريخ يحدثنا بأن رضاء مصر عن السلطان العربي بعد الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة، وبأنها لم تهنأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون».

«لقد التزمنا أمام أوربا بأن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوربا فلو هممنا الآن أن نعود أدراجنا وأن نحيي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلًا، ولوجدنا أمامنا عقبات».

«شيء آخر لابد من التفكير فيه، هو أن التفكير الأزهري القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهري الحاضر إساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوربي الحديث».

«إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسًا للقومية السياسية، ولا قوامًا لتكوين الدول، إن المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع العملية، وعدلوا عن إقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضًا، وقد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر».

«من الجهل والخطأ أن هذه الحضارة المادية صدرت عن المادية الخالصة، إنها نتيجة العقل، إنها نتيجة الخيال، إنها نتيجة الروح، إنها نتيجة الخصب المنتج، نتيجة الروح الحي الذي يتصل بالعقل ويدفعه إلى التفكير ثم إلى الإنتاج».

«إن حديث الشرق الروحي هذا حديث لا غناء فيه، وهو مضحك إذا

نظرنا إليه نظرة عامة، ولكن هذا الحديث خطر لأنه يُلقي في روح الشباب بغض الحضارة الأوربية التي يعرفونها فتثبط هممهم وتضعف عزائمهم».

«إن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعي الصحيح ولن تفلح في تدبير مرافقها الثقافية الهامة إلا إذا عنيت بهاتين اللغتين (اليونانية واللاتينية) لا في الجامعة وحدها بل في التعليم العام قبل كل شيء».

«يظهر أن في الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف ويتصل بينهما صراع بغيض ولا يلقى كل منهما صاحبه إلا محاربًا أو متهيئًا للحرب: أحد هذين النوعين هذا الذي نجده في أوربا منذ العصور القديمة، والآخر هذا الذي نجده في أقصى الشرق منذ العصور القديمة أيضًا».

«الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها وقطع ما يربطها بقديمها وبإسلامها . . . إلخ».

هذا مجمل آراء الدكتور طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» ولم نسقها للرد عليها مع مخالفتنا لصاحبها مخالفة شديدة، وإنما سقناها حتى يكون القارئ على علم بها، ويلم إلمامًا موجزًا بآراء الملك فهد في مستقبل الثقافة في بلاده، ويقف على اتجاه جلالته واتجاه الدكتور طه حسين.

وفي سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) جاء الدكتور طه حسين إلى المملكة العربية السعودية رئيسًا للدورة الثقافية بجامعة الدول العربية المقرر عقد تلك الدورة بجدة تلبية لدعوة جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز الذي كان حينئذ وزيرًا للمعارف في المملكة العربية السعودية، وزار جلالته ضيفه الدكتور طه حسين، وحضرت ما دار بينهما من حديث رائع في منهج التربية والتعليم ومستقبل الثقافة من وجهة نظر الملك فهد.

وكان الملك فهد معروفًا بسعة الاطلاع، وقبيل أن يتولى منصب وزير المعارف كان قد اطلع على آراء المربين والمعلمين قديمًا وحديثًا، ولم

يفته الاطلاع على كتاب مستقبل الثقافة في مصر «للدكتور طه حسين»، ومع مرور حوالي ست عشرة سنة على صدوره إلى يوم زيارته للدكتور طه لم يكن جلالته ناسيًا آراء طه، ولكنه لم يرد إحراج الدكتور ولا الرد عليه، وإنما كان حديث جلالته بمنزلة رد بليغ لا يؤذي سماعُه ضيفَه العزيز، وإنما يسعده ويسره ويرضيه أن يسمع رأي إنسان عظيم منزه عن الهوى.

ولما كان الدكتور طه حسين من أكثر الناس خبرة وعلمًا بوزارة المعارف وسياسة التربية والتعليم وأحد بناة النهضة التعليمية في مصر التي أثرت في سياسة التعليم في بعض بلدان العالم العربي كانت فرصة ليعرض وزير المعارف السعودي سياسته التعليمية وبرامج التعليم ومناهجه ومستقبل الثقافة رجاء أن يسمع رأي الدكتور طه الجدير بعد أن يُسمعه آراءه.

ومعروف عن آل سعود أدبهم في الحديث وسمو أخلاقهم في النقد والرد، واتخاذهم أسلوب الحكمة الذي يتقبله المنقود أو المردود عليه في راحة ورضا.

وكنت أحرص على تدوين مثل هذا الذي دار بين وزير المعارف والدكتور طه، وأذكر أنني دونته وأعطيت جلالته صورة مما دونت من قوله وقول الدكتور، ومع أن بين أوراقي الخاصة مدونات مما سمعت من نصف قرن فإن ما دونته من حديث فهد وطه لم أجده مع أنه لم يمر عليه إلا ربع قرن تقريبًا، ولو وجدته لكان وثيقة تاريخية مهمة، لأنه ينقل إلينا الآن آراءه في مستقبل الثقافة وخططه لهذا المستقبل الذي تحقق ما سبق له أن رسمه فوقع تنفيذ خارطته بدقة فكانت هذه النهضة التعليمية الشاملة.

ولئن لم أجد ما دونت فإن في الذاكرة بقايا منه ولكني أخشى من ذكرها الآن لفقدان النص، ومع هذا لا خسارة، لأن ما كان ذكره للدكتور طه حسين لم يغب عن ذاكرة جلالته الذي كان يذكر ما سبق له وضعه والتخطيط

له من قبل، يذكر ما كان حلمًا تحقق كله على خير مما كان يرجو، إذ كان يظهر له عند التنفيذ والتطبيق ما يجب أن يضاف إلى ما سبق حتى يكون متكاملًا.

وهأنذا أنقل من أحاديث جلالته ومن خطبه وحواره مع طلابه الجامعات السعودية التي أنشأنها ورعاها ومع أساتذتها بحكم أنه الرئيس الأعلى للجامعات السعودية السبع.

ولم يترك الملك فهد حركة التعليم التي بدأ بها وأوجدها عندما ترك وزارة المعارف إلى منصب آخر، بل كان يرعى وليد فكره وجهده ويرقب نموه وتطوره وسيره حتى انتهى التعليم في المملكة العربية السعودية إلى ما انتهى إليه، وكلما كبر الوليد ونما وسار حتى بلغ تمامه كانت رعاية فهد واهتمامه بذلك الوليد الذي صار شيئًا كبيرًا وعظيمًا بحجم المملكة يَعْظُمان ليتكافآ مع عبقرية فهد وطموحه الذي لا يحد.

ولئن كان ما سأذكر من كلمات فهد حديث عهد فإنما هو نفسه الذي سبق له أن تحدث به مع ضيفه وصديقه الدكتور طه حسين، فما صدر من نبع فهد الفكري قبل ربع قرن هو نفسه الذي صدر منذ بضع سنوات وما يصدر الآن.

قال الملك فهد[1] ـ لا فُضَّ فوه ـ:

«يشرفني في هذا اليوم المبارك أن ألتقي إخواني في الإسلام القادمين من بلاد بعيدة في إفريقيا وآسيا وأوربا ومن كل مكان.

وفيما يتعلق بالتكنولوجيا فبطبيعة الحال مثل هذا الأمر يخضع لمفهوم العقيدة الإسلامية، وما نريد أن ندخله إلى مجتمعنا الإسلامي يجب أن

(١) في حواره العلني المفتوح مع طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومع أساتذتها سنة ١٤٠٣هـ.

يكون متفقًا مع الإسلام الذي يُعد منه كل ما كان فيه خير لمجتمعه، ولا شك أنكم أنتم متخذون كل الوسائل التي تمنع الانحراف في المجتمعات الإسلامية.

وأظن الإخوان يدركون تمامًا أن للمملكة العربية السعودية مبادئ أساسية، منها: عدم التدخل في شؤون «الغير» والدعوة إلى الإسلام ليس تدخلًا، ولقد لمست كثيرًا جدًا من جميع زعماء المسلمين الذين جمعتني بهم ظروف معينة، سواء في داخل البلاد أو خارجها أو في المؤتمر الإسلامي أن الاتجاه إلى العقيدة الإسلامية قائم».

وقال الملك فهد[1]: «قوة الإيمان في قلب الإنسان تحيل الظلام إلى نور، وإن قوة الإيمان تفتت حبال اليأس؛ وتحيلها إلى سهول خضر من الأمل، فالإنسان قوي بقوة إيمانه بالله، وضعيف إذا ابتعد قلبه عن الإيمان، ومتى كان قلب المؤمن عامرًا بالإيمان فإنه يستطيع التغلب على أصعب المواجهات الحيوية».

وعندما وصلت إلى هذا الحد من كتابة هذا الفصل وهيأت الشواهد من كلام الملك فهد من خطبه وأحاديثه وجدت وريقات مما كنت قد دونته من كلام فهد، وها هو ذا بعضه:

قال فهد بن عبدالعزيز: «إن بلادنا اتخذت أسلوب التعليم حديثًا، وإن كانت المساجد وبخاصة الحرمان الشريفان تتخذ أسلوب السلف، ولم نبدأ بعدُ التعليم العالي إلا في كلية الشريعة بمكة المكرمة التي مضى على إنشائها سنوات، وعدد الطلاب في المملكة كلها قليل، وعدد المدارس الثانوية يعد على الأصابع، والأمية متفشية، ولكن وزارة المعارف وضعت خارطة

---

(١) كان جلالته يتفقد منجزات مدينة الجبيل في يوم الأربعاء ١٣ من شعبان ١٤٠٣هـ حيث اكتظت بعشرات الآلاف حضروا ليشاركوه الفرحة بما أنجزه جلالته فقال لهم تلك الجمل التي نقلناها هنا.

للتعليم بجميع مراحله، ما كان منها قائمًا، وما هو مخطط له للبدء به في المستقبل القريب».

وقال فهد للدكتور طه حسين: «والأساس الذي سيقوم عليه التعليم من الحضانة إلى التعليم العالي مبني على الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكًا وتربية واجتماعًا، ولما كنا مؤمنين حق الإيمان بصلاح ديننا لكل مجتمع في أي أرض وفي أي زمن فمن الطبيعي أن يكون أساس التعليم إسلاميًا، والإسلام دين مفتوح دائمًا، يحض على التقاط الحكمة إن وجدت، فلا حجر على أي علم ينتفع به، بل طلب العلم فريضة، وإذا سمحنا لأن يُبنى الحرمان الشريفان على أحدث القواعد الهندسية، وأخذنا من المخترعات الحديثة ومما وصل إليه العلم والابتكار ما جدَّدنا في هندسة البناء وأسلوبه، وأخذنا الكهرباء، بل رضينا في المصحف الشريف أن يطبع بمئات الألوف، واستخدمنا المطابع والآلات الحديثة وأنواعًا من الورق فذلك البرهان على أننا لا نتجهم لما هو نافع، ففي أساليب التعليم والتربية أخذنا ما أنتجته الحضارة الحديثة، وسنأخذ كل جديد نحن في حاجة إليه».

«نحن لم نقف في وجه الحضارة الحديثة، بل أخذنا منها في الطب والهندسة والزراعة وغيرها كل ما كان فيها لنا نفع، وكانت لنا إليها حاجة، وما أخذناه لا يحرمه الإسلام الذي أخذنا باسمه ما دعت الحاجة إليه».

وأيد الدكتور طه حسين ما سمع من وزير المعارف فهد، وسره ذلك منه، ولم يذكر آراءه التي حواها «مستقبل الثقافة في مصر» بل سحره منطق فهد الذي كان يقدر الدكتور طه، ويثني عليه ثناء أخجله.

وقال فهد لصديقه طه: «عندما أسندت إليَّ وزارة المعارف كانت المهمة شاقة وعسيرة، ولكني استعنت بالله عز وجل أن يلهمني الرشد ويسدد خطاي في العمل الذي رضيت به وقبلته، وكانت لدي أمانٍ وآمال وأحلام قبل أن تسند إليَّ الوزارة ككل شاب طموح يريد الخير لوطنه وشعبه ولأمة

الإسلام، فلما وليت الوزارة لم أفاجأ بأعمالها فقد كنت مستشاراً لأبي، وكنت أرى أن يكون اهتمامنا ببناء الإنسان الصالح عقليًا وبدنيًا، ووضعت «خارطة» لنهضة علمية شاملة، وقد اشتملت الخطة على المستقبل الذي هيأت له الأسباب حتى لا نفاجأ به، وحتى لا نضيع الوقت، لا نفاجأ بما يربكنا ويحملنا على الارتجال الذي لا تؤمن مغبته».

وكان الدكتور طه على علم بتقاليد بلادنا، وسأل عن تعليم البنات، لأن عدم تعليمها لا يتفق مع خطة التوسع في التعليم الذي يجب ألا يحرم منه النساء، فالإسلام يأمر بالتعليم، وفرائض الله ليست وقفًا على الرجال، بل هي واحدة على الرجال والنساء على السواء، وتخلف المرأة عن التعليم هو تخلف للمجتمع، وكان قول فهد وزير المعارف فيما سأل الدكتور طه:

«ليس في بلادنا - الآن - تعليم البنات، ولكن ليس معنى ذلك أن المرأة جاهلة، هي أمية، ولكنها ليست جاهلة، فالمرأة تعرف واجباتها، تعرف كيف تصلي، وتعرف تدبير المنزل، وتربية الأولاد، وتعرف الحلال والحرام، وهي على معرفة تامة بالعبادات».

ثم قال وزير المعارف فهد: «لما كنت أود أن يكون التعليم للجنسين حقًا فقد قررت في خطتي أن نتريث في فتح مدارس البنات حتى تتهيأ الظروف المناسبة، لأن الناس لن يقبلوا تعليم البنات بالأسلوب العصري المتبع في مدارس البنين، ولنتفادى الخلف والمشادة تريثنا، ولكنَّ للتريث حدًّا، فتعليم البنات مقرر في الخطة، وسيتاح لهن ما أتيح لأشقائهن الذكور، ستفتح لهم أبواب الجامعة، ولكن لن يكون هناك اختلاط».

وتحدث وزير المعارف بأنه وضع خطته لمواجهة التوسع في التعليم بجميع مراحله، وذكر له واقع التعليم في المملكة كلها، وأن لدينا بضع مدارس ثانوية، ولهذا لم يكن في المستطاع إنشاء جامعة سعودية، مكتفين ببعث من يحصلون على الشهادة الثانوية إلى مصر للتعليم العالي، حتى إذا صار لدينا عدد كاف من خريجي الثانوية بدأ فتح الجامعة بكلية أو كليتين.

وذكر وزير المعارف فهد للدكتور طه حسين طابع التعليم وقال:

«طابع التعليم من الحضانة إلى الجامعة إسلامي محض، وأساسه ـ كما قلت ـ مبني على العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولهذا كانت مهمة وضع خطة التعليم في بلدنا صعبةً جدًا، فنحن لا نستطيع الانتفاع بتجربة الدول العربية والإسلامية التي سبقتنا في التعليم الجامعي، بل وفي التعليم الثانوي إلا بقدر يسير، لا نستطيع أن ننقل خطط غيرنا في التعلم الحضاني والابتدائي وما بعد ونطبقها في بلادنا، لأن ما لدى غيرنا لا تتفق كل برامجه ومناهجه مع الإسلام، بل فيها مخالفة في أشياء كثيرة، فأساس البناء التعليمي عندنا مبني على نظرية الحلال والحرام في الإسلام».

وقال وزير المعارف فهد بن عبدالعزيز: «نريد أن يثمر التعليم في بلادنا إنسانًا عربيًا مسلمًا في عقيدته ومشاعره، وأن ينظر إلى الحياة من خلال عقيدة الإسلام، ولما كان الإسلام يدعو إلى العلم الذي لا نهاية له فإننا سنأخذ العلوم الحديثة، ولن تضيق مناهجنا وبرامجنا بأي جديد من العلم والثقافة، فالعلم لا صبغة له، أما العلوم الاجتماعية والأخلاقية فصبغتها إسلامية، ولهذا لن نأخذها عن غيرنا، وإن كنا لا نتجهم لما لدى غيرنا من نظريات وآراء في هذا السبيل، بل نفيد من الاطلاع عليه، فقد نجد فيه من وسائل التعليم ما ينفعنا، وتجارب الآخرين قد تنفع سلبًا أو إيجابًا، إما أن يكون فيها ما ينفع فأخذه حسن، وإما أن يكون بها خطأ أو ضرر فالانتفاع أن نتجنبه وألا نقع فيه، نحن لن نضيق بالجديد لأن مصدره غير إسلامي، ولن نضيق إلا بما حرمه الإسلام، والمحرم في الإسلام منصوص عليه، ومالا نص فيه بالتحريم فحلال أو مباح، وكل ما هو نافع نفعًا لا إثم فيه فهو حق لمن هو في حاجة إليه».

ولخص وزير المعارف فهد خطته التعليمية وأسسها ومناهجها تلخيصًا وافيًا، وقد أعجب الدكتور طه حسين ما سمعه من فهد ورضي عما سمعه

منه، فالدكتور طه يقدس الحرية، وهو قد رأى في آراء فهد سدادًا وخصبًا وصوابًا.

وكنت أقرب السعوديين إلى الدكتور طه حسين الذي بدأت صلتي به منذ سنة ١٣٥٦هـ (١٩٣٦م)، وقد أجريت معه في تلك السنة حديثًا صحفيًا نشرته لي جريدة «صوت الحجاز»، ولم يزر الدكتور أي عضو في الوفد السعودي في غرفته غيري، وتحدث إليَّ طويلًا وغير مرة فيما سمع من الأمير الملك فهد، وأبدى إعجابه به وبشخصيته وآرائه، ولم يستغرب صدورها من شاب عربي مسلم ذي ثقافة واسعة وتجارب أثمرت وعيًا.

والحق أن مستقبل الثقافة في مصر من وجهة نظر الملك فهد كان خيرًا له من مستقبل الثقافة من وجهة نظر الدكتور طه حسين.

فالثقافة التي نجدها في كتاب الدكتور طه (مستقبل الثقافة في مصر) إنما هي ثقافة وثنية، لأن الدكتور أرادها فرعونية إغريقية غربية، وما لدى هؤلاء غير الكفر والوثنية والشرك؟!

أما الثقافة التي أشار إليها الملك فهد وعرضها على الدكتور فإنما هي ثقافة إسلامية تصدر عن توحيد المسلم ربه، وإيمانه بوحدانيته عز وجل، وهذه الثقافة الإسلامية منزهة عن الشرك والكفر والوثنية.

وأعتقد أن حديث فهد مع صديقه طه أثر فيه تأثيرًا قويًا شمل كل أقطار قلبه وعقله، وترك كثيرًا من آرائه، فمنذ عودة طه حسين بعد الدورة الثقافية التي انعقدت بجدة سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) لم يعد يجاهر بآرائه الوثنية التي حارب دونها الناس وحاربوه.

وأحسب أن ما سمعه طه حسين من فهد أنساه «مستقبل الثقافة في مصر» فهو كان يسمع ويصغي أتم الإصغاء، ورأيت في وجه الدكتور طه المعبر آيات الرضا والإعجاب.

ومع أن الدكتور طه مهذب عف اللسان لا يسكت على رأي لا يرضيه

أو لا يتفق مع مبادئه واتجاهاته مهما كانت مكانة صاحب الرأي المعارض، بل ما أكثر المجالس - مجالس طه - التي حضرتها فما رأيته قط سكت عن الرد على مالا يرضيه.

وذات مساء زرت الدكتور طه بمنزله على موعد سابق، وبينا أنا عنده رن جرس الباب فقال: هذا جرس توفيق الحكيم، وكان كما ذكر، وكان لديَّ مقال في نقد مسرحيته «اللص» لتوفيق الحكيم التي مثلت بدار الأوبرا الملكية بالقاهرة، وأخذت أقرأ المقال على الدكتور طه حتى إذا وصلت إلى قولي: «إن الأستاذ الحكيم يخلق بعض أبطاله» فصاح بي الدكتور: قف، فوقفت عن القراءة فقال: يا أخي: دع كلمة «خَلَقَ» و «يَخْلُق» ومشتقاتهما لله سبحانه وتعالى، وأنا لا أسمح باستعمال خلق ويخلق بالنسبة للمخلوق، والعربية متسعة، وفي وسعك أن تستبدل بكلمة «يخلق» كلمة أخرى، ودع الخلق للخالق!

وطه حسين لا «يجامل» في الأدب والعلم والرأي، ومعروف بالشجاعة الأدبية، ومهيئ نفسه للمعارك الأدبية مهما حمي وطيسها، وسريع الرد على مالا يعجبه ولا يرضيه من الآراء، فإذا سمع من أحد نقدًا لرأي له فإنه لا يسكت عن الرد مهما كان المتكلم.

فالكلام الذي سمعه طه من فهد نقيض مبادئه التي بنى عليها «مستقبل الثقافة في مصر» بل أكاد أقول: إن كلام فهد وكلام طه في كتابه هذا على طرفي نقيض، ومع هذا لم يرد طه حسين على فهد بن عبدالعزيز، وما كان سكوته على ما سمع جبنًا منه، فما كان طه حسين جبانًا قط، ولكن الله قد هيأ الدكتور طه حسين للإيمان الحق، فقد يسر الله له العمرة، وطاف بالبيت ثم صلى ركعتي الطواف بمقام إبراهيم الذي رجا أن يُدَلَّ عليه ليصلي به، وأخذ يدعو دعاءً عبَّرت قسمات وجهه عن صدقه فيه، ثم وقف تحت باب الكعبة المشرفة مبتهلًا داعيًا.

ثم هيأ فهد طائرة لنقل الوفود إلى المدنية المنورة، وكان مقعدي بجوار الدكتور طه في الطائرة، ولم يكن قائده الأستاذ فريد شحاتة معه فجعلت نفسي مكانه، واستقبل وكيل إمارة المدينة المنورة الوفود وعلى رأسها طه حسين، وحيا الأمير أعضاء الوفود بعامة، ثم خص الدكتور طه حسين بتحية كريمة لم يرد عليها بغير كلمة واحدة: شكرًا.

ودخلنا المسجد النبوي وصلى طه في الروضة المشرفة كما صلينا جميعًا ثم اتجهنا إلى الحضرة النبوية فوقف الدكتور طه بين يدي القبر في أدب وخشوع، ومع أنني كنت معه وبجانبه لم أسمع ما يقول، لأن الذي كان يصلي ويسلم عليه خير خلق الله كان في قلب طه، وكذلك كان وقوفه بين يدي قبر أبي بكر فقبر عمر رضي الله عنهما.

وكان طه ـ رحمه الله ـ أكثر الرفاق تأثرًا وخشوعًا، ثم غادرنا المسجد النبوي الشريف إلى زيارة المدرسة الثانوية فألقيت كلمة ترحيب بالوفود وخص الخطيب الدكتور طه بتحية بليغة، فما نبس طه ببنت شفة.

وعندما انتهت زيارة المدينة المنورة زادها الله شرفًا وتعظيمًا مضينا إلى المطار حيث حضر وكيل الإمارة للتوديع، وإذا طالبٌ[١] لم يبلغ الحلم يستأذن الأمير في إلقاء مقطوعة شعرية تحية لطه فأذن له، فأبدع في إلقائها وكانت مقطوعة شعرية رائعة، لم يرد عليها طه بشيء، بل همس لي أنه يريد أن يكافئه ببعض النقود، فلما علم الأمير وعد بأنه سيتولى عن الدكتور طه مكافأة الطالب.

وسيدور بذهن القارئ سؤال: لماذا لاذ الدكتور طه بالصمت فلم يرد تحية أحد؟ والجواب من طه ـ رحمه الله ـ: أأتكلم في بلد رسول الله محمد أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء ﷺ؟! إني لأستحي أن أتكلم في بلده وبين يديه إجلالًا ومكرمة له عليه الصلاة والسلام.

---

(١) هو الأديب المطبوع الأستاذ محمد كامل خجا الكاتب المعروف.

في وسط هذا الصفاء الروحي الذي ملأ كل أقطار قلب الدكتور طه حسين نزل كلام وزير المعارف السعودي فهد بن عبدالعزيز على قلب طه بردًا وسلامًا، ولهذا لم يعارض في أي كلام سمعه من فهد، لم يعارض آراءه وخططه وبرامجه ومناهجه في مستقبل الثقافة بالمملكة العربية السعودية، بل كان الترحاب بما سمع واضح المعالم في وجهه، كما كان تأييده لما سمع أشد وضوحًا، لأن طه هنأ فهدًا ورجا أن يحقق الله طموحه.

ولَشدَّ ما أبهج الدكتور طه أن فهدًا ذكر لطه أنه مُرَحِّب بكل جديد مهما كان مصدره، إذ الجديد ليس بمخيف، لأن الإسلام نفسه دين جديد دائمًا، ويرحب بكل جديد يبتكره العقل، وما دام الإسلام دينًا جديدًا ومفتوحًا لكل الناس، وهو دين كل الناس فهو قابل من كل فرد من هذا «الكل» كل ما لديه من عطاء الخير من أجل تعليم الإنسان وتربيته وتثقيفه وتحضيره.

ويفصح كلام فهد عن صورة المجتمع الذي يريده، إنه مجتمع مفتوح غير مغلق، مفتوح لكل ما فيه خير ونفع لأهله، مجتمع يتقبل عطاء كل الناس إلا ما كان شرًا فهو يأباه ويرفضه ويقف في وجهه ويرده ويحمي منه أبناءه.

والحقُّ أن وقع كلام فهد في نفس الدكتور طه كان حسنًا، رأينا آثاره في ترحابه به وتمنيه له الخير ودعائه بأن يحقق الله كل ما لديه من آمال لوطنه وأمته الإسلامية.

وإذا كان طه يريد - كما هو مفهوم من فحوى كلامه في «مستقبل الثقافة في مصر» - أن تكون مصر أوربية لتكون دولة حضارية منتجة غير مستهلكة فإن مجتمع فهد الإسلامي سيكون ـ بمشيئة الله ـ ثم بما أعدَّ له من أسس تقوم عليه مجتمعًا حضاريًا له شخصيته ومعالمه وسماته الخاصة به وعلاماته الفارقة التي تميزه عن كل مجتمعات عصره، مجتمعًا حضاريًا منتجًا غير

مستهلك مع الاحتفاظ بإسلامه الذي يدفعه دفعًا إلى أن يكون مجتمعًا متحضرًا منتجًا يعطي كما يأخذ، وها نحن أولاء بدأنا نرى آمال فهد التي كان يحلم بها منذ ربع قرن أخذت تتحقق ـ بفضل الله ـ على يد فهد نفسه بمجهوده، حتى إذا تفرَّد بالمسؤولية رأينا خلال ثلاث سنواتها منجزات عملاقة لا مثيل لها في كل عالمنا العربي والإسلامي، بل نضيف إليه كثيرًا من أقطار أوربا، وأخذنا نرى مجتمعنا السعودي مجتمعًا حضاريًا عظيمًا بدأ يكون منتجًا دون أن يفقد شخصيته الإسلامية كما أراد الدكتور طه لمصر قبل مقابلته لفهد وزير المعارف السعودية.

وبعد حديث الأمنيات الطافرة الذي تحدث به فهد إلى طه بدأت خطوات فهد في حقل التربية والتعليم، ومن العجيب أن ما كان يرجوه لبلاده قد بدأ يتحقق في وقت قصير، وعلى يده الكريمة البيضاء.

إن فهدًا لم يؤلف كتابًا في مستقبل الثقافة في بلده، بل استبدل بالقول العمل، متخذًا من الكتاب والسنة منهجًا وطريقًا وخطة عمل، فكانت «خارطة» التعليم في جميع مراحله حتى ما لم يكن قائمًا وضع خطة لتكوينه وخطة لاستقباله.

ومع أن أعمال فهد في ميدان التربية والتعليم والتحضير تتحدث حديثًا رائعًا جميلًا فإن أقواله ساندت أعماله، ولو كان لدى فهد الوقت الذي كان لدى الدكتور طه حسين لكان في وسع فهد أن يؤلف كتابًا في حجم كتاب طه، ولخلا كتاب فهد مما جاء في كتاب طه مما لا يرضي عنه المجتمع ذو الشخصية المستقلة المنتجة بَلْهَ المجتمع ذا الشخصية المسلمة التي تنفر أشد النفور من المجتمع الذي أراده الدكتور طه.

و«خارطة» التعليم التي رسمها ووضعها فهد إنما هي كتاب لا يحتاج إلى شيء من العناية الإنشائية التي تفتقر إليها الخرائط والتقريرات.

والفارق الأكبر بين مجتمع طه في «مستقبل الثقافة» ومجتمع فهد الذي

تصوره «خرائط» التعليم التي وضعها وخطبه وما أجرى من حوار مع أبنائه طلاب الجامعات السعودية وأساتذتها أن مجتمع «مستقبل الثقافة في مصر» مجتمع وثني، وأن مجتمع فهد مجتمع الوحدانية الصحيحة والتوحيد الحق لخالق الأرض والسماء وهذا الكون الكبير.

ومجتمع فهد المؤمن يصبغ علومه، فالتكنولوجيا التي لا صبغة لها عندما تكون في مجتمع فهد تختلف عنه عندما تكون في المجتمع الملحد كالمجتمع الشيوعي، أو المجتمع الوثني كالمجتمع الغربي أو المجتمع غير الديني كالمجتمع الياباني أو أي مجتمع لا يدين بالإسلام؛ أو لا يطبق شرع الله.

عندما تكون التكنولوجيا في مجتمع فهد تصطبغ بصبغته الإسلامية، إذ تدخل مع كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ اللذين مَجَّدا العلم والعقل والحضارة، ودفعا الإنسان إلى أن يتعلم كل علم يحتاج إليه مجتمعه وفيه له نفع، ولما كان النفع من التكنولوجيا محققًا؛ وصارت من ضرورات المجتمع الراقي فطلبها وتعلمها فرض على المسلم، فإذا خلا المجتمع من التكنولوجيا كان تعلمها فرض عين يأثم المجتمع بتركه، فإذا تعلمها بعض من فيه كان فرض كفاية، وكذلك القول في كل علم من العلوم أيًا كان النوع.

وعندما سأل الدكتور طه حسين عن تعليم البنات في «خارطة» التعلم العام أجابه وزير المعارف فهد بأن خارطة للتعليم شملت تعليم البنات، إذ الحق للذكر والأنثى واحد، ولا يمكن أن يكون المجتمع الإسلامي إسلاميًا بحق إلا إذا كان كل من في هذا المجتمع آخذًا نصيبه التام من حقه في الحياة، وأعظم حقوقه العلمُ الذي يهدي إلى الرشد ويوسع أمامه نطاق الحياة.

والحق أننا بدأنا تعليم البنات رسميًا متأخرين عن بعض الدول العربية

السابقة كمصر وسوريا ولبنان والعراق، ولكن البداية كانت مؤسسة على قواعد ثابتة ما تزال هي نفسها قواعد تعليم البنات بعد أن توسع وانتشر وتعلّى حتى بلغت في سنتنا هذه سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) ميزانية تعليم البنات خمسة بلايين وأربع مئة وخمسة ملايين ومئتين وثلاثين ألف ريال بعد أن كان أول ميزانية تعليم البنات سنة ١٣٧٣هـ تبلغ مليوني ريال.

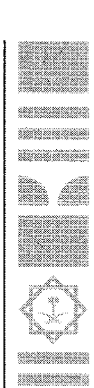
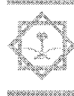
وإذا تتبعنا ميزانية تعليم البنات خلال أقل من ربع قرن وجدنا انفجارًا عظيمًا فيه حتى كاد عدد البنات يتساوى مع عدد البنين.

ولكن هذا الانفجار التعليمي الهائل بالنسبة للبنات كان سليمًا كل السلامة من كل أخطار الانفجار، فما زال الحجاب مضروبًا على البنت السعودية المحافظة على أخلاق الإسلام، حتى إذا تخرجت آلاف منهن ونال الكثير منهن أعلى الشهادات الجامعة (الدكتوراه) كن أكثر تمسكًا بالدين والشرف والخلق والعزة والكرامة، حتى إن تعليم البنات بعد هذا الانفجار لم يدون أي حادثة تخل بالشرف والحمد لله.

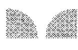
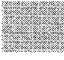
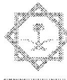
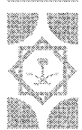
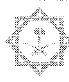
ولو كان طه حسين حيًا إلى هذا اليوم لامتلأت نفسه غبطة وسعادة من هذا التقدم الحضاري الكبير في البلاد السعودية مع المحافظة على الدين والأخلاق ودون أن تكون مثل أوربا المنهارة خلقًا وشرفًا وعفة.

نعم، لو كان طه حسين ـ رحمه الله ـ حيًا اليوم لأعلن أن مستقبل الثقافة في البلاد السعودية الذي بناه فهد بن عبدالعزيز كان خيرًا من مستقبل الثقافة الذي أراده طه حسين لبلاده، وذلك المستقبل الذي عارضه المعتصمون بالأخلاق الفاضلة والعقيدة الكاملة، ولبعث لصديقه فهد التهنئة الصادقة من صميم قلبه، وبارك الله في فهد ومد في عمره.



فَهَدٌ يُمَثِّلُ بِلَادَهُ



فهد يمثل بلاده

كان الملك فهد في جميع أدوار حياته ذا شخصية بارزة في أي مجتمع يكون فيه، وكان موضع الثقة من قِبَل والده وإخوته الكبار، ومثلًا أعلى لإخوته الألى يصغرونه، كما كان رؤساء بعثات الحج وزعماء العالم العربي والإسلامي الذي حجوا أو اعتمروا أو زاروا المملكة والسفراء الأجانب والمسلمون والعرب يعجبون بالملك فهد أيما أعجاب.

وكان سفير تونس الأسبق الأديب التونسي الكبير الأستاذ محمد العروسي المطوي وخلفه السفير التونسي السيد محمد موسى الرويسي وسفير مصر السابق الأستاذ عثمان نوري محمد تجمعني بهم صلة صداقة ومودة، وكذلك بعض سفراء الأقطار الإسلامية من أشد الناس إعجابًا بشخصية الملك فهد وخلائقه الفضلى وصفاته المثلى، وكانوا يتنبأون بأن جلالته سيكون نعمة من نعم الله الكبرى على شعبه وعلى كل شعوب الأمة العربية وشعوب الأمة الإسلامية جمعاء.

ولعلهم - وكل منهم في خير والحمد لله - لا يفوتهم العلم بحال المملكة العربية السعودية في عهد الملك فهد عندما كان وليًا للعهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، ثم في عهده وهو ملك حيث كان جلالته لشعبه ولكل شعوب الأمة العربية والإسلامية نعمًا كثيرة وعظيمة.

وإذا كان شعب المملكة العربية السعودية يحب مليكه حبًا صادقًا ويفديه فإن شعوب العالم الإسلامي تحبه وتراه رمزًا للإسلام.

وما زار الملك فهد أي بلد إلا ترك فيه أثرًا طيبًا، وإعجابًا بشخصه،

وأصدقاء وأحبة لمواهبه وخلائقه غير طامعين في دنيا أو مال يصيبونهما منه، وإنهم على حق إذ يجدون فهدًا وأمثاله أهلًا للحب والصداقة لأنهم من ذخائر الإنسانية النفيسة.

وقد كان أبوه العبقري العظيم عبدالعزيز سعيدًا بمواهب ابنه فهد وشخصيته ومزاياه وخلائقه فكان ينيبه عن نفسه في بعض الأمور بداخل مملكته حتى بلغت به ثقة أبيه حدًا بعيدًا فجعله مستشاراً له في أمور دولته داخلًا وخارجًا، وكذلك كان لإخوته الكبار عندما صاروا ملوكًا مستشارًا فوق مناصبه الأخرى.

ولعل أول عمل لفهد خارج المملكة اختيار أبيه له عضوًا لتمثيل بلاده في وفدها الرسمي تحت رئاسة أخيه العبقري العظيم فيصل وباقتراح منه بمناسبة افتتاح هيئة الأمم المتحدة بسان فرانسسكو سنة ١٩٤٥م (١٣٦٤هـ).

ولقد أتيح لفهد في هذه الرحلة أن يطلع في العالم الجديد على جديد كثير لم يكن كثير منه جديدًا عليه، فهو يعرفه من الكتب، وإن كان الأمر كما يقولون: ما راءٍ كمن سمعا، وقد اجتذب اهتمام كثير من أعضاء هيئة الأمم بطلعته وبشخصيته وثقافته فانعقدت بينهم وبينه صلات صداقة وود.

ولعل أعظم ما أفادته هذه الرحلة مصاحبته لأخيه فيصل حيث اطلع على ألاعيب السياسة ومكرها وخداعها وتقلبها وأسلوبها الماكر الذي اتخذته الدول الكبرى لاغتيال حقوق الدول الصغيرة والنامية، ورأى فهد الصراع علانية بين الحق والباطل، وزاده كل ذلك إيمانًا بأن دينه دين رب العالمين، دين الحق والإنسانية والمثل الرفيعة والقيم العليا، وأن بلاده وشعبه خير البلدان والشعوب على الإطلاق، لأنهما مع حكامهما معتصمون بشرع الله القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه من حكيم عليم.

وتكشفت لفهد ضلالات الحضارة الحديثة، وانهيار القيم الأخلاقية في مجتمعاتها، فلم تجذبه فتنها وزخارفها، بل جعلته يزداد إيمانًا بأن دينه الدين

الحق، وأن مجتمعه هو المجتمع الفاضل الكريم حقًا، لأنه مجتمع الفضيلة والخير والجمال.

ولقد أُعجب بفهد أصدقاؤه الأمريكيون الجدد من شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)، كما أعجب به ممثلو الدول العربية والإسلامية وغيرهم من دول العالم ـ لا الشيوعية والصهيونية ـ، ونشأت بينهم وبين فهد صلات طيبة أكدتها خلائقه وإنسانيته، وتركت هذه الصلات ذكرى طيبة في نفوس من عرفوه.

وعندما دُعي ملك المملكة العربية السعودية مع غيره من ملوك دول العالم ورؤسائها لحضور حفل تتويج الملكة إليزابيث ملكة على بريطانيا وذلك في شهر رمضان سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٢م) مثَّل المملكة فهد بن عبدالعزيز، وظهر بين المدعوين بزيه العربي الرائع الذي اجتذب أنظار المدعوين والجماهير التي لا تحصى من البريطانيين، وقاسم الملكة لفت الأنظار.

وكانت هذه الزيارة لبريطانيا إضافة أصدقاء من مختلف دول العالم إلى من كبار الجاليات العربية والإسلامية في العاصمة الإنجليزية.

ثم تكرر تمثيل المملكة من قبل الملك فهد في وقت مبكر، وها نحن أولاً نشير إلى بعض هذا التمثيل الذي ترك أحسن الآثار، وأضاف إلى أصدقائه مزيدًا من الأصدقاء الخلص، كما خلفت كل زيارة له في البلد الذي زارها خير ما يتركه ممثل في أخلاق فهد وألمعيته وعلمه ونبله.

ورأس الملك فهد وفد بلاده إلى مجلس جامعة الدول العربية في دورته الثانية والثلاثين التي انعقدت في الدار البيضاء في شهر سبتمبر سنة ١٩٥٩م، ورأس وفد بلاده للمرة الثانية في مجلس جامعة الدول العربية في دورته الثالثة والثلاثين التي انعقدت في شتورة بلبنان سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)[1].

---

(١) مقال للأستاذ عبدالله بن سعد الرويشد بجريدة «البلاد» العدد ٧٣٩٥ الصادر في ١١ شوال ١٤٠٣هـ (٢١ يوليو ١٩٨٣م).

وكان سبب تكرار انتداب المملكة إياه نجاحه في الدورة السابقة، كما كان نجاحه في هذه الدورة عظيمًا، وكان في كلتا الدورتين نجمها الساطع.

ومثل جلالته المملكة في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية المنعقد بالقاهرة في دورته الأولى في السابع من شهر رمضان سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

وفي سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م زار الملك فهد فرنسا بدعوة رسمية من المرشال شارل ديجول رئيس الجمهورية الفرنسية وزعيمها الأعظم، وقد احتفى به احتفاء عظيمًا، وكانت هذه الزيارة سببًا في توثيق الصلات بين فرنسا والمملكة العربية السعودية، وتأييد فرنسا لقضايا العرب، بل كانت هذه الزيارة سبب تحول فرنسا إلى العرب، بل كانت الأساس الثابت للعلاقات الطيبة بين فرنسا والمملكة العربية السعودية، بل أخذت الصلات الودية بين البلدين تزداد وثوقًا في عهد الرئيس فاليري جسكار دستان الذي زار المملكة وكان من أصدقاء الملك فهد.

وأذكر للتاريخ أن وسائل الإعلام السعودية احتفلت بزيارة الرئيس الفرنسي جسكار دستان قبل موعد الزيارة ببضعة أيام برهانًا على الاهتمام بالزائر الصديق فكتبت إلى جلالته رسالة ذكرت له فيها أن البابا أفزعه المد الإسلامي في أوربا، وقرر أن يوقفه، وطلب إلى دول أوربا النصرانية أن تعمل على وَقف هذا المد الإسلامي الخطير.

وما كاد البابا يذيع بما قرر على العالم حتى كان الرئيس الفرنسي أول مستجيب للبابا، وأرسل إليه برقية بادر بها وكأنها رجع الصدى قال له فيها: إن لدى فرنسا خبرة طويلة بسبب استعمارها لأقطار إسلامية كثيرة، ويسرها أن تضع خبرتها تحت يد حضرة البابا، كما تضع تحت يده الأموال اللازمة لوقف هذا المد الإسلامي الخطير... إلخ.

وذكرت في رسالتي إلى جلالته أن الصحف العربية في العالم العربي لم

تنشر النبأ الذي نشرته صحف الغرب طالبةً من قرائها أن يقفوا في وجه الزحف الإسلامي حتى يقضوا عليه أو يحصروه حصرًا.

ورجوت من جلالته بصفة كونه قائد حركة الإسلام، وله يد طولى في ذلك المد الذي أقلق البابا أن يكفكف من غلوائه على الإسلام الذي هو خير كله.

شكر الله لجلالته موقفه الكريم إذ تحدث إلى ضيفه، وكتب إليَّ جلالته جواب رسالتي شاكرًا لي ما صنعت، وأنه اهتم بالأمر كل الاهتمام.

وفي سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) زار (الملك) فهد إنجلترا رئيسًا لوفد المملكة العربية السعودية لمناقشة مستقبل دول الخليج العربي، ومما تفخر به المملكة أن رئيس وفدها كان النجم الأسطع في هذا المؤتمر الذي تم فيه بناء قواعد هذا المستقبل المرقوب الذي كانت قواعده من وضع فهد العبقري الموهوب، وجنت دول الخليج قوة واتحادًا وأمنًا.

ولما أريد المزيد من التعاون التجاري والاقتصادي بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية اختير الملك فهد لتمثيل المملكة رئيسًا لوفدها، وتم الاجتماع بالوفد الأمريكي وذلك في سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) حيث أبرمت اتفاقية التعاون الاقتصادي والتجاري بين أمريكا والسعودية.

وعندما قرر عقد مؤتمر الدول المصدرة للبترول بالجزائر في شهر صفر سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) اختير الملك فهد رئيسًا لوفد المملكة لحضوره، وقد تأكد لأعضاء المؤتمر أن الملك فهدًا من أعظم خبراء البترول إذ كانت آراؤه السديدة قوام هذا المؤتمر.

ولما أريد الحصول على المزيد من تأييد فرنسا لقضية فلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني زار الملك فهد فرنسا سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) إذ اختير الملك فهد لهذه المهمة العظيمة، ولقد أثمرت هذه الزيارة نجاح المهمة

حتى صارت فرنسا صديقة للعرب، ومؤيدة لقضاياهم وبخاصة قضية فلسطين وشعب فلسطين.

وأراد الرئيس الفرنسي فاليري جسكار دستان أن يوثق علاقات فرنسا مع المملكة العربية السعودية أكثر وأشد مما هي عليه فدعا فخامته الملك فهدًا لزيارة فرنسا رسميًا، وتمت الزيارة في سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) واستقبل الرئيس ضيفه الكبير استقبالًا رسميًا حافلًا، وانتهت الزيارة بعقد اتفاقية التعاون بين فرنسا والمملكة العربية السعودية.

ودعا جلالته صديقه الرئيس الفرنسي لزيارة المملكة فقبل الدعوة مسرورًا وحدد للزيارة موعدًا نشرته صحف البلدين الصديقين.

وفي تلك الأيام من سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) حفل البلدان الصديقان بمزيد من زيارات المسؤولين في كل منهما للبلد الآخر سبقت زيارة الرئيس الفرنسي، ومهدت لها تحقق رغبة فرنسا في المزيد من الصلات الودية والعلاقات التجارية والاقتصادية.

وتوالت على الملك فهد الدعوات الرسمية من الدول كلما دعت الحاجة إلى زيارة بعضها، فزار بعض الدول الإسلامية والعربية، ولبى دعوة رسمية وجهت إليه من مستشار ألمانيا الغربية لزيارتها وكانت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ونجحت الزيارة إذْ استطاع الملك فهد أن يحمل ألمانيا على التقليل من تعاونها مع إسرائيل التي كانت تبتز من ألمانيا مئات الملايين من الدولارات كانت تدفعها لها تعويضًا مبالغًا فيه عما ذاق يهود ألمانيا من هتلر من «مصادرة» أموال، ونفي وتشريد وسلب، وابتزاز اليهود بأكاذيبهم ومبالغاتهم ودعاواهم الباطلة بلايين الماركات، وما زالت إسرائيل تحصل على الكثير من المغانم من ألمانيا التي كانت تؤيد إسرائيل تأييدًا مطلقًا في المحافل الدولية اتباعًا للولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت زيارة الملك فهد كشفًا لحقائق جعلت ألمانيا تراجع حسابها مع

إسرائيل، وحداً من ذلك الاندفاع، وكبحًا لجماحه، ونشأت بين جلالته وبين مستشار ألمانيا صداقة طيبة، كما نشأت بين جلالته وبين كبار الألمان من المسؤولين ومن كبار رجال الفكر والاقتصاد والصحافة، وأعجبوا بالملك فهد ومنطقه وعلمه بالتاريخ وثقافته الواسعة.

وفي سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) زار الأردن والعراق وسوريا ومصر، وأثمرت هذه الزيارات شيئًا غير قليل من الصفاء في العلاقات فيما بينها، كما كان المكان المعد لنزوله في كل قطر من هذه الأقطار مزدحمًا بزواره من كبار المسؤولين والأدباء والمفكرين والصحفيين، وكان بينهم أصدقاء له من قبل.

وفي سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) دعي جلالته لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية من قبل رئيسها جيمي كارتر الذي تحفى بضيفه الكبير تحفيًا لا مزيد عليه، وحياه الرئيس الأمريكي بأجمل عبارات الترحيب، وبلغت حفاوته بضيفه في حفلة العشاء التي أقامها لضيفه بالبيت الأبيض أقصى ما تبلغ الحفاوة بضيف جدٍّ عزيز حتى إن الرئيس تحدث مع ضيفه فهد بن عبدالعزيز إلى السيارة ليودعه هذا الوداع الكريم الذي لا سابقه له ولا لاحقة حتى هذا اليوم.

خرج الرئيس مع ضيفه وكان الوقت شتاء، والمطر يهطل بغزارة، خرج إلى حيث تقف السيارة تنتظره لتقله، ودخل السيارة وأغلق الرئيس بابها، وما زال الرئيس واقفًا والشمسية بيسراه وهو رافع يمناه بالتحية حتى غادرت فناء البيت الأبيض وخرجت من بابه لتتوارى فيعود الرئيس.

ومن تقاليد البيت الأبيض والرئيس الأمريكي أنه يودع بعد باب حجرة المائدة ببضع خطوات ليغادر الضيف، أما مع فهد قائد حركة العروبة والإسلام في هذا العصر فالأمر مختلف جدًا، فما كان هذا الاحتفال التكريمي النادر البالغ أقصى مداه إلا بسبب شخصيته الثقيلة كل الثقل في

مختلف الموازين، هو أثقل عربي في ميزان العروبة، وهو أثقل مسلم في ميزان الإسلام، وهذان الثقلان أعطيا فهدًا في الميزان الدولي ثقلًا أكثر.

ولما فاز ميتران برئاسة الجمهورية الفرنسية عن الحزب الاشتراكي خلفًا للرئيس فاليري جسكار دستان ظن كثير من الحكام العرب وغير العرب أن سياسة فرنسا الخارجية ستتغير، لأن الحزب الذي ينتمي إليه الرئيس ميتران ضالع مع الشيوعية، ولأن الاشتراكية والشيوعية ترضعان من لبان واحد، فأراد ميتران أن يثبت للناس أن مصلحة فرنسا هي التي تسيره، وهو لا يجهل أن الشيوعية لا وفاء لها، وأن مصلحة فرنسا تقضي عليها بالبقاء في حلف الأطلسي.

ولم يكن ميتران بجاهلٍ شخصية فهد وسمعته وثقله في الميزان الدولي الإسلامي والعربي، ورأى أن يحافظ على الصداقة التي بناها الرئيس ديجول والرئيس جسكار دستان بين فرنسا والمملكة العربية السعودية، بل رأى أن يعمل على بقائها ونمائها فدعا الملك فهدًا في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) إلى زيارة فرنسا فلبى الدعوة، فهو إن لم يستطع أن يجعل ميتران مع العرب يؤيد حقوق الشعب الفلسطيني تأييدًا يرضي شعب فلسطين فإنه ضامن ألا تصير فرنسا مثل أمريكا في تأييد إسرائيل في كل اعتداءاتها، والوقوف معها بكل قوتها ضد العرب.

وقد أثمرت زيارة فهد لفرنسا ما أمَّله منها، فكسب للعرب وقضية فلسطين مع فرنسا الجولة التي خسرتها إسرائيل، إذ لم تستطع أن تحقق مع ميتران ما كانت ترجو أن تحققه، وتلك خسارة كبرى لإسرائيل، ومغنم كبير للعرب.

وهناك كسب آخر حققته زيارة فهد هذه لفرنسا، ألا وهي توثيقه صلاته مع أصدقاء العرب من الفرنسيين، وأصدقاء المملكة العربية السعودية إذ وجدهم أوفياء يدفعهم الوفاء وصدق المودة إلى الذود عن

العرب والمملكة، وتأييد مطالبهم وقضاياهم، وتفنيد أباطيل خصومهم اليهود وفضحهم.

ولقد ظهرت عبقرية فهد السياسية في مؤتمر القمة الذي انعقد بفاس في المغرب سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) فقد وفقه الله لتقريب وجهات النظر العربية، وتذليل كثير من العقبات، وقدم مشروعه السياسي العظيم لحل النزاع العربي اليهودي، وذلك بضمان حقوق الشعب الفلسطيني، والاعتراف بها، وتمكينه كمثل شعوب الأرض من مزاولة حقوقه، وأن يكون حقه في الحياة الشريفة الآمنة حقًا طبيعيًا لا نزاع فيه ولا مراء، والاعتراف من كل دول العالم بكل ما يترتب على هذا الحق الذي لا ريب فيه: حق الحرية في السكن بوطنه الأصيل منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا.

ويقرر الفهد في مشروعه أن حق كل شعب في وطنه حق طبيعي وصريح، فحق الفلسطينيين في وطنهم فلسطين حق ثابت ثبوتًا، فالاسم نفسه الدليل القاطع، لأن وصفهم أو نسبتهم إلى فلسطين يغني عن كل دليل، فهم ووطنهم شيء واحد، يتعذر الفصل بين الأرض وصاحبها، فهي فلسطين وهم فلسطينيون، وذلك أمر مقرر منذ آلاف السنين إلى يومنا هذا.

ثم إن الفلسطينيين سكان فلسطين الأصلاء حافظوا أشد المحافظة على قوميتهم ووطنيتهم واسمهم وصفاتهم منذ عصور ممعنة في القدم حتى اليوم، ولم يذوبوا قط فيمن احتل بعض أراضيهم أو كلها مثل المصريين والرومان والفرس واليهود حتى إذا حرر المسلمون العرب فلسطين من الرومان إلى أبد الدهر بقي عرب فلسطين معروفين بنسبتهم إليها.

وثبت الفلسطينيون بوطنهم وأرضهم فلسطين في جميع عهود الاستعمار قديمًا وحديثًا عندما استعمرها الإنجليز بعد الحرب العظمى الأولى، وقد ضحى الشعب الفلسطيني في جميع العصور بدمه الغالي، ولم يترك قط فلسطين لمستعمر غاشم، بل التصق بأرضه التصاقًا استحال فصل بعضهما

عن بعض، أما اليهود فلم يكونوا قط فلسطينيين منسوبين كأهلها الأصلاء إلى فلسطين العربية، بل ظلوا يهودًا في كل العصور، لم ينسبوا قط إلى فلسطين مما يدل على أنهم ليسوا منها، ولا حق لهم فيها بتة أبدًا.

ونحن لا ننكر أن اليهود أو بني إسرائيل دخلوا فلسطين الأرض الغريبة عليهم دخول عابري سبيل، ودعاهم العبور إلى أن يسكنوا أرضًا غريبة عليهم باسمها واسم أهلها الذين نسبوا إلى وطنهم وأرضهم فلسطين.

نعم، اليهود عابرو سبيل، فلما قسا عليهم الرومان بسبب أخلاقهم البشعة وفتكوا بهم في أرض ليست لليهود ولا للرومان الذين استعمروها ثم تركوها لأهلها الأصلاء العرب الفلسطينيين، وعادوا إلى وطنهم الأصيل، وكذلك اليهود الغرباء على أرض فلسطين سكنوا زمنًا قصيرًا في بقعة صغيرة من أرض فلسطين وهم عابرو سبيل في أرض غيرهم، ولهذا سيان لديهم فلسطين أرض العرب الفلسطينيين وأي أرض سواها، ولهذا كانت مواطن هجراتهم أوطانهم، والأرض المأمونة آثر لديهم من فلسطين، فهم بتركها لم يخسروا شيئا[١].

كان مشروع فهد لحل النزاع هو المشروع الوحيد الذي يضمن لسكان المنطقة الأمن والسلام والاستقرار، وعندما يكون كل ذلك مضمونًا لهم جميعًا الحياة السعيدة، ولهذا بقي مشروع فهد تأييدًا عالميًا مقرونًا باحترام صاحب المشروع الذي يعيش في الصميم من الإنسانية.

وإذا قوبل مشروع فهد بالترحاب العالمي فإن أكثر شعوب الأمة العربية

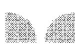
---

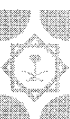
(١) قد فصلنا القول في فلسطين وأهلها منذ فجر التاريخ في مؤلفنا المسمى «عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين والهيكل لم يكن مقدساً عند سليمان اليهود» فصلنا هذه الحقائق، ولكن العصر الحديث ليس عصر الدين والأخلاق، وليس عصر الحق والرشد والعدل، ولهذا غشي الأرض الظلم والكذب والبهتان والباطل والشرور.

مع التأييد العالمي، وكذلك لم ترفضه منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي لشعب فلسطين، بل أيّدته.

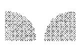
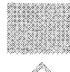
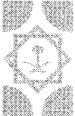
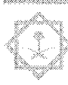
والحق أن الملك فهد قبل أن يصبح ملكًا مثَّل بلاده وحكومته وشعبه أحسن تمثيل، وكسب لهم كل القضايا والأمور التي انتدب لبحثها مع الأطراف التي جرى البحث معها، ونجح في زياراته نجاحًا باهرًا، فلما ملك اعترف له العرب والمسلمون ومعهم العالم أن فهدًا قائد حركة العروبة والإسلام في هذا العصر.








فهد والتضامن العربي



فهد والتضامن العربي

إذا كان الحكم بالتفوق للعرق والدم فالملك فهد في الذروة العليا من حيث العرق والدم، لأنه عربي أصيل قُحٌّ لا تحتاج قحاحته إلى برهان، فهو ذو معدن من خيار العرب وخيار بني الإنسان.

ومع هذا الامتياز الرفيع لم يُمتَدح الملك فهد ولا أبوه العظيم الملك عبدالعزيز ولا أبناء عبدالعزيز الأفذاذ ولا أي أحد من آل سعود الكرام بالعرق والدم، إيمانًا منهم بقول رسول الله ﷺ: «كلكم لآدم، وآدم من تراب». لم يُمدحوا بعرق قط، وإنما كان كل فخرهم بدين الإسلام الذي أكرمهم الله به.

وحضرت في سنة ١٣٥٧هـ مجلس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في مكة المكرمة حرسها الله، وسمعته يقول: «إذا كان الفخر بالنسب فلنا الفخر الأتم، ولكني لا أفخر بأب أو بأم، وإنما أنا على قول الشاعر[1]:

أبـي الإسـلامُ لا أبَ لـي سـواهُ ... إذا افتـخـروا بـقيسٍ أو تـميـمِ

ومنذ ذلك اليوم استقر البيت في ذاكرتي حتى كتابة هذه السطور، وهو يعبر عن كل فرد في البيت السعودي الذي لا يَتَنَفَّجُ بالنسب، وإن كان كل عربي يفخر بعروبته فخراً يجب ألا يخرجه عن الحد القوام إلى التعزي بعزاء الجاهلية الذي ذمه رسول الله ذو النسب الأرفع الأكرم محمد ﷺ الذي قال: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأَعِضُّوه بهن أبيه ولا تكنوا».

---

(١) هو نهار بن توسعة.

نفخر بعروبتنا على سنة الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فقد كان النبي العربي محمد ﷺ هدى ورحمة للعالمين، ورسولًا إلى الثقلين كافة، وقد حمل العرب الإسلام ودعوا إليه ونشروه، والصحابة الكرام عرب، والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

والعروبة غير القومية العربية التي صدرت الدعوة إليها من مسيحيين مارونيين وصليبيين، وهم الذين اخترعوا القومية العربية يواجهون بها الإسلام، ويضربونه بها.

ونحن نخاصم القومية العربية التي يراد لها أن تكون بديلًا عن الإسلام، ولا نرضى بأي شيء بديلًا عن دين الله الذي ارتضاه لعباده، أما أن تكون القومية تابعة للإسلام، وحاملةً إياه في إجلال وتكرمة وإكبار وإيمان فإنها تكون حينئذ عروبة وليست بقومية ذات عِرقٍ جاهلي.

هذه القومية الجاهلية نشأت ـ كما قلنا ـ على أيدي نصارى مارونيين في لبنان صاغتهم فرنسا ليكونوا أداة هدم للإسلام، واتفقت كلمة الصليبيين الأوربيين والصليبيين المارونيين اللبنانيين على الخلافة الإسلامية القائمة في تركيا، حيث اتفق مع الصليبيين اليهود على ضرب الخلافة الإسلامية التي كانت رمزًا يجتمع حوله المسلمون جميعًا.

وأخذت الدعوة إلى القومية العربية تنتقل في مراحل حسب مخطط أعداء الإسلام، واستخدموا الدعوة في براعة، فلما زرع الاستعمار الغربي دولة لليهود في أرض العرب قامت دعوات صارخة إلى القومية العربية تنطلق من الرأسمالية ممثلة في أمريكا وبريطانيا، ومن المفارقات العجيبة أن الشيوعية التي تحارب القومية والوطنية شجعت الدعوة إلى القومية العربية، لأن فيها إضعافًا للدين، ولتواجه بها الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي وكل ما يتصل بالإسلام والقرآن من حضارة وثقافة وفكر ولغة وآداب وعلوم وفنون.

وصحبت الدعوة إلى القومية أو سبقتها ثم مشت معها دعوات هدامة منها الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم بدل الفصحى التي اتهموها بكل نقيصة وذم، ثم تطورت الدعوة إلى ما هو أخطر من العامية، وهي إحلال لغة أجنبية بدلًا من الفصحى والعامية، كما انطلقت دعوة أخرى خطيرة كل الخطر ألا وهي دعوة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي كما فعل مصطفى كمال في تركيا إذ استبدل بالحرف العربي الذي كانت تكتب به اللغة التركية الحرف اللاتيني فصارت كالمنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

ومصدر كل هذه الدعوات الهدامة أعداء الإسلام من متعصبة النصارى المارونيين في لبنان، ومتعصبة النصارى القبط في مصر، وهم أو من قبيلهم الدعاة إلى القومية العربية، وقد أعمتهم العداوة للإسلام والقرآن ولغتهما عن أن الدعوة إلى القومية العربية تنتهي إلى هدم اللغة العربية، لأن أيّ خطر على الإسلام خطر على لغته.

ومع هذا اتخذ في كل بلد عربي من يدعو إلى اتخاذ العامية ويروج لما ألف بها مؤيدًا أعداء الإسلام الذي قلَّ بين المسلمين من يخلص له حقَّ الإخلاص.

ودعاة القومية الذين هم دعاة العامية والحرف اللاتيني والاشتراكية والشيوعية والتغريب كشفوا عن حقيقتهم ألا وهي التآمر على الإسلام الذي كان رسوله الحق عربيًا خالصًا من عرب خلص يتخذ العربية لسانًا، وهي نفسها لغة الوحي كتاب الله الكريم وحديث محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ويعرف دعاة القومية العربية الذين نهضوا بالدعوة إليها سنة ١٩٥٠م وما بعدها أن آل سعود آصل منهم عروبة، وأكرم نسبًا، وأعلى حسبًا، وما يماري في ذلك أحد، بل يعرفون حق المعرفة أن العروبة جنسهم، والعربية

لغتهم، ومع هذا لا يجعلون القومية العربية قائدة الإسلام وسيدته، بل هي ـ أي القومية إذا كان لا مفر منها ـ خادمة الإسلام، والعربية لغته، ولا يمكن أن تكون آثر عند العرب المسلمين بحق من دينهم الحق الذي هو الأصل والأساس.

ولو قام كل شعب مسلم على قوميته لتعددت القوميات، ولوقع تناقض كبير بين هذه الدول التي تتعدد بتعدد القوميات، ولعظم هذا التناقض في الأقطار الإسلامية التي تكون شعوبها خليطًا من قوميات مختلفة، أو تكون شعوبها غير ماتَّة إلى العروبة بنسب، وهذه الشعوب المسلمة التي يُعدُّ سكانها بمئات الملايين لا دخل لها بالقومية العربية التي تقف من تلك الشعوب موقفًا غير كريم، ويجب أن نوازن بين خسارتنا عربًا إذا أردنا مجاملة أقليات وطوائف غير مسلمة لا تحب المسلمين العرب وبين خسارتنا إذا جمعنا أنفسنا مع المسلمين.

وعندما وقف آل سعود مع «الإسلامية» في صراعها مع القومية التي أوجدها دعاتها في الوطن العربي الكبير لتحطيم عقيدته التي تتبعها لغته وشخصيته وقيمه وعلاماته الفارقة.

ومصداق ذلك ما نجم عن عزل كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وسلم بسبب أعداء الإسلام النصارى عندما تسلطوا على أقطاره واستعمروها فلم يعد قطر يحكم بشريعة الله غير البلاد السعودية، فلقد حوصر القرآن والحديث من قبل الاستعمار الغربي المسيحي، ومن بعده من تسلموا منه السيادة كانوا مثله حقدًا على الإسلام، فلا حدود تقام، وأحلوا الحرام: الخمر والميسر والربا، وحرموا ما أحل الله، وفقدت كل مجتمعات المسلمين طابعها الإسلامي، وحكومة الإسلام.

وميزة آل سعود الكبرى في هذا العصر أنهم وحْدَهم في هذا العالم كله الذين يُحكِّمون الكتاب والسنة تحكيمًا صحيحًا لا يحيدون عنه قيد شعرة، فلا يحلون غير ما أحل الله، ولا يحرمون إلا ما حرم الله.

ومنهج آل سعود واضح لا لبس فيه، وكلهم متفقون في القول والعمل والسلوك، وما دمنا نكتب في الملك فهد نكتفي بشواهد من كلامه في مختلف المناسبات تدل على أن الإسلام هو ما يقول ويعمل.

عندما كان الملك فهد في زيارة تفقدية[١] للمنطقة الشرقية أقبل عليه الآلاف من المواطنين من كل فئات الشعب، وعدد كبير من رجال الأمن للسلام على جلالته فألقى عليهم خطبة بليغة جاء فيها قوله:

«تجب علينا المحافظة على عقيدتنا الإسلامية السمحة أساسًا يجمع هذه الأمة، ويوحد خطاها ويسددها لتكون لها العزة والرفعة على الدوام، وإن عقيدتنا الإسلامية الخالدة هي منهجنا القويم، ومصدر صلاحنا وعزنا، وإن بلادنا ماضية في الحفاظ على عقيدتنا وأن نجعلها منهج حياتنا كلها، وإن أوضاع المنطقة الراهنة تؤكد حاجة هذه الأمة إلى العودة إلى هذه العقيدة وتلتمس فيها الخلاص من كل الكوارث والمصائب والأزمات، ويجب علينا التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وأن نعمل في إطار الشريعة السماوية العظيمة التي حوت كل أسباب النجاح والسعادة والمجد والقوة والعزة».

وبعث جلالته بكلمة إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالمحسن بن عبدالعزيز نائب أمير منطقة مكة المكرمة ألقاها نيابة عن جلالته في الدورة السابعة لمجلس المجمع الفقهي بمكة المكرمة حرسها الله المنعقدة في مساء يوم السبت ١١ ربيع الآخر ١٤٠٤هـ جاء فيه قول جلالته:

«إن الكتاب والسنة هما الأصلان العظيمان من أصول الإسلام اللذان بها نهتدي، وعليهما نسير، وإليهما نحتكم، فمن أراد الخير والسعادة فعليه

---

(١) كانت بداية الزيارة يوم الاثنين ٣ من جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ.

أن يتقيد بهما، ويتحاكم إليهما فإنهما سبب الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة، وعليهما بنيت الشريعة الإسلامية السمحة التي لا يكون المسلم مسلمًا إلا بالعمل بها والمحافظة على ذلك في أمور دينه ودنياه».

وفي خطبة جلالته في تقديم ميزانية الدولة في غرة رجب سنة ١٤٠٣هـ قال:

«إن كل ما ورد ذكره هو في الواقع ينبع من شيء أساسي هو تمسكنا بعقيدتنا الإسلامية، إن عقيدتنا الإسلامية هي الخير والبركة، والالتفاف هو الأساس بل هو القاعدة الأساسية والمنطلق لهذه البلاد التي أنعم الله عليها بالاستقرار، وجعلها مهبطًا للوحي وللرسالة العظيمة التي أنزلت على سيدنا محمد ﷺ، وجعل هذه البلاد وأهلها قدوة للإسلام والمسلمين من ذلك التاريخ إلى هذا التاريخ، وسوف تسير هذه الدولة بحول الله على القاعدة الإسلامية الشرعية، لن تخالفها أبدًا، لأنها قاعدة سمحة، ولم تأمر بشيء إلا والخير فيه، ولم تنه عن شيء إلا والشر فيه.

لذلك هذه القاعدة الصلبة التي تمكن هذه الدولة أن تسير مثلما سارت في السنوات الماضية على أسس وقواعد ثابتة.

وأرجو أن يوفقنا الله جميعًا حكومة ومواطنين لما فيه خير الإسلام والمسلمين وعزتهم... إلخ».

وما من مناسبة تستدعي من جلالته التوجيه إلا كان هتافه الدائم الصريح: الإسلام وحده، ولم يؤخذ على آل سعود أنهم دعوا لغير الإسلام، وإنَّ ميزتهم في هذا العصر أنهم وحدهم في هذا العالم يحكمون الكتاب والسنة تحكيمًا صادقًا صحيحًا، يحلّون ما أحلا، ويحرمون ما حرّما، ويلتزمون بهما في كل أمر من أمور الحياة دينًا ودنيا.

فعندما شاع السفور في عالمنا العربي وازدحمت بلادنا السعودية المتمسكة بدين الله الحق بالمتعاقدات وزوجات المتعاقدين، وهن قادمات

من بلدان سُفر نساؤها وهن منهن، يضاف إلى ذلك كثرة سفر السعوديين ومعهم أولادهم ونساؤهم إلى أقطار العرب والمسلمين، وإلى أوربا وأمريكا وسَفَر نسائهم، بادر الملك الشهيد فيصل ـ رحمه الله ـ وبعده الملك خالد ـ طيب الله ثراه ـ إلى أمر الأمة كلها والقادمين إلى بلادهما بالمعروف والنهي عن المنكر، وشددوا على الأمر بالحجاب، والنهي عن التبرج والسفور.

ولما تولى الملك فهد جدد ما سبق، وحذر من التساهل في الحجاب، وأنذر المتساهلين والمتساهلات.

وعندما خطط الملك فهد لتجديد المعارف بعد أن تحولت على يديه من «مديرية» إلى وزارة، وقرر فتح باب العلم للبنات، وإنشاء كليات وجامعات ومعاهد عالية قرر أن يكون التعليم بكل ضروبه من الحضانة إلى الجامعة قائمًا على أساس شرعية الإسلام حتى إذا أثرت خطط الملك فهد وآماله كان أهم ما قرره في «خارطة» التعليم بجميع مراحله - وذلك عندما كان وزيرًا للمعارف ـ ونجح في قراره وتنفيذه، حمايةَ الأعراض والأموال والأنفس والحقوق بتحريم ما حرم الله وبإحلال ما أحل.

وهذا ما حمى المجتمع السعودي كله من الانهيار أو التزعزع، وبقي المجتمع السعودي بين مجتمعات العرب والمسلمين مجتمعًا إسلاميًا صحيحًا محافظًا على مكارم الأخلاق الإسلامية.

وآل سعود من خير العرب نسبًا وحسبًا وأخلاقًا، والملك فهد من خيرهم دون مراء، ولكنه مثل آبائه لا يؤثر على الإسلام أي انتماء، مع امتيازه على غيره من العرب، ومع إيثاره الإسلام لم يحمله هذا الإيثار على التنكر لأصله العربي، لأن الإسلام نفسه لا يأمر بذلك، وإنما يأمر بالتنزه عن عزاء الجاهلية، لأنه لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، لا بالعرق والدم.

ومحمد ﷺ الذي قال: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» هو أنقى دمًا وأطهر عرقًا من قوم فضلوا غيرهم في نقاء الدم وطُهر الأعراق، لأن الإسلام عدو الجاهلية التي من مفاخرها التنفج بالأنساب دون التقوى.

وما دام الإسلام لا ينكر الانتماء إلى الجنس في حدوده الشرعية فإن الملك فهدًا لا يتنكر لانتمائه، بل يفخر بعروبته الرحبة لا القومية العربية الضيقة.

وسعة العروبة تتجلى في قدر مكارم الأخلاق التي منها التنزه عن الجاهلية التي قسمت الناس قسمين: عربًا هم الناس، وعجمًا أدنى مرتبة، وكلمة عرب تعرب عن الامتياز الذي تظهره كلمة عجم، فجاء الإسلام ورفع سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي إلى أرقى المراتب العليا التي لم يصل إليها زعماء قريش التي منها رسول الله ﷺ.

أما القومية فعصبية وضيق، ولهذا عندما ظهرت حُمَّى الدعوة إليها رأينا آل سعود رفعوا أمام شعار القومية شعار الإسلامي، مع أنه كان بوسعهم أن ينتزعوا من دعاة القومية العربية رايتها دون منازع، ولكنهم كانوا يقتدون برسول الله ﷺ الذي خرج إلى الوجود من أشرف قبيلة، ما كان ليفخر بالنسب فخر الجاهلية، وما استغل العصبية العرقية ليتقوى بها وتتأيد دعوته بقوة القومية، لأن الإسلام دين الإنسانية كلها، فهو فوق الأوطان والأقوام والأجناس.

فالملك فهد ينتمي إلى العروبة، ويعمل على أن يبقى العربي كما كان سلفه عربيًا في صدر الإسلام، أن يبقى عربي العصر الحديث جديرًا بالعروبة التي حمل أصحابها خير دين، وانتمى إليها خير نبي يعمل بكل ما لديه من قدرة - وما أعظم القدرة التي وهبه الله إياها - أن يوحد بين العرب حتى كانوا أمة الحق والإنسانية والأخلاق.

وآل سعود أصل العرب في هذا العصر، وليسوا بشعوبيين عندما

يجعلون الانتماء الأسمى الأصدق إلى الإسلام، بل هم لا يفخرون إلا به، لأن سيد المسلمين عمر بن الخطاب العربي الأصيل قال: «من أراد العز بغير الإسلام ذل».

وعندما سمع رسول الله ﷺ صاحبه العزيز عليه أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ يقول لأخ مسلم له منتقصًا: «يا ابن السوداء» غضب الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لصاحبه: «إنك أمرؤ فيك جاهلية»!

ومع هذا الغضب من رسول الله ﷺ والزجر الشديد لم يتنكر لعروبته، ولم يُخْفِ انتسابه، بل فخر به فخر نبي رسول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب»، وهو في هذا الاعتزاء قدم النبوة مقرونة بخير صفات المؤمن ألا وهي الصدق، وهو ينبئ عن إيثاره الإسلام لأنه هو مصدر العزة، وصدق الله القائل في محكم كتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فآل سعود عرب أقحاح من عرب أقحاح، وهم خيار من خيار من خيار، والملك فهد عربي أصيل، ولهذا كانت تبعته في القيادة أثقل التبعات، فهو لا يدعو إلى قومية عربية، مخافة أن يظن أحد - مسلمًا كان أم كان غير مسلم، عربيًا كان أم غير عربي ـ أنه يفتخر بعرق ودم وقوم بسبب أصالته، وفي ذلك تفاخر لا يقره الإسلام الذي جاء للقضاء على الجاهلية والعصبية القبلية.

والملك فهد لا يتمدح بما كانت الجاهلية تتمدح به بعد أن أعزه الله بالإسلام الذي لم يمنعه عن البر بإخوته العرب: إخوته في النسب، بل حث أبناء الأب الواحد بأن يتآخوا، وللمنتمين إلى جد أعلى وأكبر أن يذكروا ذلك حق الذكر ليزداد عدد الإخوة، حتى إذا انتهى الأمر إلى انتماء يضم الجنس العربي اتسعت الدائرة أيما اتساع، ولا لوم على من ينادي بوحدة الجنس، لأن فيها قوة ووفرة في العدد والمال والأرض.

ومن هنا تكون تبعة الملك فهد بصفة كونه العربي الأصيل تبعة كبرى تزداد ضخامتها وثقلها عندما نذكر أن الملك فهدًا ليس بالعربي الأصيل وحسب، بل هو «أكبر» عربي في هذه الأيام، لأنه يجمع في شخصيته الفذة خصائص الجنس العربي كله.

وهذه التبعة الضخمة الثقيلة الملقاة على الملك فهد بسبب هذه الكبارة التي لا ينازعه فيها أحد يضطلع بها فهد دون أن ينوء بحملها حفاظًا على وحدة الجنس العربي حتى يكون كل العرب - كما يجب - شعبًا واحدًا يقف كل أفراده في معسكر واحدٍ تجاه المعسكرات المعادية لعروبتهم الأصيلة وديانتهم الصحيحة.

يجب أن تكون الأمة العربية كلها وحدة متماسكة تقف بمجموعها أمام أي أمة؛ وبخاصة شعب إسرائيل الباغي الطاغي الذي يدفعه حقده على بني العروبة جمعاء أن يضربهم أمةً ويضربهم شعوبًا فبدأ بشعب فلسطين العربي يضربه ضربات إبادة تعينه عليها دول كبيرة قوية تسيطر عليها إسرائيل مثل الولايات المتحدة التي تقف معها وقوف التابع للمتبوع حتى صارت لإسرائيل قوتها التي تبطش بالعرب فرادى وقرانى وجماعات.

ولهذا عظمت تبعة الملك فهد من ناحية عروبته دون غيره من الحكام الذين تخلى أكثرهم عن مسؤولياتهم التي تتطلب منهم التضحية الصادقة والبذل السخي مع وحدتهم التامة فيما بينهم.

هذا واجب كل الحكام الذين تفرقوا شيعًا، وبدا أكثرهم غير مستعدين لإزالة التفرقة والنزاع الذي شغلوا به أنفسهم، وتورطوا في مشكلات أوقعهم فيها أعداؤهم، وأعانوهم على أنفسهم بأن حارب بعضهم بعضًا حربًا جنى ثمارها عدوهم الأكبر إسرائيل.

وقد مر بي حديث نشرته جريدة «الجزيرة» التي تصدر بمدينة الرياض بعددها الصادر في شهر شوال ١٤٠٣هـ وكان عنوان الحديث «جهود الفهد

لانتشال الأمة العربية من أوضاعها الصعبة»، وفي العنوان وحده غناء عن التفصيل، إذ لخصت الجريدة فيه واقع العرب وواقع الملك فهد في احتماله تبعات العمل لجمع الصف العربي والكلمة العربية.

وكان حديث «الجزيرة» مع مسؤولٍ صومالي كبير هو الدكتور عبدالرحمن جامع بري وزير خارجية الصومال الذي قدم إلى المملكة رئيسًا لوفد الصومال للبحث معها في بعض شؤون الصومال المهمة، وقال معاليه لمندوب الجزيرة[1]:

«إن صاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز كزعيم أمة قد أولى القضايا العربية والإسلامية اهتمامه الكبير الذي ينبع من سياسة أصيلة تتجه إلى إحقاق الحق وانتشال الأمة العربية من أوضاعها الصعبة، والأخذ بها إلى الأمن والاستقرار، كما أن جلالته لم يكن يتوانى في أي وقت عن إعطاء القضية العربية المساعدة الكاملة وهو ما يتمثل في الجهود السعودية في كل وقت التي استطاعت أن تحقق خطوات جبارة في دعم قضايا العرب والمسلمين».

وما قاله الوزير الصومالي قد قاله غيره من الملوك والزعماء والحكام العرب والمسلمين مثل الملك الحسين، والملك الحسن، والسيد ياسر عرفات، وزياد بري، وضياء الحق، وضياء الرحمن، ورئيس اليمن الشمالي، ورئيس اليمن الجنوبي، وغيرهم.

وعندما تعرضت بيروت العربية وما فيها ومن فيها الذين يعدون بمئات الألوف تكدسوا في هذه البقعة الصغيرة من أرض لبنان العربية حيث تعرضت بيروت والقرى التي تحيط بها في شهور رجب وشعبان ورمضان وشوال من سنة ١٤٠٢هـ لقصف بشع فظيع من البر والبحر والجو من قبل

---

(١) أجرى الحديث عن الجزيرة مندوبها بجدة الأستاذ عبدالرحمن إدريس.

أعداء الإنسانية اليهود لم يشهد مثله تاريخ الإنسانية في أعنف حربين عظيمتين، شنته إسرائيل في جنونٍ مُستعِر على بيروت الغربية وضواحيها تريد أن تمحوها بمن فيها من اللبنانيين والفلسطينيين وغيرهم من أوربيين وأمريكيين وغيرهم، تريد إسرائيل - بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية - محو بيروت الغربية لتكدس المسلمين من لبنان وفلسطين، ولو لم تكن كذلك لما ضرتها إسرائيل بدليل أنها لم تضرب بيروت الشرقية.

في هذه الكارثة الفظيعة البشعة كان المتحرك الوحيد بل الأوحد لإنقاذ مئات الألوف من الأرواح البريئة هو الملك فهد بن عبدالعزيز الذي بذل في سبيل إنقاذ بيروت ومن فيها وما فيها من الجهد والمال ما لم يبذله أحد، بل حتى هذا اليوم لم ير لجلالته نظير، كأنما أراد أن يثبت للعالم أن فهدًا هو الوحيد بين كل الحكام الذي يغار على كل عربي، بدليل أنه الحاكم العربي الوحيد الذي أنقذ بيروت من المحو والإبادة.

ولست أنا السعودي الذي أقول هذا، وإنما رددته الصحافة العربية وصحافة الأقطار الإسلامية وكثير من الصحف العالمية، ويردده زعماء بيروت ولبنان كلٌّ في الجانب الذي يتزعمه، وفيهم السيد صائب سلام أحد كبار زعماء لبنان، ومن أعظم من تولوا رئاسة الوزارة في لبنان الذي لم يكفه ما صرح به للصحف عن فضل الملك فهد وموقفه الفريد في حصار بيروت من قبل إسرائيل الباغية، بل دوَّن في مذكراته الشخصية التي اطلع عليها مندوب جريدة «الندوة» التي تصدر من مكة المكرمة حرسها الله بعددها الصادر في يوم الاثنين ٨ شوال ١٤٠٣هـ، وها هو ذا نص ما دوَّنه الزعيم اللبناني الكبير صائب سلام في مذكراته الخاصة:

«كانت فترة الحصار جحيمًا، بمعنى أننا كنا نعيش الساعات الطويلة تحت القصف الهمجي المتواصل جوًا وبرًا وبحرًا من قبل إسرائيل، وهو قصف لم يشهد التاريخ له مثيلًا، كونه يطال بلدًا الكل فيه عُزَّل، ولا

يملكون سبل المقاومة المضادة، وكان من أهداف إرييل شارون - في اعتقادي - إزالة بيروت عن بكرة أبيها، أي تهديمها، وليس فقط إخراج المقاومة الفلسطينية كما كان يدعي، وكان هدف شارون تدمير كل المؤسسات من مدارس ومراكز اجتماعية إلى مستشفيات، ثم جاء الحصار الخانق، هذا الحصار غير المألوف في العالم المتحضر، إذ منع الغذاء والماء عن مئات الألوف الذين صمدوا في بيروت، كما قطعت الكهرباء، بحيث كنا نعيش ليالي متواصلة في ظلام دامس، ومنعوا دخول الأدوية عبر الصليب الأحمر.

وتحت وطأة تلك الظروف الصعبة كانت أكثر اتصالاتنا مع الملك فهد، في الواقع كان العاهل السعودي قد أخذ على عاتقة تأييد لبنان ومصلحة لبنان، وهو له كلمة نافذة لدى الأمريكان الذين لهم نفوذهم لدى الإسرائيليين.

وكنا نوقظ الملك فهدًا أكثر من مرة من نومه في منتصف الليالي، وهو بدوره كان يوقظ المسؤولين الأمريكان من نومهم تحت وطأة شدة القصف، وبالطبع كان الأمريكان يتصلون بشارون لتخفيف هذا القصف، وكنا ننجح بإيقاف جحيم القصف عبر وساطة الملك فهد، ثم يعاود شارون القصف ثانية، لأنه - كما قلت - كان مصممًا على إبادة سكان بيروت الغربية.

وكان من واجبي حرصًا على بلدي وإنقاذًا لمئات الألوف من أبناء أمتي، المحافظة على القضية الفلسطينية، ونجحنا، أخرجنا المقاتلين الفلسطينيين من بيروت بإعزاز وتكريم على أن يسود الاعتدال في قيادتهم، وهكذا كان، كما أن الاعتدال كان سائدًا في كل العالم العربي بعد الاجتياح الإسرائيلي، وكما أشرت لوحظ الاعتدال لدى القيادة الفلسطينية، وإن التطرف انحسر في لبنان وتبخر، كما انحسر في العالم العربي.

لكن أمريكا التي كنا نلح عليها للاستفادة من هذه الفرصة: فرصة

انحسار التطرف بدت وكأنها عبثًا تنادي، ولم تدرك، ولم تعمل على هذا الأساس».

وكان بحسبنا ما جاء بمذكرات الزعيم صائب سلام الخاصة، إلا أن التدوين للتاريخ يملي علينا إثبات شهادات آخرين موثوق بهم وبشهاداتهم، فقد ذكر كثير من اللبنانيين من الزعماء الدينيين مثل الشيخ حسن خالد مفتي لبنان، وزعيم الدروز الديني الشيخ أبو عقل، والزعيم الشيعي موسى الصدر ومن تسلموا رئاسة الشيعة بعد اختفائه وغيرهم من المفكرين والزعماء والكتاب أثنوا ثناء عظيمًا على الملك فهد على وقوفه مع لبنان في محنته ومساعداته المتدفقة على كل طوائفه، ولأن جلالته كان أعظم من عمل ويعمل، للمحافظة على لبنان موحدًا دون تقسيم.

ولعل من المناسب في المقام أن نكتفي بمسؤول لبناني في الحكومية اللبنانية منذ عشرة أشهر من تاريخ كتابة هذا الفصل في شهر ذي الحجة سنة ١٤٠٣هـ (سبتمبر ١٩٨٣م) وهو الدكتور عدنان مروة وزيرة الصحة والعمل والشؤون الاجتماعية في مقابلة لجريدة «الجزيرة» التي تصدر بالرياض بمكتب معاليه ببيروت، ونشر حديثه بالجزيرة مستغرقًا منها صفحة كاملة، هذا مع اعتذاره لمندوب الجزيرة بأنه لا يستطيع أن يعطيه أي كلمة تتعلق بالسياسة التي تخص وزير الخارجية الذي له الحق في الحديث عن كل الشؤون هو دولة رئيس الوزراء السيد شفيق الوزان، وكل وزير يتحدث في حدود اختصاص وزارته.

ومما جاء في حديث الدكتور مروة قوله: «المملكة بقيادة الملك فهد والمسؤولين فيها أيدت القضية اللبنانية بحزم في جميع المحافل الدولة».

وقال الدكتور مروة: «لا أحد يستطيع أن ينكر أو يتجاهل المواقف الإيجابية التي وقفتها بعض الدول العربية وفي طليعتها المملكة العربية السعودية التي وقفت في كل المناسبات مع لبنان، ولم تكفَّ يومًا عن دعمها

لاستقلال لبنان ومساعدته في محنته وعلى جميع المستويات، وبمواقف جميع المسؤولين فيها، وصدر هذا التأييد من قبل جلالة الملك فهد ومن سمو الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، وفي المحافل الدولية، وفي غير مناسبة، هذا الموقف الإيجابي تجاه لبنان يحملنا - على أقل تقدير - على شكر الشقيقة الكبرى والاعتراف بجميلها».

والرئيس محمد أنور السادات قبل مقاطعته من قبل الدول العربية لمصر بسبب معاهدة صلحها المتفرِّد مع إسرائيل الذي أثبتته الاتفاقية المعروفة باتفاقية كامب ديفيد لم تخل كل خطبة منذ حرب رمضان (أكتوبر) بالإشادة بالمملكة العربية السعودية وحكامها حتى بعد المقاطعة سمعت له خطبة أثنى فيها على الملك الشهيد فيصل ثناءً كثيرًا طيبًا.

أما قبل المقاطعة فكان دائم الذكر للمملكة وحكامها وبخاصة الملك فيصل والتقدير والإطراء الذي لا حدَّ له، ودائم الاعتراف للمملكة بما قدمت لمصر من مساعداتها السخية التي يصعب إحصاؤها التي منها بناء مدن في مصر مثل مدينة فيصل بالسويس، ومدينة خالد بالإسكندرية.

وأعلن الرئيس السادات أن المملكة العربية السعودية قدمت لمصر طائرات حربية بدل الطائرات الليبية التي سحبها من مصر الزعيم الليبي بعد اختلافه مع أنور السادات.

كما أعلن أن مصر احتاجت إلى قطع غيار الطائرات الليبية قبل سحبها من مصر، دفعت المملكة العربية السعودية ثمن تلك القطع الذي تسلمته فرنسا كاملًا، ولما كانت الطائرات الفرنسية مشتراة من قبل ليبيا فإنها هي التي تسلمت قطع غيار تلك الطائرات التي استردتها، فبقيت لديها قطع الغيار.

ولولا إعلان الرئيس السادات هذه الأنباء لما علمنا نحن السعوديين بها، لأن حكامنا لا يعلنون عن أي عون يقدمونه للشقيقات، وإن حدث

أحيانًا بين المملكة وشقيقة من الشقيقات بعض الخصام ترفعًا عن المن والتعيير.

وإن حجم مساعدات المملكة لشقيقاتها من الدول العربية والإسلامية منذ نشأتها إلى اليوم جدُّ كبير، ويبلغ مئات البلايين من الدولارات، ولا غرابة في ذلك، فإذا كان حجم المساعدات المعلنة ممن تلقوها منذ تولي الملك فهد في ٢١ شعبان سنة ١٤٠٢هـ إلى يومنا هذا بلغ آلاف الملايين، ولا مبالغة فيما ذكرنا، فما ذكرناه ليست الحقيقة كلها، وإنما بعضها.

وإن ملوك آل سعود ابتداءً من مؤسسها العظيم الملك عبدالعزيز فالملك سعود بن عبدالعزيز فالملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز فالملك خالد بن عبدالعزيز رحمهم الله رحمة واسعة فالملك فهد بن عبدالعزيز يعطون الأقطار العربية والإسلامية مساعداتهم الضخمة في صمت، وسرها مصون، وما كان لينكشف أمر تلك المساعدات لولا كشف متلقيها أو ممثليها الذين يعلنون، فما نبست المملكة قط بمساعداتها لمصر لولا أن الرئيس أنور السادات هو الذي أعلن عنها، كما لم تنبس بكلمة عن مساعداتها السخية للجزائر إبان جهادها لفرنسا والفرنسيين، وإنما كشف عنها وأعلن عنها ممثل حكومة الجزائر المؤقتة أيام رئاسة الزعيم فرحان عباس، كشف ممثل الجزائر في المملكة العربية السعودية في خطبة له يوم إعلان استقلال الجزائر ذكر فيها أن المملكة العربية السعودية فتحت خزائن مالها ومستودعات أسلحتها للجزائر تأخذ من المال والسلاح ما شاءت.

وما كان الشعب السعودي يعلم عن هذه المساعدات لولا إعلان متلقيها عنها، وإلا لبقيت سرًا دفينًا.

والملك فهد بن عبدالعزيز أعطى اليمن الشمالي مئات الملايين من الأريل وبنى له في أرضه المستشفيات ومئات المدارس والمعاهد ودور الشؤون الاجتماعية، كما «زفّت» طرقها، وما قدم جلالة من معونات ضخمة

كبيرة لتعمير ما خرَّب الزلزال الذي دَمَّر مدنًا وقرى وآلاف المنازل وشرد مئات الآلاف من الأسر اليمنية فلم تمتد على اليمن الشقيق يد كريمة سخية بيضاء حافلة بالنعماء مثل يد الملك فهد التي ما تزال ممتدة له ولغيره من أقطار العروبة والإسلام. وما ينبئك مثل خبير، والخبير الذي نحن بصدده ليس بسعودي مسؤول أو غير مسؤول، وإنما هو يمني كبير، وعضو بارز في حكومة اليمن يشغل مراكز رفيعة هو الأستاذ أحمد نعمان وزير الدولة، والأمين العام للمجلس الأعلى للشباب والرياضة، والمدير التنفيذي للمجلس الأعلى لإعادة تعمير المناطق المتضررة من الزلازل بالجمهورية العربية اليمنية.

هذه صفاته الرسمية، أما صفاته الأدبية فهو من أصحاب الفكر والقلم الموهوبين، ومن كبار مفكري اليمن وأقطابه.

تقول جريدة «عكاظ» التي قابلت الأستاذ أحمد نعمان وقالت تحت عنوان جانبي هو «مواقف المملكة لا تنسى»:

«وأشار وزير الدولة اليمني السيد أحمد نعمان بالموقف الأخوي المتميز للمملكة تجاه اليمن الشقيق منذ تعرضه للهزة الأولى في ٢٤ ديسمبر الماضي».

وقال: «إن هذه المواقف لا تنسى، وهي مواقف تجسِّد الصلات المتينة والعلاقات الوطيدة والتعاون الأخوي المتعاظم بين البلدين الشقيقين».

وقال: «إن التبرعات التي دعا إليها الملك فهد بن عبدالعزيز لا تزال مستمرة، وسوف نعرف حجمها عند الانتهاء من عملية الحصر والعد».

وقال: «أمّا دور مجلس التعاون لدول الخليج العربية فسوف يتضح عندما ينتهي الوفد الذي زار صنعاء ومنطقة ذمار مؤخرًا من إعداد تقريره وتقديمه إلى المجلس».

وقد بلغت مساعدات المملكة لليمن الشقيق منذ خمس السنوات الماضية حتى اليوم حجمًا كبيرًا جدًا بلغ مئات الملايين إذا لم تتجاوزها.

ومن العسير عليَّ وأنا أكتب هذه الفصول بالولايات المتحدة الأمريكية للعلاج بعيدًا عن مصادري ومراجعي أن أبيِّنها، ولكن قطرة الماء تدل على النوع كله، كذلك العنوان يدل على ما وراءه.

ومعونات الملك فهد الشخصية ومعونات مملكته لفلسطين بلغت أرقامًا كثيرة تجاوز مجموعة خانة الملايين إلى البلايين، والملك فهد - أعزه الله ورعاه - حمل على عاتقه أعباء العالم العربي على كل صعيد، وانهمرت أياديه عليه بمختلف صنوف العون الذي لم يتحدث هو عنه، وإنما يتحدث به حكامه وزعماؤه فعرفنا نحن ـ السعوديين ـ ما يقدم مليكنا الطيب الكريم العظيم.

وموجز القول أن الملك فهدًا قد أشرك في دخل مملكته وحق شعبه أشقاءه من حكام العالم العربي وشعوبه فقدم الأموال الطائلة لشقيقات بلاده العربيات، كما قدم للشقيقات المسلمات مالا يحصى من الأموال التي ما يزال انهمارها وسيلها مستمرين بحيث ما تصل قافلة من المساعدات إلا وهي متبوعة بقوافل أخرى.

وإذا تدرجنا من سيد آل سعود في هذا العصر الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية الحديثة في هذا العصر إلى أن انتهت زعامة آل سعود إلى فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية نجد مجدهم قد بذخ بذوخًا غير معهود في عهده الزاهر المجيد، فمنذ أن تولى الملك فهد عرش المملكة العربية السعودية في يوم الحادي والعشرين من شعبان سنة ١٤٠٢هـ (١٣ يونيو ١٩٨٢م) انتشر في كل رجأ من أرجاء المملكة العلم والعمران والحضارة حتى أشرقت أرضها بنور ربها.

ومنذ أن كان الملك فهد مستشارًا لوالده العظيم سنة ١٣٥٤هـ وهو

يتدرج في عطائه السخي لأمته وبلاده ومليكه حتى إذا تفرد بالحكم وصارت قدرته على البذل والسخاء أعظم انتشر فضله انتشارًا ما يقفه شيء، وتفجرت ينابيع الخير التي تدفقت منه على بلده والعالم العربي والإسلامي، بل فاض الخير من فهد على العالم أجمع، وما أنا بمبالغ في هذا القول، فالملك فهد بن عبدالعزيز قد كلف ممثل بلاده أن يقرر في جلسات أوبك أن المملكة العربية السعودية قررت عدم رفع أسعار البترول ألبتة، وقررت تجميدها حتى لا يثقل سعره على كل مستهلك منتفع من البترول في العالم، وما في هذا العصر أحد من بني البشر إلا وهو منتفع من البترول، وعدم رفع دول الأوبك للأسعار نفع للبشرية، وهذا بفضل الله ثم بفضل قرار الملك فهد جزاه الله عن الإنسانية كل خير.

وآل سعود منذ ظهورهم على مسرح الحياة باسترداد الملك عبدالعزيز بلده الرياض في شهر شوال سنة ١٣١٩هـ أخذ نجمهم في السطوع حتى أطفأ ألمع النجوم التي كانت ترسل أشد الأنوار سطعًا، وآل سعود هم الذين أعادوا إلى العرب مجدهم السليب، وإلى الإسلام عزته، وإلى المسلمين كرامتهم، وما زال خلفاء مؤسس الدولة السعودية يضيفون باستمرار طريفًا كثيرًا إلى تليد عظيم.

ومن الأعمال الكبيرة المجيدة التي عملها آل سعود منذ أن تولى الملك عبدالعزيز الملك ما نوجزه:

جعل ابن سعود للعرب قيمة أنشأها لهم بسياسته وجهده وأعماله، كما جعل لهم ثقلًا في الميزان الدولي.

وإلى جانب هذا جعل للإسلام سمعة كريمة طيبة، وأظهر للعالم كله عظمة هذا الدين وبشر به، وأعاد إليه عزته السليبة.

وحمى مملكته المترامية أطرافها المكونة من نجد وشمالها وجنوبها والأحساء والحجاز وعسير ونجران والربع الخالي من كل استعمار، ففي

الحرب العظمة الثانية احتل الحلفاء دولًا مستقلة كإيران احتلتها جيوش الحلفاء وسيطروا عليها سيطرة تامة، لأنهم رأوا بها نشاطًا للمحور وملجأ لخصومهم، فقد لجأ إليها رشيد عالي الكيلاني عندما أخفقت ثورته على الإنجليز.

وأراد الإنجليز والأمريكان أن يعملوا مع الملك عبدالعزيز ما عملوه بإيران، وكان مقررًا أن يتحدثوا إلى الملك عبدالعزيز فيما عزموا عليه من احتلال بلاده، إلا أنهم عدلوا عن ذلك عندما تذكروا أن ابن سعود ليس كشاه إيران، وأن شعب ابن سعود ليس كشعب الشاه، وليس في بلاد ابن سعود أي نشاط سياسي لأي دولة، ولا وجود فيها لأعداء الحلفاء، ولا تصح مقارنة مملكة ابن سعود بإيران، فإذا كان في حياد إيران بعض الحظر على إيران فإن شيئًا من ذلك غير متوقع من المملكة العربية السعودية، ومع هذا يعلم الإنجليز أن الشعوب العربية لا تحبهم لما فعلت بفلسطين ولغدرهم بالعرب، ولهم في ثورة العراق عليهم درس لا ينسونه مع وجود قوة عسكرية وحربية ضخمة في العراق ومياه البصرة والخليج.

ولما كان الحلفاء مطمئنين إلى أن بلاد ابن سعود ليس كإيران والعراق، وإلى سيطرة ابن سعود على بلاده وشعبه فلا خطر على الحلفاء من استقلال المملكة العربية السعودية التام عن كل نفوذ أجنبي، ولا وجود لأحزاب ولا تنظيمات سرية ولا خلايا، لأن شعب ابن سعود شعب مسلم حق، ولا سبيل لأجنبي أن يدخل إليه سواء أكان من الحلفاء أم من دول المحور أم من أي مذهب سياسي أو اجتماعي، ونقصد بأجنبي غير السعودي سواء أكان عربياً أم غير عربي، مسلما أم غير مسلم.

ومضت الحرب الكبرى الثانية على المملكة العربية السعودية وقد حماها الله سبحانه وتعالى من كل نقص في الأموال والأنفس والثمرات بفضل الله ثم سياسة الملك عبدالعزيز الذي خطأ بكل نفوذ أجنبي فبقيت بلاده سليمة

من كل أذى وضيق، ونعمت خلال الحرب بالأمن والطمأنينة والسعة وحسن الحال، فلما انتهت وغشي السلام الأرض كانت بلاد ابن سعود مهيأة للمزيد من النعم التي لا تحصى، فتمتعت بما لا تحصى من النعم.

وكانت مكانة الملك عبدالعزيز لدى الحلفاء وغيرهم المكانة الفضلى العليا دون كل حكام العرب والمسلمين، وكان الفريد بينهم في سمعته ومجده دون منازع، بل إن هؤلاء الحكام أنفسهم يشعرون بامتيازه عليهم.

ومن براهين هذا الامتياز أنه عندما اجتمع في أخريات زمن الحرب بقطبي الحلفاء: روزفلت وتشرشل سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) اشترط ألا يكون في أي اجتماع أو حفل لحم خنزير أو خمر أو نساء أو ليالي ساهرة حمراء، بل عرف القطبان تأذي الملك عبدالعزيز من السيجار والسجائر، فلم يشربها أحد من الجانبين البريطاني والأمريكي، وقبل ما اشترط، لأن الملك عبدالعزيز صاحب عقيدة فيما يقول ويعمل، ولم يكن هو داعيهما، بل كانا هما الداعيين فعليهما الحرص على مشاعر ضيفهما الأكبر من كل ضيف دَعَوَاه، بل هما يعلمان أن ضيفهما لم يرض قط بتنكيس علمه في مناسبات الحداد، ومنع دخول الخمر للسفارات الأجنبية ببلاده ألبتة.

وسفارة المملكة العربية السعودية لا تقدم في حفلاتها الخمور، ولا تباح في حرمها الحفلات الساهرة التي تراق فيها الخمر وتبدو فيها النساء كاسيات عاريات، وهذا شيء تتفرد به السفارات السعودية في العالم.

وهذا كله ليس من الآداب المرعية لدى الملوك من آل سعود وحسب، وإنما هو شرع من شرع الإسلام واجب الطاعة، ولا يجوز سواه، ولهذا التزمته المملكة العربية السعودية في عهد مؤسسها الملك عبدالعزيز وفي عهود أبنائه الكرام: الملك سعود فالملك فيصل فالملك خالد رحمهم الله جميعًا، فالملك فهد مد الله في عمره وأعز به الإسلام والمسلمين والعروبة والعرب.

ولقد قام الملك سعود والملك فيصل والملك خالد قبل جلوسهم على كرسي حكم المملكة وبعده بزيارة أقطار كثيرة فيها الدول الكبرى كالولايات

المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا (في عهد هتلر وموسوليني)، وأقيمت لهم حفلات تكريمية في قصر بكنجهام وقصر الإليزية والبيت الأبيض، حفلات غداء وعشاء فتنزهت كل الحفلات مما حرمه الإسلام أو كرهه.

وعندما دعي الملك فهد قبل أن يكون ملكًا لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية من قبل الرئيس جيمي كارتر كانت مائدة العشاء بالبيت الأبيض خالية مما حرم الإسلام والحمد لله، وبلغ من إعجاب الرئيس كارتر وتقديره لعبقري العرب والمسلمين فهد بن عبدالعزيز حدًا لم يبلغهما أحد سبقه أو جاء بعده، فقد خرج على تقاليد البيت الأبيض، إذ خرج مع فهد وهو يحمل مظلة تقيه وتقي ضيفه العظيم من المطر المنهمر بغزارة، وبقي الرئيس واقفًا حتى أغلق له باب السيارة التي ركبها، ولبث رافعًا يده بتحية الوداع حتى غادرت فناء البيت الأبيض.

وتلك مكرمة من الرئيس جيمي كارتر يستحقها ضيفه العظيم فهد بن عبدالعزيز كما استحق كل مكرمة سواها من غيره كما استحقها إخوته الذين سبقوه إلى الملك فكانوا جميعًا نماذج عليا في عالم العرب والمسلمين وفي غيره أيضا.

وكل ما لقوا من تكريم إنما هو تكريم للعرب والمسلمين، وما أكثر ما لقوا من الملك عبدالعزيز ومن أبنائه الذين جلسوا بعده على كرسي الملك، وإن للمملكة العربية السعودية لفضلًا على العالم العربي كله، وموقفهم من كل قضايا العرب وبخاصة قضية فلسطين وقضايا المسلمين موقف فذ لم يقفه غيرهم، ولن يستطيع سواهم أن يقفوه، وقد قلت في مقدمة كتابي «ابن سعود وقضية فلسطين»[1] ما نصه:

---

(١) طبع ببيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، والطبعة الثانية بجدة سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

«رحم الله الملك عبدالعزيز آل سعود، فقد كان نموذج العربي المسلم، ولم يجئ في تاريخ العروبة والإسلام الحديث مثله، وعاش حياته لإعلاء كلمة الله، استعادة حق العرب، ولذلك ساعد كل الحركات العربية والإسلامية في العالم.

والمملكة العربية السعودية هي الدولة الوحيدة التي عم برها العالم العربي والإسلام، ولم ينقطع سيل برها ومعوناتها عن التدفق منذ البدء حتى اليوم، وكلما زاد دخل المملكة السعودية تضاعفت معوناتها لشقيقاتها، ولو جمع ما قدمته لبلغ عشرات البلايين من الريالات.

وآثرت المملكة العربية السعودية شقيقاتها بخيراتها، وهذه تضحية خلت منها صفحات تاريخ كل دول العالم، وتفرد تاريخ المملكة السعودية بهذه التضحية».

وشارك الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في كل قضايا العرب والمسلمين وفي حركات التحرر والاستقلال لسوريا وفلسطين ولبنان ومصر وغيرها من دول شمال إفريقيا، ونكتفي بمثال يُغني عن التفصيل، لأن هذا الفصل لا يحتمل الإسهاب أكثر مما أسهبنا، نكتفي بمثال واحد هو حركة تونس الوطنية الاستقلالية بزعامة مجاهدها الأكبر الحبيب بورقيبة الذي تحدث إليَّ في بضع المرات اللاتي لقيت فخامته فيهن فيما لقي من عون الملك عبدالعزيز، وقد أشرت إليه في مقدمة الطبعة الثانية من مؤلفي «صقر الجزيرة»[١] إذ قلت ما نصه:

«كان ابن سعود دوحة باسقة ممتدة الظلال كثيرة الثمرات، وما من عربي ومسلم إلا نعم بظله وثمره، وأفاد من جهاده وعمله، بل هو الزعيم

---

(١) صدرت الطبعة الثانية بجدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) وطبعت بمطابع المؤسسة العربية للطباعة التي أسستها لطبع جريدتي «عكاظ» فلما ألغت الحكومة امتياز صحف الأفراد بعثتها للحكومة فضمتها لمطابعها.

العربي الوحيد الذي كان وراء كل حركة استقلالية وتحررية في العالم العربي والإسلامي، يؤثرها على نفسه وشعبه بأطايب جهادهما وثمراتهما.

وعلى سبيل المثال حركة تونس الاستقلالية، من شجعها ؟ ومن أعانها بالمال والرأي السديد والتشجيع الحق والمساندة القوية ؟

إن زعيم تونس الأكبر يعترف بهذا، وأخبرني هو نفسه عندما كنت بتونس في جلسة خاصة معه برغبة من فخامته.

وكشف لي الرئيس وصحبه عن أشياء خافية من حياة عبدالعزيز وأعماله.

وفي العام الماضي كنت مدعوًا بدار السفارة التونسية بجدة دعاني صديقي الأستاذ المجاهد التونسي العظيم ربيب بورقيبة في الجهاد السيد محمد موسى الرويسي سفير تونس وكان عنده الأستاذ الكبير محمد المصمودي وزير الأخبار السابق بتونس. وهو من أصدقائي التونسيين، ولم يكن سواي وهما وزوج السيد المصمودي على المائدة.

وحدثني المصمودي وهو من كبار أعوان بورقيبة ومن المجاهدين الأحرار تحت لوائه أن الرئيس بورقيبة كان في زيارة للملك عبدالعزيز، وكان المصمودي معه وغيرهما، وقال لهم عبدالعزيز:

«إن الحرية لا تؤخذ بالكلام وحده، بل لا بد أن يقترن بالعمل، وإنني جندي معكم، وأساند حركتكم بكل ما أستطيع سرًا وعلنًا ولا أبالي، فأنا عون كل حركة خيِّرة يراد منها الخير لأي بلد عربي أو إسلامي».

وقال لي الأستاذ المصمودي: «إن كل من قبلناه من الزعماء كان يفت في عضدنا ويخذلنا إلا الملك عبدالعزيز رحمه الله، فقد شجعنا وأمدنا بآرائه وتجاربه ودهائه في السياسة والحرب، ودفع لزعيمنا المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة عشرة آلاف جنيه ذهبي للحركة الثورية التونسية التي حمل لواءها الرئيس بورقيبة».

وقال الأستاذ المصمودي: «إن الجنيه الذهبي في ذلك الوقت كان له شأن كبير، وكان الجنية يساوي شيئًا كبيرًا ويحقق آمالًا كثيرة، وكانت المملكة السعودية في حاجة إلى جنيه من عشرة آلاف، فآثَرَنَا على نفسه وبلاده وشعبه لأنه كان يرى العرب إخوة والمسلمين أشقاء له».

وقال الأستاذ المصمودي: «وأعطى الملك عبدالعزيز كل واحد منا خمسين جنيهًا منحة منه، دفعناها للرئيس يتصرف فيها كما يرى، فهو زعيمنا، ونحن لا نريد لأنفسنا نفعًا خاصًا، علمنا زعيمنا ذلك وربانا عليه، وأعاد لنا الزعيم بورقيبة خمسة جنيهات لكل منا للبركة والذكرى، فقد كان عبدالعزيز بطلًا عظيمًا وسيدًا كريمًا ووليًا صالحًا من أولياء الله، وما تزال الجنيهات الخمسة عندي أحتفظ بها للذكرى والتاريخ».

وقال الأستاذ المصمودي: «وعدنا مع زعيمنا بورقيبة ومعنا العون المادي العظيم وما زودنا من الآراء إلى أعضاء الحركة، وذكر الزعيم موقف عبدالعزيز النبيل من حركة تونس وما دفعه كمعونة أولى. وما كان الزعيم يستبد برأيه فسأل الآخرين آراءهم في معونة ابن سعود، فرأى صالح بن يوسف أن توزع عشرة الآلاف من الجنيهات على أقطاب الحركة ليصلحوا بها حالهم، فرفض بورقيبة وقال: إن ابن سعود ـ جزاه الله خيرًا ـ وهب لنا هذا المال الكثير عونًا لحركتنا، وأنا لا أبيح ما كان من حق الشعب أن نستولي عليه ونقاسمه، إن ابن سعود «بركة»، ولن أنفق قرشًا مما وهبنا إلا للحركة، لنجع نحن من أجل خلاص الشعب، إن ابن سعود قال لنا: إنه قام بحركته غير طامع في مال وشبع، بل قام بحركته لله وأنقذ شعبه وكان يجوع دائمًا، لنجع نحن ونعمل للشعب، معونة عبدالعزيز يجب أن تنفق للحركة».

وقال الأستاذ المصمودي: «ومن هنا بدأ الخلاف بين صالح بن يوسف حتى انتهى إلى ما تعلمون، وأنفق الزعيم بورقيبة معونة ابن سعود كلها في

حركة تحرير تونس، فبارك الله ونجح الزعيم وتم إنقاذ تونس وتحريرها على يديـه، ولـم نـجد مقابلة من زعيم عـربي أو حاكم أو ملك ما وجدنا من عبدالعزيز رحمه الله».

وقال لي بورقيبة نفسه عندما دعاني إلى بيته المتواضع سنة ١٣٨١هـ:

«جئت إلى عبدالعزيز مشردًا منفيًا، فوجدت لديه ما لم أجد لدى أي أحد، أخوة صادقة، وفضلًا وكرمًا، وعونًا جميلًا، وتشجيعًا يفوق الوصف، وجدني مشرداً فآواني ونصرني وأضافني، وأشعل ضرام الأمل والعزيمة في نفسي بما لقيت منه من العون المادي والأدبي، وكان الحاكم العربي الوحيد الذي لم يفت في عضدنا، بل شجعنا وأيدنا ووقف معنا، وإني - والله - أذكره بالخير وأدعو له، رحمه الله».

وقال الرئيس بورقيبة: «وما زلت أذكر للأمير فيصل مواقفه وأياديه عليَّ عندما كنت مشردًا مطاردًا من الفرنسيين ولجأت إلى بلادكم المقدسة، فوجدت من الإخاء الصادق والعون والكرم ما خفف عني ما أجد من فرقة الوطن، إنكم الوحيدون الذين ساعدتمونا لوجه الله لا تريدون منا جزاءً ولا شكورًا، ولئن مات عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ فأعماله لن تموت، وجزاه الله خير الجزاء عما قدم لحركة تونس ولي».

هذا موقف واحد لعبدالعزيز نجهله نحن أبناء هذا الوطن، لولا أن أزاح عنه الستار معالي الأستاذ المصمودي وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة، واستأذنتهما في نشر ما تحدثا به فأذنا ورحبا بنشره لأنه حق، وإعلان شكر المحسن فريضة كما قالا، ونشرت ما تحدثنا به في جريدة «عكاظ» عندما كانت ملكًا لي.

وحركة سوريا ولبنان وغيرها، بل لما أهينت مصر في أيام الحرب الكبرى الثانية عندما هاجم اللورد كليرن قصر الملك بالدبابات لم يقف أحد مع مصر سواه، ورد عنها الإهانة حتى اعتذر تشرشل للملك فاروق، لأن عبدالعزيز أقنع تشرشل أن ما عمل مع ملك مصر إنما هو إهانة لشعبها.

وحدث هذا في مقابلة عبدالعزيز لتشرشل في الفيوم صباح يوم السبت ٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ (١٧ فبراير سنة ١٩٤٥م).

ولابن سعود يد كريمة وقوية في استقلال كل بلد عربي أو رد العدوان عنه أو تخفيف ويلات الاستعمار. فوقف في وجه الظهير البربري في المغرب سنة ١٣٥٣هـ وما بعدها. كما وقف في وجه الإيطاليين في ليبيا عندما بلغت بهم الوحشية إلى قذف المجاهد المسلم العظيم عمر المختار من الطائرة.

أما حركة الإسلام في كل أقطار الدنيا فالفضل فيها لله ثم لعبدالعزيز، كان يمدها بماله ورأيه حتى نجحت كل الحركات الإسلامية في آسيا وإفريقيا، بل أعان حركة الإسلام في أوربا وأمريكا حتى نجحت هي أيضًا.

ولم ير التاريخ الحديث ملكًا أو حاكمًا مسلمًا في إيمان عبدالعزيز، ويعلم الله أنني أذكره فأحس بالفراغ الكبير الذي تركه في العالم الإسلامي لم يشغله أحد حتى الآن.

وكان - يرحمه الله - لا يبالي أحدًا ولا دولة في سبيل الله لأن الإسلام كان عميق الجذور في نفسه، واستكباره على الدنيا جعلها تصغر في عينيه فلا تفتنه، فكان لا يداهن في دين الله مهما كان الأمر.

ويتفرد آل سعود بأنهم الوحيدون الذين أيدوا بكل قوة وبكل ما يملكون شعب فلسطين وقضيتهم حتى نقلوها من الضيق إلى السعة، ومن المحلية إلى العالمية، وإذا جمع كل العرب والمسلمين وحكامهم في كفة للموازنة بينهم وبين آل سعود فيما صنع هؤلاء وهؤلاء لقضية فلسطين وشعبها لرجح آل سعود بكل ما صنع سواهم، وليس هذا خاصًا بفلسطين بل بكل قضايا العرب والمسلمين في كل بقاع الأرض.

ويعترف الحكام النبلاء الصادقون من أمثال الحبيب بورقيبة رئيس

جمهورية تونس، وضياء الحق رئيس جمهورية باكستان بثقل آل سعود في ميزان التقدير، ويقررون أنهم هم وحدهم دون سواهم قادة حركة الإسلام في هذا العصر.

ومن أعظم ما يذكره لهم تاريخ الإسلام أن الملك عبدالعزيز وأبناءه هم وحدهم الذين أعلنوا في العالم كله أن دستورهم وقانونهم ونظام حكمهم القرآن الكريم والسنة المشرفة، يحرمون ما حرم الله ويحلون ما أحل الله عز وجل، وعندما يغادرون بلادهم إلى البلدان الأخرى كبلدان أوربا وأمريكا لا يتركون دينهم في بلادهم، بل هو معهم في قلوبهم وضمائرهم وسرائرهم وفي ألسنتهم وعلانيتهم وظاهرهم وباطنهم، ويفتخرون بدينهم، ويشعرون بعزتهم بسبب تمسكهم بدينهم الحق.

وآل سعود الذين حكموا وملكوا هم وحدهم الذين أعلنوا الدعوة إلى الجهاد والتضامن العربي والإسلامي والحكم بشريعة الله في كل صغيرة وكبيرة، ويقيمون حدود الله وينفذون أحكامه في كل شيء.

أعلن الملك عبدالعزيز في الساعة الأولى من دخوله الرياض في شهر شوال سنة ١٣١٩هـ عندما استرد حكم بلاده وشعبه أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود.

وقرر بهذا الإعلان نظام الحكم وأنه منفذه، وقد حافظ على ما كان قد أعلنه وألزم نفسه به، ورضي بذلك شعبه لأنه مثله شعب مسلم يرضيه كل الرضا أن يُنَفَّذ شرع الله، وأنه هو نفسه يحرص أشد الحرص على شريعة الله.

وجاء الملك سعود بعد أبيه عبدالعزيز، وكان منهجه كأبيه، وكان شديد التمسك بدين الله وشرعه، حريصًا على آداب الإسلام في بيته وغير بيته، وفي سره وجهره، وفي حضره وسفره، وكان في كل رحلة رحلها إلى خارج مملكته المثل العالي للمسلم الحق، لم يخلع زيه العربي الإسلامي حتى لا يذوب في المجتمعات غير المسلمة، بل اعتزَّ بزيه ومظهره وحافظ عليهما أشد المحافظة ليكونا علامته الفارقة التي تميزه عن غيره، حتى إنه في زيارته

للبلدان العربية والإسلامية غلب ولاء شعوبها للملك سعود ـ رحمه الله ـ على ولاء حكامها، وفي غمرة سرورهم باستقبال خادم الحرمين وعاهل العرب الأكبر وحماستهم نسوا حكامهم وأفردوا الهتاف بحياة الملك سعود رحمه الله.

وجاء بعد الملك سعود أخوه الملك فيصل الذي حافظ على نهج أبيه عبدالعزيز وأخيه سعود، وزاد عليهما، فأبوه لم يخرج عن مملكته إلى غير مصر، والملك سعود رجل عمل، وليس برجل قول، ولهذا لم يكن يحسن الخطابة، أما فيصل فقد رحل إلى بريطانيا وهو لم يبلغ الحلم، بل كان أقرب إلى الطفولة منه إلى الشباب، حتى إذا دخل مرحلة الشباب ثم الرجولة ثم الكهولة كان أعلى مثل للمسلم الحق، وكان محدثًا لبقًا يسحر من يحدثه، وإذا خطب الجماهير بهرها بفصاحته وبلاغته وبصوته، إذ كان من أصحاب الأصوات الجميلة التي يلذُّ السمع موقعها منه، وكان منطقيًا فصيحًا بليغًا.

وواجه العالم كله في وقت كان أعداء الله والإسلام معلنين الحرب على الملك فيصل بخاصة وآل سعود بعامة.

في هذه الظروف أعلن الدعوة إلى التضامن الإسلامي على نطاق العالم كله، يظهر محاسن الإسلام ويرجح نظام حكمه على كل أنظمة العالم، وهاجم الشيوعية والصهيونية كلًا على حدة، وهاجمهما مجتمعين في قوة خارقة رفعت رأس كل مسلم في كل مكان من ظهر هذه الأرض.

وتُحْدِثُ كل زيارة للملك فيصل إلى كل بلد، كما تُحدث خطبه في داخل بلاده وفي خارجها دويًا صاخبًا، وبلغ من قدرته البيانية وتصرفه في قوة القول تصرف الحاذق المنطق المفوَّه البليغ أنه عندما رد على حكام من العرب تجنَّوْا عليه وكذبوا وافتروا عليه لم يهبط من قمته التي أنزله الله فيها إلى الدرك الذي يضطرب فيه أولئك الشتَّامون السفلة من الحكام، بل بقي

بقمته العليا وأصابهم في مقاتلهم بصواره المؤلَّلة دون أن تخرج من فمه كلمة نابية.

وتكاتَّ على الملك فيصل وحكومته وإخوته وأبيه ودعوته إلى التضامن الإسلامي فبهتوهم فثبت على دعوته، ورابط على إعلانها في كل مكان يصله.

ولما لم يكن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ ممن يريدون في الأرض علوًا واستكبارًا، وإنما يريد أن يدعو إلى الله خالق هذا الكون كله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإنه لعلى استعداد لأن يتبع من يقوم بهذه الدعوة الكريمة وقيادته جنديًا مخلصًا ولو كان ذلك الزعيم الكذوب.

وصفة الكذاب لم يخلعها الملك فيصل على ذلك الزعيم، وإنما هو وصف من كاتب هذه السطور.

ويشاء الله أن يهلك ذلك الزعيم وتبقى دعوة فيصل إلى التضامن الإسلامي قوية، وسعد فيصل في حياته بنجاح دعوته، وتأييد حكامٍ عرب ومسلمين حتى إن الحبيب بورقيبة قال في حديثٍ لفخامته معي يصفُ دعوته قائلًا[1]:

«لقد جاءنا الهدى من مكة المكرمة على يد الرسول الأعظم محمد ﷺ، ويأتينا الهدى من مكة المكرمة عن الملك فيصل قائد حركة الإسلام في هذا العصر».

ويشاء الله أن يتلقى فيصل التأييد من كل شعوب الأمة الإسلامية ومن

---

(١) عندما قررت إصدار مجلتي المسماة «كلمة الحق» بمكة المكرمة حرسها الله، قابلت فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة، وحصلت منه على حديث مهم جدًا نشرته بالعدد الأول من المجلة، الصادر في المحرم سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) ثم وقفتها أنا نفسي لخسائر مالية جسيمة لحقتني.

كثير من ملوكها وزعمائها؛ ومن كل المفكرين والدعاة الإسلاميين وأئمة الإسلام حتى أخذت الدعوة الفيصلية تؤتي أكلها.

وخلف الملك الشهيد فيصلًا أخوه الملك خالد وعضده ولي عهده الملك فهد حتى أظلت راية الدعوة إلى التضامن الإسلامي كل شعوب الأمة الإسلامية، إذ جمعهم الملك خالد وولي عهده الملك فهد في بيت الله الحرام[١]، وكان منظرهم وهم مجتمعون بجوار الكعبة المشرفة جميلًا ورائعًا، وأجمل منه منظرهم وهم يطوفون بها ثم صلوا ركعتي الطواف بمقام إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ثم دخلوا الكعبة جميعًا وفيهم بعض المتخاصمين، وكان من أروع ما شهد الناس - ملايين الناس - في التلفاز السعودي الملك محمد الخامس وهو ينهض إلى الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس جمهورية الجزائر وسلم عليه وعانقه في حرم الله مع الخصومة الشديدة بين المغرب والجزائر، ولقد أكبرنا الملك الحسن على صفاء قلبه وخلوص نيته، وحمدنا لجلالته عمله الإسلامي الجليل.

ولأول مرة في تاريخ المسلمين الحديث يجتمع ملوكهم ورؤساء جمهورياتهم على صعيد واحد، وهو خير صعيد في الأرض كلها، أن يجتمعوا في بيت الله الحرام ويقرروا بالإجماع لأول مرة قرارًا ضد روسيا في اعتدائها على أفغانستان وغزوها وقتل عشرات الآلاف من مسلمي أفغانستان التي لا يوجد بها أفغاني غير مسلم، وتشريد الملايين.

وبين حكام بعض الدول العربية وبين روسيا صلة وثيقة طيبة، ومع ذلك لم يشذوا عن الإجماع في مناهضة روسيا واستنكار فعلتها الشنعاء.

وجمع الله كلمة المسلمين بجوار الكعبة المعظمة بفضله ثم بفضل

---

(١) افتتح المؤتمر جلسته الأولى بالحرم الشريف بجوار الكعبة في اليوم الأول من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ إذ اجتمع ملوك ورؤساء لاثنتين وأربعين دولة إسلامية.

الملك عبدالعزيز وأبنائه الذين جعلوا للإسلام هذه القوة التي أعزت المسلمين.

إن الدعوة إلى التضامن الإسلامي ترجع إلى ما قبل ثمانين سنة من يوم أن ظهر الملك عبدالعزيز سنة ١٣١٩هـ، وكان أول إعلان له في صباح يوم دخوله الرياض في شهر شوال ١٣١٩هـ بوساطة منادين ينادون في أسواق الرياض وأحيائها والقرى المحيطة بها أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز الذي هو خادم شرع الله ومنفذه وناشره، وأن المسلمين جميعًا إخوة في الله، والأخ لا يغدر بأخيه ولا يذله ولا يحقره، ويضمن كل أخ أخاه في الغيبة والحضور.

وبعد أن دانت له نجد كلها كتب لحكام العرب يخبرهم بما سبق أن أعلنه بوساطة مناديه، وشرح لهم سياسته، ودعا إلى جامعة إسلامية تبدأ بحكام الجزيرة العربية وبزعماء البلدان العربية المستقلة، فتكون الجامعة الإسلامية مبنية على الجامعة العربية، فإذا تحققت بدأ العمل لتحقيق الجامعة الإسلامية، ولكن دعوة عبدالعزيز إلى ما دعا إليه لم تجد ما كان يرجو لها، فأخذ يعمل وحده للجامعة العربية تمهيدًا لقيام الجامعة الإسلامية.

وعندما اتسعت رقعة مملكة ابن سعود بانضمام الحجاز إليه صار اتصاله بالعالم الإسلامي قويًا بما يستقبل من حجاج بيت الله الحرام، ودعا أقطاب المسلمين من مفكرين وزعماء وعلماء، وحدد لعقد أول مؤتمر إسلامي أجلًا، وقد سبق لنا أن ذكرنا هذا المؤتمر بشيء من التفصيل في كتابنا «صقر الجزيرة»[1] منذ ألفته قبل أربعين سنة.

ولئن لم يعقد بعد سنة ١٣٤٦هـ مؤتمر إسلامي رسمي فإن الملك عبدالعزيز كان يدعو كبار الحجاج ومن يفد للحج من الملوك والحكام

---

(١) الطبعة الأولى، القاهرة سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م).

والوزراء ورؤساء الجمعيات قبيل يوم التروية: اليوم الثامن لشهر ذي الحجة، وكان يتبادل معهم الحديث والرأي، ويلقى عليهم خطبة تفصح عن سياسته وعن قضايا العرب والمسلمين، وكان يتقبل كل رأي سديد فيه صلاح للحجاز وللعروبة والإسلام.

وبقي هذا المؤتمر سنة متبعة بعد وفاة الملك عبدالعزيز من قبل خلفائه حتى يومنا هذا.

ومما يحسب لآل سعود في مفاخرهم التي تفردوا بها دون سواهم تمسكهم بشرع الله لا يبغون عنه حولًا تمسكًا دفعهم إلى إعلانه، ومعاداة كل من عاداه مهما بلغت قوته، وإنهم وشعبهم - مثلًا - لا يعترفون بالشيوعية ولا يتبادلون مع كل دولها أي لون من ألوان الصلات، وهم الوحيدون الذين لا يعترفون بأي قرار للهيئة الدولية يتصل بتثبيت الكيان الصهيوني.

وليس لدى المملكة العربية السعودية من عقيدة وشريعة وسياسة تخشى على شيء منها فتخفيه، بل ظاهرها وباطنها سواء، وكلاهما معلن عنه ومعروف.

ولم تكن بداية أعمال الملك فهد الكبيرة على الصعيد العربي والإسلامي - حتى العالمي - مقترنة بتوليه الملك والحكم، بل كانت البداية عندما بلغ التاسعة عشرة من عمره وذلك سنة ١٣٥٧هـ وهو يحتمل مع والده وإخوته الكبار تصريف شؤون الدولة في ظل والده العظيم حتى إذا انتقل إلى جوار ربه سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) تفرد - أولاً - بمسؤولية ضخمة جداً ـ وثانياً ـ شارك في تصريف شؤون الدولة، ومثَّل المملكة في المحافل الدولية.

ومن مزايا آل سعود بعامة وآل الملك عبدالعزيز أنهم وحدة متماسكة يكمل بعضهم بعضًا، ويلتفون جميعًا حول من يجلس على كرسي الملك، ويذيبون أنفسهم في الولاء له وتأييده ويكونون طوع أمره بل إشارته، ولا

يحبون أن تذكر أعمالهم من أعمال الملك إلا بالقدر الذي لا يسعهم إخفاؤه.

وعندما يتفرد الملك بتبعية الحكم يكون المسؤول الأول والوحيد أمام العالم وأمام شعبه، ويظهر معه في الصورة ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء الذي هو الملك والنائب الثاني ليكونا معه مرانة لهما على تصريف أمور الدولة وسياستها استعدادًا لتحمل المسؤولية الكبرى.

والملك فهد كان يعمل مع أبيه منذ أن اختاره مستشارًا له، ثم مع إخوته حتى تفرد بالملك لتقع على كاهلة مسؤولية الدولة كلها، هذه المسؤولية العظيمة الذي أُعد لها إعداد.

فهو - لهذا - يعد من بناة المملكة، بل من أعظم بناتها سياسة وعلمًا وصحة وأمنًا وعمرانًا وجيشًا وحربًا وسلمًا واقتصادًا وتجارة ومياهًا وزراعة وغير ذلك حتى صار ملكًا فعمل خلال سنتين من بعد توليه الملك بالنسبة للعالم العربي والإسلامي بل للعالم كله أعمالًا جليلة عظيمة.

ومن هذه الأعمال الجليلة الكبيرة طَفْرُ أرقام مساعدات المملكة لشقيقاتها العربيات وشقيقاتها المسلمات في آسيا وإفريقيا حتى تجاوزت مئات الملايين، فشارك جلالته تلك الشقيقات في بناء نفسها حضاريًا إلى حد بعيد.

وعلى النطاق الإسلامي أعطى الملك فهد خلال السنتين من توليه الملك مئات الملايين من الدولارات للجمعيات الإسلامية في العالم وجمعيات الهلال الأحمر الفلسطيني واللبناني، كما بنى جلالته آلاف المساجد والمدارس في القارات الست على نفقة المملكة، وهذا عدا آلاف المساجد والمدارس والمستشفيات التي ساعد جلالته في إكمال بنائها أو ترميمها، وهذا عدا الآلاف مما بناه آل سعود وأفرادٌ من أثرياء الشعب السعودي.

وعشرات الآلاف من طلاب العلم من الأقطار العربية والإسلامية يتلقون تعليمهم العالي في جامعات المملكة العربية السعودية وفي دول العالم الحر إلا دول الكتلة الشيوعية على نفقة آل سعود، بل هناك عشرات الآلاف من الأسر تعيش على حسابهم دون منٍّ منهم أو استكبار أو رغبة في الدعاية والإعلان.

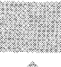
ولقد بارك في هذه الأسرة الكريمة العظيمة حتى أصبح عدد أفرادها يكوِّنون أمة عظيمة مختارة ممتازة بفضل الله، وهم نعمة من نعم الله على عباده، وقوة عظيمة غلابة خيرة للعروبة والإسلام.

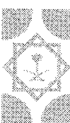
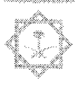
ومع أن هذا الفصل موقوف على التضامن العربي فقد تردد فيه كثيرًا ذكر التضامن الإسلامي، ولا غرابة فكل عمل للملك فهد ولمن سبقه من ملوك آل سعود لمجد العرب هو لمصلحة الإسلام والعالم الإسلامي، لأن العروبة انقلبت إسلامًا بعد ظهور دين الإسلام الذي أرسل به للناس كافة النبي العربي محمد ﷺ.

وإذا قيل: عربي على أي لسان، لم يتجه الذهن إلا إلى الإسلام، فكل عمل للملك فهد لأي شعب عربي ليس نفعه خاصًا بعروبته بل بإسلامه الغالب، وما يقدمه الملك فهد باسمه أو باسم مملكته إنما يصدر من الإسلام إلى أهل الإسلام وإنْ كان فيهم غير مسلمين كالغيث يصيب قطرًا يسكنه مسلمون وغير مسلمين فسيعمهم نفعه.

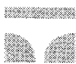


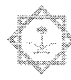
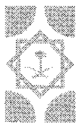
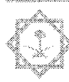


فهد والتضامن الإسلامي



فهد والتضامن الإسلامي

في الفصل السابق لهذا الفصل وعنوانه: «فهد والتضامن العربي» ذكر موجز لما صنع الملك عبدالعزيز مؤسسة الدولة السعودية الحديثة في سبيل التضامن الإسلامي، وما صنع أبناؤه الكرام حتى إذا انتهى الأمر إلى الملك فهد بن عبدالعزيز تحقق شيء كثير من التضامن الإسلامي حتى اجتمع رؤساء اثنتين وأربعين دولة إسلامية قرروا بالإجماع كل ما ينفع المسلمين.

وما صنعه ملوك آل سعود للتضامن العربي إنما صنعوه لأن العرب مسلمون، فهم صنعوا للعرب ما صنعوا من التضامن لأن آل سعود من أصل العرب، فهم صنعوا لأمتهم، وما يصنعون لأمتهم هو لهم.

فالعرب أفادوا من جهود آل سعود مرتين: مرة بوصف كونهم عربًا، ومرة ثانية بوصف كونهم مسلمين.

وهذا الفصل نعقده لما صنع الملك فهد للتضامن الإسلامي وللمسلمين منذ أن كان في التاسعة عشرة من عمره مستشارًا لأبيه العظيم.

وعندما تولى هذا المنصب الرفيع لم يكن ينتظر ما يكون قد اتُّخذ من قرار، بل كان في تلك السن ممن يصنعون القرار، بل كان بمهد لصنع القرار، بأن يقدم لأبيه رأيه أو اقتراحه أو يقدم له خلاصات مكثفة عما يريد أن يعرضه على أبيه ليتحول الرأي إلى قرار.

ومن أوائل أعماله في الديوان الملكي مستشارًا لأبيه دراسة مفصلة للعالم الإسلامي الممتد من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، ودراسة مفصلة لأحوالهم، وما يفعل الاستعمار الغربي بأقطار المسلمين من شرور

مستطيرة، وما يمكن أن تفعله المملكة العربية السعودية لأولئك المسلمين الواقعين تحت نير الاستعمار الغاشم، وأوجز آراءه التي كانت معالم في طريق الصحو والنهضة، وكان من رأي فهد وهو في عنفوان شبابه أن يعاد إلى الحج ما فقد من حكمه، وأن يُنبَّه الوافدون إلى بيت الله الحرام إلى أن دينهم خير دين، وأن يثقوا فيه كل الثقة، وأن يعان زعماء الحجاج من المفكرين والمدرسين وأساتذة الجامعات وأئمة المساجد ليوقظوا العقلية المسلمة، ويبصروا بحقوقهم، وأن يعملوا على استقلال بلدانهم.

ولعل الخطوات الأولى للتضامن الإسلامي التي اتخذها الملك عبدالعزيز ونائبه في الحجاز ابنه فيصل إيقاظ العقلية الإسلامية حتى يتفهم كل مسلم واجبه وحقوقه وغايته من الحياة، فرأى فيصل رأيًا عرضه على أبيه فوافق على تنفيذه دون إبطاء.

منذ قرون مضت كان لحجاج بيت الله الحرام طائفة كبيرة من أهل مكة المكرمة ـ حرسها الله ـ يقومون بشؤونهم ويكونون لهم عونًا لأن يؤدوا مناسك حجهم على السنة الشرعية، فإذا انتهوا من حجهم ورغبوا في زيارة المدينة المنورة أو قبل حجهم استقبلهم من أهل المدينة من يتولون عونهم ليؤدوا الزيارة على سنتها الصحيحة.

بل كان من الأعمال المرعية بالنسبة للحجاج أن يستقبلهم بجدة مطوفوهم من أهل مكة، وما كان سهلًا عليهم النزول إلى جدة لاستقبال من يردون لهم فوكلوا عنهم من أهل جدة من يتولون استقبال الحجاج القادمين من البحر، وإسكانهم عند وصولهم إلى جدة حتى يهيئوا لهم سفرهم إلى مكة المكرمة فإذا حجوا وزاروا وأرادوا العودة إلى أوطانهم استقبلهم الوكلاء بجدة يصنفونهم إلى أفواج حتى يسافر كل فوج حسب ترتيب قدومه.

ولما تولى الملك عبدالعزيز أمر الحجاز درس نائبه ابنه فيصل مسألة

الحجاج والمطوفين بمكة المكرمة، ووكلائهم بجدة، والمزورين بالمدينة المنورة، ورأى أن أكثر هؤلاء عامة أميون جهلة، وما يصح أن يكون بهذه الصفات من يراد منهم أن يكونوا معلمين ومرشدين لمن قدموا إلى الديار المقدسة لأداء ركن مهم من أركان الإسلام فقرر تعليم هؤلاء القراءة والكتابة، ومن كان منهم من يحسنوهما أن يتلقوا في المسجد الحرام دروسا، ووُزِّع عليهم كتاب «الجواب الكافي».

وكنت أرى بالمسجد الحرام وأنا تلميذ حشودًا من المطوفين يتعلمون، وأعينوا على معرفة المناسك وأمور دينية أخرى هم في حاجة إليها.

وكان مطوفو الأندنوسيين ومطوفو القارة الهندية ومطوفو البلدان العربية يسافرون إلى أقطار حجاجهم يبثون الدعاية للحج، ويرتبط كل مطوف بحجاجه الذين سيفدون إلى مكة المكرمة للحج.

ولا شك أن المطوفين كان لهم أثر عظيم في نشر الإسلام وتوعية المسلمين في كل أقطارهم حتى الأقطار الإسلامية التي كانت تحت الحكم القيصري إذ كانت مستقلة إلى أن التهم الجميع الدب الروسي الشيوعي.

وعندما اختار الملك عبدالعزيز ابنه فهدًا مستشارًا له كان شديد الاهتمام بأمور المسلمين وأقطارهم، وما كان منها مستقلًا وما كان منها مستعمرًا، وأحوالهم حتى صار في ذلك من الخبراء ذوي الرأي الأسدِّ في شؤون المسلمين.

وعندما كان أئمة المسلمين وعلماؤهم يحجون ويقابلون الملك عبدالعزيز ويقدم بعضهم «تقارير» عن أوضاع مسلمي بلدانهم وما هم في حاجة إليه من عون أو دعم أو توجيه كانت تعرض على الأمير (الملك) فهد لأخذ رأيه الذي كان ينفذ دائمًا دون إبطاء.

ودعوة التضامن الإسلامي بعد أمجاد الخلافة الإسلامية انطلقت من الملك عبدالعزيز خادم الحرمين وعاهل المملكة العربية السعودية، ولم يكن

من المستطاع أن يتم التضامن من قبل أكثر الأقطار الإسلامية بما فيها الأقطار العربية، لأنها أقطار مستعمرة لا تملك حريتها.

فالجزيرة العربية لم تكن بها دول مستقلة غير مملكة ابن سعود التي تحوي الحجاز ونجدًا وعسيرًا ونجران والأحساء، وغير اليمن، وما عدا هاتين المملكتين كان مستعمرًا لبريطانيا وفرنسا، وكذلك الأمر بالنسبة للأقطار الإسلامية فقد كانت مستعمرة ما عدا أفغانستان وإيران وتركيا التي تغير نظام حكمها ودستورها وقوانينها من الإسلام إلى «اللادينية».

لهذا كان متعذر قيام تضامن إسلامي على الصعيد الرسمي، ولكن الملك عبدالعزيز دعا إلى التضامن الإسلامي وعقد له مؤتمرًا إسلاميًا في العشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٣هـ كما أشرنا إليه في الفصل السابق، ثم استمرت الدعوة مُعْلَنة تتجدّد في موسم الحج، حيث كان رؤساء الهيئات والجمعيات الإسلامية يحجون فيدعوهم ابن سعود ويكرِّمهم مع كبار الحجاج في حفل عام يقام قبل يوم التروية.

وكان هؤلاء الرؤساء وكبار الحجاج على صلة وثيقة بالملك عبدالعزيز ونائبه في الحجاز ابنه فيصل ترد إليهما رسائلهم ويبعثان إليهم بأجوبتها، وبذلك كانت حركة التضامن قوية بين الشعوب المسلمة ينهض بها الملك عبدالعزيز وإخوته من زعماء المسلمين ورؤساء الجمعيات الإسلامية.

ودعوة التضامن الإسلامي التي بدأ بها وحملها الملك عبد العزيز وأولاده بدأت من قِبل جلالته سنة ١٣٤٣هـ واستمرت طول حياته، ولم يبخل قط بمعونة وإن كان هو وشعبه أحوج إليها ممن يعطاها، لأن بلاده كانت فقيرة قبل إنعام الله عليه بالبترول، كان يعطي الزعماء القائمين بحركات الاستقلال، كما كان يعطي الجمعيات الإسلامية المحتاجة إلى عونه، وقد مرَّ في الفصل السابق ذكر معونة الملك عبد العزيز للزعيم التونسي الحبيب بورقيبة عندما كان يجاهد فرنسا ليحرر بلاده منها فكانت

تطارده حتى جاء إلى المملكة السعودية مشرداً فقابل فخامة الملك عبد العزيز فحياه هو ومن معه من رفاقه وشجعهم على الاستمرار في جهادهم، وقدم له عشرة آلاف جنيه ذهبي مشاركة منهم في حركتهم المباركة، كما أعطى كلاً منهم خمسين جنيهاً ذهبياً لكل واحد من رفاق الرئيس وله مثلهم.

ولما أنعم الله على المملكة بالبترول تضخم حجم المساعدات، وبوفاة الملك عبد العزيز انتقل الميراث الضخم إلى ابنه الملك سعود الذي استمر في الدعوة إلى التضامن الإسلامي بنفس الحماسة والإخلاص والقوة اللاتي كن في أبيه العظيم، وأضاف صفحات مشرقة إلى صفحات أبيه حتى إذا انتقل الملك سعود إلى رحمة الله، وانتهى الميراث الضخم والأمانة الثقيلة إلى الملك فيصل فتسلم الراية وخاض بها معارك غاية في الصرام والشراسة، ولقي في سبيل دعوته إلى التضامن الإسلامي ما لم يلق مثله سواه، فقد حاربه وتجنى عليه بعض الحكام العرب ووسائل إعلامهم وقذفوه زوراً وبهتاناً وباطلاً بما فيهم هم، كما حملت عليه صحف الإلحاد والكفر فتبين ثبات المؤمنين الصادقين حتى نجحت الدعوة، وبلغت أرقام المعونات التي قدمتها المملكة عشرات الملايين من الدولارات، واستشهد الملك فيصل رحمه الله فتسلم راية الدعوة إلى التضامن الإسلامي مع كل تبعاتها وأثقالها الملك خالد بن عبد العزيز في ظروف غاية السوء إذ غرق العالم الإسلامي ومعه العالم العربي في مشكلات عريضة، فشغل كل وقته بالعمل الدؤوب لمواجهة أعداء الإسلام والعروبة حتى جَهِدَ من ثقل ما تحمل ومن كثرة ما بذل من الجهود حتى قبيل وفاته بسويعات كان مشغولاً بالعمل من أجل العروبة والإسلام فمات ـ رحمه الله تعالى ـ في صباح يوم ٢١ شعبان سنة ١٤٠٢هـ.

وانتقل كل الميراث الضخم والتبعات الكثيرة للتضامن العربي والتضامن الإسلامي اللذين تعرضا لقذائف تدك الجبال دكاً، انتقل كل ذلك إلى الملك فهد الذي شارك من سبقوه في حمل أعباء الدعوة والجهاد على كل نطاق، فتحمل كل التبعات بعون من الله فما ناء بحملها.

ويشاء الله أن يختم الملك خالد حياته بجمع حكام اثنتين وأربعين دولة إسلامية بجوار الكعبة المعظمة، ويشاركه في حمل أعباء هذا المؤتمر التاريخي العظيم أخوه فهد فتولى كل شؤون المؤتمر الذي نجح بفضل الله ثم بفضل فهد الذي ناب عن أخيه في رئاسة المؤتمر وحضور كل جلساته، وقد بذل كل ما في وسعه لتلتقي كل وجهات النظر في صنع كل قرار يتخذه هذا المؤتمر التاريخي العظيم في هذا العصر حتى تكون كلمة المسلمين موحدة على الرغم مما بين بعض الرؤساء من نزاع بالغ الشدة أدى إلى قطع كل الروابط والعلاقات؛ وإلى حرب الدعاية والكلام، وأثمر المؤتمر قرارات إجماعية بفضل الله عز وجل ثم بفضل مكانة الملك فهد لدى كل الرؤساء الذين حضروا المؤتمر ولدى شعوبهم التي مثلوها، وانتهى المؤتمر بنجاح منقطع النظير.

وبقي الملك فهد ثلاث سنوات في الرئاسة التي تنتهي بافتتاح مؤتمر القمة الإسلامية الرابع المقرر انعقاده في الدار البيضاء حيث يسلِّم في جلسة الافتتاح رئاسة المؤتمر لأخيه العظيم الملك الحسن ملك المغرب.

وقد حضرت صحف المملكة العربية السعودية المؤتمر ومن بينها جريدة «الجزيرة»[1] التي تصدر بالرياض التي نشرت نص خطبة الملك فهد بعناوين بارزة هي:

«نص خطاب جلالة الملك في الجلسة الافتتاحية لقمة الدار البيضاء».

«منذ قمة مكة المكرمة قدمت المملكة (١٥٠٠) مليون دولار استفادت منه (٢٥) دولة إسلامية».

«بلاغ مكة رسم لنا طريق التعاون والوحدة فحققنا إنجاز الكثير من المؤسسات التي تضطلع بتنفيذ برامجنا وخططنا».

---

(١) العدد ٤١٢٨ الصادر في يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ (١٧/ ١/ ١٩٨٤م).

«الملك الحسن يتسلم رئاسة المؤتمر من جلالة الملك فهد ويرافقه إلى مكان رئاسة الوفد السعودي تقديراً واحتراماً».

«دي كويلار يخاطب الجلسة الافتتاحية ويشيد بتعاون منظمة المؤتمر الإسلامي مع الأمم المتحدة».

وقدمت «الجزيرة» خطبة جلالة الملك فهد بهذه المقدمة:

«في هذا الخطاب التاريخي الضافي طرح جلالة الملك فهد بن عبد العزيز أمام أشقائه زعماء الأمة الإسلامية في مؤتمرهم الكبير بالدار البيضاء منجزات الأمة الإسلامية خلال السنوات الثلاث التي انقضت على رئاسة جلالته لمؤتمر القمة الإسلامية الثالثة بمكة المكرمة، موضحاً مسار العمل الإسلامي المشترك الذي انتظم في إطار التضامن الإسلامي. وفيما يلي خطاب جلالته»:

بسم الله وعلى بركة الله نفتتح الجلسة، ثم ألقى جلالته الكلمة الآتية:

بسم الله الرحمٰن الرحيم القائل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الإخوة الكرام قادة الأمة الإسلامية، أحييكم بتحية الإسلام، وأحمل إليكم من مهبط الوحي وقبلة المسلمين دعاءً خالصاً بأن يوفق الله سبحانه وتعالى جمعكم هذا على طريق الخير والسداد، وأن يجعل أعمالكم كلها خالصة لوجهه الكريم، وأود في البداية أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لجلالة أخي الملك الحسن الثاني وللحكومة المغربية والشعب المغربي الشقيق المضياف لما لقيناه من حسن الاستقبال وكرم الضيافة النابعين من روح الأخوة الإسلامية المتأصلة في هذا الشعب النبيل العريق بتراثه الإسلامي الحافل بسجل كفاحه المجيد وانتصاراته في ساحة الجهاد والعمل البناء.

ويسعدني أن أشير بمزيد من التقدير والإكبار إلى الجهود الموفقة التي

بذلها كل من جلالة الملك الحسن الثاني في رئاسته للجنة القدس وبعض الاجتماعات السباعية، وإلى جلالة الملك الحسين في رئاسته لبعض اجتماعات اللجنة السياسية، وأيضاً إلى فخامة الرئيسين أحمد سيكتوري برئاسته للجنة المساعي الحميدة، وإلى فخامة الرئيس عبدو ضيوف في رئاسته للجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي، وإلى دولة السيد طه محيي الدين معروف نائب رئيس الجمهورية العراقية في رئاسته للجنة التضامن الإسلامي مع شعوب الساحل.

لقد كان لتلك الجهود أثرها الملموس في تعزيز مسيرة التعاون بين دولنا وتحقيق الأهداف المشتركة التي نسعى جميعاً إلى تحقيقها، كما أتوجه بالشكر لمعالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي السيد الحبيب الشطي وزملائه المخلصين على الجهود الدائمة التي يبذلونها لخدمة الإسلام ورفعة شأن المسلمين، وأرحب نيابة عنكم بضيوفنا الكرام الذين تفضلوا بحضور مؤتمرنا هذا، وفي مقدمتهم معالي الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة ومعالي الأمين العام لجامعة الدول العربية ومعالي الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

أيها الإخوان لقد كان للقاءات القمة الإسلامية الماضية دور كبير في تحقيق الكثير من الإنجازات الهامة على صعيد العمل الإسلامي المشترك أدت إلى نتائج إيجابية مثمرة منذ ثلاث سنوات خلت اجتمعنا في مكة المكرمة في مؤتمرنا التاريخي الكبير استطعنا من خلال ذلك اللقاء أن نشخص أسباب وهن الأمة وعوامل تفرقتها، وأن نحدد مواضع ضعفها ومواطن قوتها، ونصف العلاج الناجع لمشكلاتها والوسائل الفعالة لتحقيق أهدافها، وتمكنا بذلك من العمل على إرساء قاعد العمل الإسلامي المشترك الذي يمهد لتجاوز المشكلات والانطلاق إلى تحقيق الأهداف الكبرى لأمتنا المجيدة، ولقد كان ذلك إنجازاً كبيراً لا يستهان به لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار التحديات والمشكلات التي تجابه الأمة الإسلامية.

لقد جاء ذلك اللقاء التاريخي المجيد مؤكداً الصحوة الإسلامية المباركة التي أصبح يشهدها العالم الإسلامي، ومحدداً للعمل الإسلامي المشترك للوسائل والمؤسسات اللازمة التي تساعد على النمو والازدهار، وتحافظ على اتجاهاتها المرسومة لها بخطى ثابتة ومنهج تتضح به الرؤى وتستقيم الأمور.

أيها الإخوة لقد كان لي شرف رئاسة الدورة الثالثة للقمة الإسلامية، وتلك أمانة كبرى جاهدت معكم على تحمل مسؤولياتها، وسوف يعرض على أنظاركم ضمن وثائق وأعمال هذا المؤتمر تقرير شامل بما وفقنا الله إلى إنجازه خلال السنوات الثلاث الماضية، ويسعدني اليوم أن أقف معكم وقفة قصيرة نلم فيها بما هو مهم من الإنجازات التي تم تحقيقها.

لقد جاء بلاغ مكة التاريخي متوجاً للأعمال، ومؤيداً لأعمال مؤتمر القمة الإسلامي الثالث الذي لم يقتصر على توضيح المنهج الإسلامي فحسب، وإنما جاء مؤكداً للحقيقة أن التجمع الإسلامي هو تجمع للخير ونصرة الحق والعدالة، وانطلاقاً من بلاغ مكة وأهدافه السامية تم إنشاء المجمع العلمي للفقه الإسلامي، كما تم إعلان وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام، ومشروع النظام الأساسي لمحكمة العدل الإسلامية وهما معروضان لأنظاركم في هذا المؤتمر.

أيها الإخوة كما شاهدت في السنوات الثلاث الماضية تعزيزاً للتعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية ظهرت نتائجه خيرة في عدة اتجاهات من أهمها: التصديق على خطة العمل الخاصة بتعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، وبرنامج تطوير العالم الإسلامي الذي خصصت له المملكة العربية السعودية ألف مليون دولار، كما خصصت دولة الكويت خمس مئة مليون دولار، ووفاءً بهذه الالتزامات فقد قمنا في الواقع بما يفوق ذلك تأكيداً للمصادقة على العمل الإسلامي المشترك في هذا المجال

فلقد قدمت المملكة العربية السعودية للدولة الإسلامية من خلال الصندوق السعودي للتنمية منذ مؤتمر قمة مكة حوالي ألف وخمس مئة مليون دولار استفادت منها أكثر من خمس وعشرين دولة من الدول الأعضاء في المنظمة، كما قدمت دولة الكويت من خلال الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية مبلغ ثمان مئة مليون دولار.

وهكذا أيها الإخوة فلقد قطعنا منذ مؤتمر قمة مكة المكرمة شوطاً طيباً بحمد الله وتوفيقه في مجال التعاون الاقتصادي فيما بيننا فوضعنا الأهداف ورسمنا الأبعاد بل وأنشأنا المؤسسات التي تضطلع بتنفيذ البرامج والمخططات، وعلينا الآن أن نتقدم ونواصل هذه المسيرة الخيرة لتستمر فوائدها الخيرة وتستفيد الأمة الإسلامية منها.

أيها الإخوة، قال رسول الله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، واستجابة لهذا الحديث الشريف قام مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بتكوين لجنة للنظر في مشكلة الجفاف التي يعاني منها إخواننا سكان الساحر الأفريقي، ولقد شاركت المملكة العربية السعودية في هذه اللجنة وقدمت مبلغ مئة مليون دولار في إطار البرنامج الخاص لمساعدة تلك الدول واستجابة لدواعي التضامن الإسلامي فإنه يجب علينا جميعاً كل بقدر طاقته أن نساعد تلك الدول الشقيقة ونقف إلى جانبها.

أيها الإخوة، وفي المجال السياسي كما في المجالات الأخرى فقد سارت خطى الأمة الإسلامية وقادتها على النهج الذي حدده بلاغ مكة المكرمة مما مكنها من الوقوف بقوة في وجه أعدائها المتربصين، فمع أن العدوان الصهيوني على مقدساتنا وأراضينا لا يزال مستمراً وقائماً، وفي الوقت الذي لا تزال فيه إسرائيل مستمرة في ممارستها العدوانية في الأراضي المحتلة واحتلالها للبنان واعتداءاتها المتكررة على الدولة العربية

فإن مؤتمر القمة العربي الثاني عشر في فاس قد تحمل المسؤولية التاريخية ووافق على خطة السلام العربية التي تتضمن الأهداف والمبادئ التي نأمل أن تعيد لمنطقة الشرق الأوسط السلام والأمن والاستقرار وذلك انطلاقاً من الإيمان الراسخ بقدرة هذه الأمة على تحقيق أهدافها، وإزالة آثار العدوان الصهيوني عليه.

وعلى هذا الأساس فإننا نؤكد مجدداً للمجتمع الدولي بصفة عامة وخاصة الدول التي تساند إسرائيل وتدعمها أنه إذا أريد أن يسود السلام بمنطقة الشرق الأوسط فلا بد من العمل على تنفيذ خطة السلام العربية وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في إقامة دولته المستقلة على أراضيه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد وانسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة، وأن تتخذ من الإجراءات ما هو كفيل بردع الاعتداءات الصهيونية المتكررة.

وإنه لمما يبعث على الثقة ذلك الصدى الطيب والدعم الواسع الذي لقيته خطة السلام العربية دولياً، والذي تجلى بصورة خاصة نتيجة للاتصالات التي أجرتها اللجنة السباعية التي شكلها مؤتمر القمة العربي للاتصال بالدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن بغية شرح أبعاد خطة السلام العربي، والتوصل إلى نتيجة إيجابية، ومن هنا فإننا نؤكد مجدداً أن السلام والأمن والاستقرار لن يستتب في منطقة الشرق الأوسط وفي العالم أجمع ما لم يتم الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس الشريف، ثم الاعتراف الكامل بالحقوق الثابتة والمشروعة للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه وإنشاء دولته المستقلة، ولن نسير في طريق الحل السلمي إلا إذا شارك فيه صاحب القضية الأصلي والطرف الأساسي في النزاع وهو الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة الشرعي الوحيد، ولا يفوتني في هذا المجال أن أشيد بالخطوات الموفقة والأعمال الهامة التي استطاعت أن تحققها لجنة القدس

الشريف برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني، والتي ساهمت بشكل إيجابي ومثمر في شرح أبعاد قضية القدس الشريف واستقطاب اهتمام العالم بها في مختلف المحافل الدولية.

أيها الإخوة:

لقد فقدت الأمة الإسلامية المرحوم خالد بن عبد العزيز بعد أن افتتح مؤتمر القمة الإسلامي الثالث، وإننا لندعو الله له بالرحمة والغفران، ولا ننسى ما قدمه للأمة الإسلامية من عمل صالح وجهد مثمر لحل قضاياها وإنهاء مشاكلها.

أيها الإخوة:

لا يزال لبنان يعاني من استمرار الاحتلال الإسرائيلي وإثارة البغيضة، ولا بد من بذل كل جهد للعمل على انسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية فوراً، لذلك إننا نهيب بالمجتمع الدولي أن يتخذ من الإجراءات ما يكفل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب الإسرائيلي غير المشروط من كافة الأراضي اللبنانية، والمحافظة على استقلال لبنان وسيادته ووحدة ترابه الوطني، وفي هذا الصدد فإننا نهيب بالإخوة اللبنانيين تحقيق الوفاق الوطني، كما أننا ننظر بتفاؤل إلى ما يمكن أن يحققه مؤتمر الحوار الوطني اللبناني واستئناف أعماله لإيجاد علاج جذري للمشكلة يضمن المحافظة على استقلال لبنان وسيادته ووحدته ووحدة أراضيه.

أيها الإخوة:

إنه لمما يملأ النفس حزناً وأسى بالرغم من الجهود والوساطات الإسلامية والدولية لإنهاء الحرب بين الشقيقتين العراق وإيران فإن هذه الحرب لا تزال مستمرة وتمثل مصدر قلق وخطر على العالم بصفة عامة وللعالم الإسلامي بصفة خاصة، وإننا إذ ننظر بارتياح إلى تجاوب العراق مع كافة المساعي الإسلامية لنتطلع بأمل أن تتجاوب إيران المسلمة مع تلك الجهود حقنًا لدماء الأشقاء المسلمين، وصونًا لطاقاتهم وإمكاناتهم، وإنه

مما يزيد من ألمنا جميعاً أن يكون هذا النزاع خلافاً للقضايا الأخرى التي تشغل أمتنا الإسلامية، لأنه بين دولتين شقيقتين عضوين في منظمتنا هذه، وكلنا أمل في أن يتوصل البلدان في أقرب وقت إلى إنهاء هذا النزاع وإحلال روح الإخوة الإسلامية وحسن الحوار محل الشقاق والتناحر.

أيها الإخوة:

لقد طال أمد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان، ومع ذلك فإن الأمل في نهايته يتزايد كلما تصاعد جهاد هذا الشعب الأفغاني الذي أصبح في صموده كالصخرة تتكسر عليها موجات العدوان، ويزيد نفوسنا اطمئنانًا تضامن الدول والشعوب الإسلامية التي أثبتت للعالم أجمع أن أمة الإسلام كالجسد الواحد لا يستطيع طامع أو مستعمر أن ينال جزءاً منه إلا وهبَّت أجزاؤه الأخرى تضامناً رائعًا، وإننا ننتهز هذه الفرصة وباسم هذا المؤتمر التاريخي لنناشد الاتحاد السوفيتي بأن ينسجم في مواقفه مع مبادئ الحق والعدل والحرية ومع ما ينادي به من شعارات السلام والصداقة بين الشعوب، ويبادر إلى الانسحاب الفوري من أفغانستان ليتسنى للشعب الأفغاني ممارسة إرادته الحرة وحقه في اختيار الحكم الذي يرتضيه لنفسه.

أيها الإخوة:

إن العالم كله في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا يرقب باهتمام بالغ التحرك الإسلامي، وسيكون لقاؤنا هذا تأكيداً لصلابة ومتانة، التضامن الإسلامي وفرصة طيبة ليثبت مجدداً أننا بوحدتنا وتماسكنا وتضامننا نشكل قوة خير لا يستهان بها في المجال الدول.

إن عقيدتنا السمحة وتاريخنا المجيد وقدراتنا البشرية ومواردنا المتنوعة والحيوية ومواقعنا الإستراتيجية الفريدة ليست سوى ركائز أساسية تتيح لنا بإذن الله مستقبلاً مشرقاً نستطيع فيه أن نملك قوة وأن ندافع عن أنفسنا وأن نصون مبادئ الحق والعدل في العالم كله.

إن مسؤوليتنا في هذا اللقاء الكبير تفرض علينا أن نجعل منه مناسبة

للتأمل بعمق إلى ما وصلنا إليه وفيما ينبغي أن نفعله، وفرصة لمراجعة أعمالنا واستعراض ما سبق أن توصلنا إليه من قرارات في مؤتمراتنا السابقة لنحيلها إلى واقع ملموس يعزز ويدعم مسيرتنا الخيرة لتحقيق الأمن والاستقرار لدولنا والرفاهية والرخاء والتقدم والازدهار لشعوبنا.

وإنه ليسرني وقد انتهت مدة رئاستي للدورة الثالثة أن اقترح إسناد رئاسة هذه الدورة للأخ الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية واثقاً بأن ما يتميز به جلالته من حكمة وحصافة ومقدرة وسعة أفق لقادر أن يسير بإذن الله بهذا المؤتمر إلى أهدافه المنشودة الخيرة لأمتنا الإسلامية.

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير والسداد ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه خطبة الملك فهد افتتح بها مؤتمر القمة الإسلامية الرابع المنعقد بالرباط من يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر ١٤٠٤هـ إلى يوم الأربعاء ١٥ ربيع الآخر ١٤٠٤هـ (١٦ يناير/كانون الثاني ١٩٨٤ - يوم الأربعاء ١٨/١/١٩٨٤م)، وهي خطبة يغني نصها عن شرحها والتعليق عليها، وإذا كان نجاح مؤتمر القمة الإسلامية الثالثة قد تحقق بفضل الله ثم بفضل الملك فهد فإن لجلالته جهدًا عظيمًا مباركًا في نجاح مؤتمر القمة الإسلامية الرابع الذي تأكد فيه بعض قرارات مؤتمر مكة المكرمة.

والحق أن مكانة الملك فهد لدى أعضاء القمة من الملوك والرؤساء هيأته لأن يُذلِّل كثيراً من الصعاب والعقبات التي برزت في كل الجلسات، وكان لجلالة فضل مقدور في ضمان الاجتماع بعد خلاف شديد.

وقد أشار موفدا جريرة «الرياض» إلى مؤتمر القمة إلى شيء من هذا التوفيق الذي حالف الملك فهدًا حتى انتهى المؤتمر إلى النجاح، وها هو ذا ما نشر على لسان موفدي جريدة «الرياض»[1].

---

(١) العدد ٥٦٩٣ الصادر يوم الثلاثاء ٢١/٤/١٤٠٤.

«علمت «الرياض» بأن جلالة الملك فهد الذي كان له جهد بارز في أعمال القمة الإسلامية الرابعة، وخاصة خلال الجلسات الثنائية التي كانت تحسم الكثير من نقاط الخلاف، كان أيضاً وراء حسم الخلاق المتعلق بمنصب الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بحيث تم تمديد ولاية السيد الحبيب الشطي لعام آخر.

وفي هذا الصدد أثنى جلالة الملك على جهود السيد الشطي.

كما علم من مصادر المؤتمر أن جلالة الملك فهد كان يقوم بنشاط مكثف وبالغ الأهمية والتأثير داخل كواليس المؤتمر وأثناء الاجتماعات الثنائية أو اللقاءات الأخرى التي تمت على هامش القمة.

كما علمت «الرياض» كذلك بأن مؤتمر القمة الإسلامي الرابع الذي اختتم أعماله في الدار البيضاء يوم الجمعة الماضي قد اتخذ عدة قرارات منها:

«فيما يخص القضية الفلسطينية» التأكيد على فتح مكاتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فيما تبقى من عواصم العالم الإسلامي مؤكداً على أن المنظمة ممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، وكذلك قرار بتدريس مادة تاريخ وجغرافية فلسطين في جميع مدارس الدول الإسلامية، وناشد المؤتمر الدول الإسلامية بالتبرع بسخاء لتغطية رأسمال صندوق القدس، واتخاذ التدابير اللازمة لجمع هذه التبرعات خلال الستة أشهر القادمة حيث ستقوم لجنة مكلفة بذلك بجولة في العواصم الإسلامية لهذا الغرض.

وحول الحرب العراقية الإيرانية طلب المؤتمر من الدول الأعضاء منع أية إجراءات من شأنها استمرار أو تصعيد الحرب وبذل المساعي نحو التوصل إلى وقف لهذه الحرب».

وقال موفد «الرياض»:

«كان موضوع تعيين أمين عام جديد لمنظمة المؤتمر الإسلامي من بين

الموضوعات التي واجهت خلافات أثناء مناقشتها من قبل وزارة الخارجية بحيث تم رفعه للقمة ليتم بعد ذلك طرحه على مؤتمر قادم لوزراء الخارجية باعتبار أن التعيين لهذا المنصب من اختصاص وزراء الخارجية وليس القمة. وكان المتنافسون على هذا المنصب وزيرا خارجية بنغلاديش والعدل الباكستاني. . .

وقد تكهنت وسائل الإعلام وقتها أنه في حكم المقرر عدم التجديد للشطي، وعلى العكس من ذلك أشارت «الرياض» إلى الاحتمال القوي في التمديد للشطي وهو ما حصل بالفعل.

وبهذا الصدد علمت «الرياض» أن حسم هذا الخلاف قد تم بتدخل فاعل من جلالة الملك فهد وطرح حكيم من الملك الحسن الثاني رئيس المؤتمر، فعندما أثير موضوع خلافة الأمين العام التي أحالتها وزراء الخارجية إلى القمة للبت فيها باعتبار أن هناك تأويلين لدى الدول الأعضاء حول دخول تعديلات قمة الطائف حيز التنفيذ وهي التعديلات التي حددت مدة ولاية الأمين العام بأربع سنوات غير قابلة للتجديد. تدخل عدد من رؤساء الوفود لتسليط الضوء حول هذا الموضوع، وكان جلالة الملك فهد من أبرز المتحدثين إذ أكد أن المملكة تعد ولاية الحبيب الشطي ما زالت مستمرة إلى ديسمبر ١٩٨٤م، وأنه بالإمكان انتخاب أمين عام جديد في المؤتمر القادم لوزراء الخارجية على أن يتسلّم منصبه في مطلع ١٩٨٥م، وأشاد جلالته بالخبرة الواسعة التي يتحلى بها الحبيب الشطي، وقد كان لهذا التدخل صداه العميق في أوساط القِمة، كما أشاد الرئيس الغابوني والملك الحسن الثاني رئيس المؤتمر من جهتهما بالسيد الحبيب الشطي، وأبرز جلالة الملك الحسن الثاني أن منصب الأمين العام يعد من العناصر الرئيسة في منظمة المؤتمر الإسلامي، وأنه بوصفه رئيساً للقمة يحبذ التعاون مع أمين عام خبير ومتمرس في شؤون القمة الإسلامية التي تمر حالياً بظروف دقيقة، واقترح على الأمين العام الذي سينتخب قريباً أن يقضي فترة

يتعرف فيها عن كثب على سير عمل المنظمة حتى إذا تسلم منصبه في مطلع عام ١٩٨٥م يكون قد حصلت له التجربة المطلوبة.

علماً أن ولاية الحبيب الشطي شهدت لحد الآن قمتين إسلاميتين وثلاثة عشر مجلساً وزارياً منذ المؤتمر الاستثنائي الذي عقد في إسلام أباد عقب الغزو السوفيتي في فبراير ١٩٨٠م إلى المؤتمر التحضيري للقمة الذي عقد مؤخراً بالرباط».

وكل المؤتمرات التي حضرها الملك فهد سواءً كانت عربية أم إسلامية تدين لجلالته بالفضل الأكبر في نجاحها، حتى انتهى به المطاف إلى أن يتفرد بحمل عبء الدعوة إلى التضامن الإسلامي، وبالحرص على بقائه، والعمل على أن يكون هذا التضامن ضماناً حقاً للمسلمين وقوة وحكمة، ورأينا في مؤتمرات القمة العربية ومؤتمرات القمة الإسلامية ما تحمل الملك فهد ويتحمل من أجل جمع الشمل، وتوحيد الصف ما لا يتحمله سواه من حكام العرب وحكام المسلمين الذين يفيئون إلى ظل رجاحة عقله وسماحة نفسه وخبرة في الحكم والسياسة غير متوافر لحاكم سواه دون استثناء، فهو منذ أكثر من خمس وأربعين سنة اجتمعت له خبرة سياسية ودولية إذ كان مستشاراً لأبيه، العبقري في الدهاء والسياسة ثم أخذ يتقلب في مناصب رقيقة زادت من أرصدة خبرته.

وما على الأرض ـ اليوم ـ حاكم عمل أكثر من خمس وأربعين سنة في الدولة في مناصب قيادية باستثناء إمبراطور اليابان الذي يشغل منصبه منذ أكثر من خمسين عاماً.

ولهذا نجد حفول بلاطه الملكي بزيارة رؤساء الدول العربية والإسلامية وملوكها وزعمائها ورؤساء وزاراتها ووزرائها يلتمسون لديه الرأي الأسدَّ والمشورة الصادقة، والانتفاع من خبرته ومن عبقريته السياسية والإدارية.

وما يكاد يمضي على جلالته يوم لا يقابل فيه زائراً من خارج بلاده، بل

نجد بلاطه الملكي مقصوداً من رؤساء الدول الأجنبية وملوكها ورؤساء وزاراتها ووزرائها.

وهذه الزيارات تدل على عبقرية الملك فهد التي اجتذبت أقطاب العالم من عرب وغير عرب، ومن مسلمين وغير مسلمين، زارته ملكة بريطانيا وملك أسبانيا وملكة النرويج، ورؤساء جمهوريات مثل الرئيس ميتران وغيرهم.

ويستغل جلالته زيارة الأقطاب من ملوك ورؤساء لجلالته لمصلحة المسلمين. وبحاجة الأقليات الإسلامية في أقطارهم، أو اكتساب تأييدهم للقضايا الإسلامية.

ومنذ تولّى الملك فهد الحكم والأعباء والتبعات تزداد عليه ثقلاً، وهو يزداد معها أيدًا وتحملاً، لأن تمسكه بدينه أكسبه قوة عظيمة وهبها للإسلام والعروبة والتضامن الإسلامي، وجرت أنهار بره وعونه إلى أقطار العروبة والإسلام غزيرة لا تقف.

ومن عمل الملك فهد للإسلام هذه المؤتمرات الثنائية والجماعية التي لا تنقطع عن الانعقاد على مدار السنة، وجلالته مستعد لتقرير ما يتطلبه المسلمون أنى كانوا من العون المالي لإعلاء كلمة الله من ناحية، والذود عن الإسلام ونشره من ناحية أخرى، وما تفيض راحته عن البذل السخي المدرار مرضاة لربه.

وتفرَّد الملك فهد في أعمال كثيرة جليلة منها: طبعه ملايين النسخ من ترجمات معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات، تضاف إليها ملايين النسخ من صحيح الإمام البخاري، عدا عشرات الكتب الإسلامية التي طبعت بالملايين على نفقة جلالته، وتوزع جميعها على أهل العلم وطلابه.

وكانت المملكة تشتري ملايين النسخ من القرآن الكريم، كما طبعت ملايين أخرى في خارج المملكة لتوزيعها على المسلمين في العالم، ولما

لم تكن بالأسواق ملايين النسخ من المصحف الشريف المطبوعة طباعة حسنة أمر جلالته حفظه الله ورعاه بإنشاء أكبر مطبعة متخصصة في العالم لطبع المصحف الشريف، وكلف إنشاؤها ببلد من نزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام وإنشاء مستودعٍ لها ومساكن لكل العاملين بها أكثر من ألف مليون ريال، عدا قيمة المواد الخام التي تحتاج إليها مطبعة كبرى فريدة كل عام.

والقدرة الإنتاجية لهذه المطبعة مئة مليون مصحف، مع الإعداد لمضاعفة هذا العدد كل عام.

ومن الأعمال الإسلامية الكبيرة الفريدة لمملكة فهد في العالم إنشاء جامعة كبرى خاصة بطلاب العلم من أقطار العروبة والإسلام ومن أبناء الجاليات الإسلامية في العالم غير الشيوعي، يتخصصون في علوم الدين والعربية، مع الإلمام بعلوم العصر، وببعض اللغات الحية، ليعودوا بعد تخرجهم إلى بلدانهم علماء يحسنون شُغْل مناصب الفضاء والإفتاء والتدريس في الجامعات، ومن أراد منهم أن يتخصص لدعوة إلى دين الله فإن الجامعة مستعدة لكفالتهم وتخصيص مرتبات مجزية لهم.

واسم هذه الجامعة الجامعةُ الإسلامية، وهي تعطي الطالب السكن وراتباً شهرياً والتذكرة بالطائرة من بلده إلى المدينة المنورة ولو كان بلده في أقصى الأرض.

وتتكفل الجامعة بالكتب الدراسية، وتمنح الإجازات العلمية العالية، كما تمنح الطالب تذكرة بالطائرة من المدينة المنورة إلى بلده ذهاباً وإياباً ليقضي الإجازة عند أهله وفي بلده.

ومن الأعمال الجليلة للمملكة العربية السعودية تأسيس رابطة العالم الإسلامي التي يعد نشاطها عالمياً، ومن مهامها محاربة مذاهب الهدم الأدبية والاجتماعية والفنية والفلسفية وفرق الكفر والإلحاد التي تتظاهر

بالإسلام كالقاديانية والبهائية، ولها نشاط في مكافحة الشيوعية، والماسونية، والصهيونية.

وتقوم الرابطة بتوزيع الكتب على راغبيها في أي بلد في العالم، كما تشجع آلاف الطلاب الجامعيين برواتب شهرية تعينهم على التفرغ لطلب العلم دون أن تشترط على من تساعدهم أن يخدموها.

كما أن المملكة العربية السعودية أنشأت رئاسة عامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، تقوم بتوزيع الكتب التي تعد مصادر ومراجع منها مراجع مكونة من ثلاثين مجلداً، كما تقوم بنشر الكتب العلمية على نفقتها وتوزيع آلاف النسخ على أهل العلم وطلابه أنى كانوا، فإذا طلبها ساكنٌ بتشيلي أو البرازيل لبت طلبه وبعثتها إليه بالبريد الجوي.

وقامت رئاسة إدارات البحوث العلمية ورابطة العالم الإسلامي ووزارة الحج والأوقاف بقوة الدفع الفهدية بفتح مئات المراكز الإسلامية في مختلف أقطارالأرض، وبناء عشرات الآلاف من المساجد والمدارس، وآلاف المستوصفات الصحية عدا مستشفيات كبيرة ومساجد جامعة مثل المساجد التي بنتها المملكة في إسلام آباد وغينيا وغيرهما.

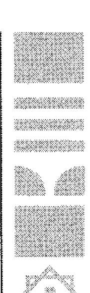
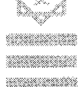
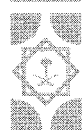
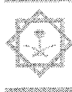
ولمن أراد أن يتحدث عن بر المملكة بأشقائها أو بر الملك فهد فليتحدث كما يحلو له دون حرج، فبر الملك فهد كالديمة الماطرة تصيب الخصيب من الأرض كما تصيب جديبها، وعلى سبيل المثال نذكر أن جلالته بعد تولّيه الملك في يوم ٢١ شعبان سنة ١٤٠٢ هـ قرر أن يعطي كل موظف سعودي من أعلى المراتب إلى أدناها راتب شهر منحة من جلالته لأفراد شعبه توسعة لهم في شهر الخير والبركات: شهر رمضان المبارك، وتسلموا المنحة الملكية وقلوبهم تخفق بالدعاء لأبيهم أبي الشعب فهد، فإذا المتعاقدون من الأجانب وعددهم ثمانون ألف متعاقد أقل راتب لأحدهم ألفا ريال ذهبت منهم وفود إلى الملك نفسه، كما رفعوا إليه مئات

البرقيات، وكلّهم يرجون من جلالته مساواتهم بالسعوديين، فساواهم بهم وأمر لكل متعاقد براتب شهر منحة لهم من جلالته، مع أنهم يمتازون على السعوديين بأن لهم بدل سكن وليس للسعوديين بدل سكن، ولهم ولمن معهم من أفراد أسرهم تذاكر بالطائرة ذهابًا من المملكة إلى أوطانهم وإيابًا إليها ليقضوا إجازاتهم بها، وليس ذلك للسعودي، وإن كثيرًا من السعوديين يعملون في غير مدنهم، وعودتهم جوًا أو برًا على حسابهم، ولكن جلالته أفضل عليهم مع كل ما لهم على السعوديين من امتياز.

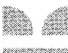
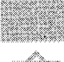
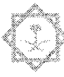
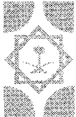
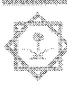
وإن الحكومة السعودية حريصة على أفراد شعبها فأعطت معونات على المواد الغذائية لتساعدهم على الشراء دون أن يثقل عليهم غلاء المواد الغذائية في مصادرها.

وفي المملكة العربية السعودية مع الثمانين ألف متعاقد أجنبي بضعة ملايين من الأجانب من عمال ومن موظفين في الشركات والمؤسسات الأهلية شاركوا في التمتع بكل آثار معونات المواد الغذائية، كما شارك المتعاقدون وكل الأجانب في هذا الامتياز الذي لم يعد امتيازًا بعد أن شاركوا السعوديين في كل نعمة لهم.

وموجز القول: أن أكثر أعمال الملك فهد وإخوته وآل سعود إنما يراد منها تحقيق التضامن الإسلامي الذي تحقق بفضل الله ثم بفضلهم وتحملوا هم وحدهم كل تكاليف التضامن الإسلامي وتبعاته التي تتطلب باستمرار الجهود الجبارة والأموال الطائلة وهم راضون بدليل أنهم يوالون البذل السخي المدرار من الجهود والأموال والثمرات.

فهد وشعوب الأمة العربية والإسلامية



فهرس شعوب الأمة العربية والإسلامية

قليل من الحكام من أحبتهم شعوبهم حباً صادقاً غير مصنوع ولا مُتَكَلَّفٍ فيه، وبعض الحب منشؤه الخداع والكذب والتضليل والوعود الكاذبة مثل حب الغوغاء لحكامهم المستبدين، وندر من الحاكم من يتفق في حبه كل طوائف شعبه ومختلف طبقاته وفئاته، فإذا استطاع حاكم «دكتاتور» أن يدس صنائعه ورجال مخابراته بين الجماهير لينطلق منهم الهتاف باسم الزعيم كما رأينا في بعض البلدان العربية والإسلامية حكاماً مستبدين ظلمة فجاراً؛ تهتف لهم شعوبهم هتافاً مصطنعاً.

والجماهير كالأطفال تتبع كل ناعق، وليس هتاف الجماهير باسم حاكم دليل حب وإخلاص، وشهدت جماهير في بلدان عربية تهتف باسم حكامها هتافاً تتمزق منه الحناجر، فإذا خلوت إلى بعضهم بعد شفائه من عدوى الغوغاء ظهر لك السخط الذي يتدفق من العلماء، وأساطين الأدب والثقافة.

فالشعب بكل طبقاته وفئاته لا يتفق على حب الحكام الظلمة المستبدين، وإن اهتزت الأرض بالجماهير الهاتفة بأسمائهم، لأن الظلمة مكروهون، فالهتاف بأسمائهم برهان على سيادة الظلم والباطل التي تجبر كلمة الحق على الاختفاء، ريثما تجد الحرية فتبرز قوية مدوية.

ويندر ـ أشد النُّدرة ـ وجود حاكم محبوب عند كل أفراد شعبه على اختلاف الطبقة والفئة، وأشدُّ منه نُدْرة أن يكون حاكم محبوباً عند غير شعبه، ويكاد يكون متعذراً وجود حاكم محبوب عند شعبه وعند شعوب

أخرى، وما أكاد أستثني حاكماً في عصرنا غير الحكام من آل سعود في دولتهم الحديثة التي أنشأها الملك العبقري الصالح عبدالعزيز الذي كان محبوباً عند شعبه الذي أخذ عدده يكثر، وأرضه تتسع حتى جمعت المملكة العربية السعودية أقطاراً معدودات هن: الحجاز ونجد والأحساء وعسير، وشعوب هذه الأقطار، وجعلهن الملك عبدالعزيز شعباً واحداً يحب أفراده حاكمهم حباً صادقاً.

ومتى يحب الشعب حاكمه؟ ولماذا؟ يحبه عندما يكون نظيف القلب واليد واللسان، وعادلًا متمسكاً بالحق قولاً وفعلاً، وسراً وجهراً، لا يمنعه قرب قريب من أن يعدل بينه وبين خصمه الذي يكون أقرب منه ما دام صاحب الحق، وقريبه أبعد ما يكون حتى يأخذ منه الحق.

والملك عبدالعزيز هذا الحاكم النظيف ذو الخلق الفاضل الذي ساوى بين من يحكمهم لم يميز ولده أو ذا قربى في الخصومات، وانتصف من أولاده لعامة من الناس، بل الويل لولده المعتدي، يشتد في عقابه أكثر مما يقرره شرع الله، فإن كان ولده معتدى عليه عفا عن المعتدي إذا كان ولده قاصراً، فإن كان كبيراً حَسَّنَ له العفو حتى يصدر منه غير مُكْرَه فيه من والده.

إن أعدى أعداء الملك عبدالعزيز لم يذكروا له عيباً يجرح عدالته، بل ذكروه بالحمد، وما ذكره الذاكرون بغير الثناء الطيب إلا الذين كفروا وفسقوا وأفسدوا وكذبوا على الحق.

وأولاده الذين ملكوا وحكموا وانتقلوا إلى رحمة الله كانوا في أنفسهم صالحين هداة لم يظلموا، بل التزموا الحق والعدل في حكم الرعية، ويجوز عليهم أن يخطئوا، ولكن لا يوصف أحد منهم بالظلم الذي تحرَّوا النجاة منه.

ولما كانت صلتي بالملك فيصل ـ رحمه الله ـ أوثق من صلتي بإخوته،

وكان أقرب آل سعود إلى أهل الحجاز لأنه كان حاكمهم المباشر نائب أبيه الملك عبدالعزيز في الحجاز، ولهذا القرب أستطيع أن أصفه. فقد كان قريباً منا، فعندما كنت طالباً بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة حرسها الله سنة ١٣٥١هـ كان الملك فيصل عوَّد المعهد أن يزوره كل عام مرة، فيحتفل به الطلاب وأساتيذهم، وكنت من بضعة النفر الذين يمثلون الطلبة الذين ينتخبونني للخطابة، كما كان أساتيذتي ينتخبونني للتحدث في الفصل عندما يدخله زائراً متفقداً مختبراً.

وكنا نراه في المسجد الحرام طائفاً قبيل صلاة الفجر، وكان بين الحرم والبيت الذي يسكنه مسافة ثلاث دقائق يقطعها مشياً دون أن يصحبه أحد، وكان يطوف مثل غيره من عامة الناس، وكان يحضر إلى الحرم لصلاة الفجر في الصيف بثوبه الأبيض الخفيف وعلى رأسه «كفية» عليها صماد مسدل على كتفيه يطوق عنقه، وما كان يرتدي العباءة صيفاً كما لا يضع عقاله المقصب على صماده.

وامتدت صلتي به منذ سنة ١٣٥١هـ حتى كتب الله له الشهادة يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ فما وقفت له على عيب قط، كان سمحاً متواضعاً عادلاً رحيماً ذا مكارم ومحامد كثيرة.

وما أسعد جواره، فقد كان باراً بجيرانه، حتى إن أسرة تجاوره سافر النساء إلى الخارج إلا أحدهم، ولما علم الملك فيصل أمر طباخه بإرسال الغداء له كل يوم ما دام في مكة المكرمة حرسها الله.

وما نهر طفلاً قط، مع أن ابنه الأكبر عبدالله الفيصل كان طفلاً، وما أكثر ما ضربه الأطفال، ويعلم أحياناً فلا يسخط ولا يغضب لابنه الذي لا يجرؤ أن يشكو إلى أبيه أن طفلاً ضربه، لأن ابنه يعرف أن أباه لا يصدقه، إذ ليس من المعقول أن طفلاً من العامة يجرؤ على ضرب ابن الحاكم فيصل.

وعندما زار فيصل نائب الملك في الحجاز الأردن بدعوة من الملك عبدالله رحمه الله ورحم فيصلاً ووالديهما شعر الملك عبدالله بارتياح حتى إن العداء الشديد لآل سعود وبخاصة الملك عبدالعزيز زال من قلب الملك عبدالله بفضل الله ثم بفضل فيصل، وصار محباً لآل سعود، وأوصى الملكَ عبدالعزيز على ابنه الملك طلال وعرش الأردن.

والمسلمون في الأقطار العربية والإسلامية منذ مبايعة الملك فهد من قبل شعبه في الحادي والعشرين من شعبان سنة ١٤٠٢هـ يتابعون أعمال جلالته ويشهدون جهاده الصادق في سبيل الله من أجلهم.

ولأول مرة في تاريخنا المعاصر نرى شعوب الأمة العربية وشعوب الأمة الإسلامية تتفق هذه الشعوب وحكامها في الإعجاب بالملك فهد، وبين هؤلاء الحكام مسيحيون كالرئيس أمين الجميل رئيس جمهورية لبنان العربية يعجبون بالملك فهد أشد الإعجاب، ويحبونه أصدق الحب لخلائقه الإنسانية الفاضلة التي يتفق في الإعجاب بها كل الناس على السواء، لأن الخلائق الإنسانية الفاضلة هي الحصة المشتركة بين بني الإنسان.

وكثير من الشعوب المسلمة وحكامها يرشحون الملك فهداً للخلافة الإسلامية ويتمنون أن يبايعوه طواعية واختياراً، ويقدرون أنه الحاكم المسلم الفريد الوحيد الصالح لأن يكون خليفة المسلمين وأمير المؤمنين.

ويكفى برهاناً على حب الشعوب الإسلامية وأكثر حكامها للملك فهد اتخاذهم إياه قدوة لهم، فها هو ذا الرئيس جعفر النميري رئيس جمهورية السودان قد أعلن تحكيم الشريعة الإسلامية وتطبيقها في السودان وجعل نظام الحكم إسلامياً أسوة بالمملكة العربية السعودية، وكذلك الرئيس ضياء الحق رئيس جمهورية باكستان.

ولو أراد الملك فهد أو لو رضي بأن يكون خليفة المسلمين لوجد مئات الملايين من المسلمين يبايعونه بإخلاص، ولكن جلالته المطبوع على فعل

الخير، والحريص على عصمة دماء المسلمين، وعلى سلامتهم من الفتن والخلاف والصراع فيما بينهم لا يرضى بالخلافة لنفسه لكيلا يكون سبباً في نزاع يحاربه هو نفسه.

وإن شعوب الأمة الإسلامية والعربية وأكثر حكامها يحبون الملك فهداً حباً عميقاً صادقاً، ويَقْدُرونه أعظم قَدْر، لأن الملك فهداً يحبهم ويقدرهم حق القدر، وهو أسرع الناس بالتهنئة والمشاركة لهم في أفراحهم مشاركة تضاعفها، وهو أسرع إلى المواساة بالكلم الطيب والعطاء السخي، فهم حريون أن يحبوه ويسمعوا له ويطيعوا.

والملك فهد أسرع الحكام مبادرة إلى كل شعب عربي ومسلم يكون في حاجة إلى عون فيقدمه في صمت بعيداً عن الصخب والدعاية، لأن الأخ الكريم عندما يعطي أخاه المحتاج لا يعلن ولا يمن، ولقد رأينا مبادراته التي لا تحصى لكثرتها لنجدة الشعوب التي تصيبها الكوارث الطبيعية كما صنع مع شعوب البنغال وباكستان وتركيا ولبنان.

ولا تقتصر نجدته ومعونته على المسلمين وحسب، ففي لبنان طوائف كثيرة من مسيحيين وغيرهم، وقد وسعهم بر جلالته وإنسانيته التي لا تضيق بمحتاج.

وإذا كانت شعوب الأمة الإسلامية تحب الملك فهداً؛ لأنه سيد المسلمين وقائد حركة الإسلام فإن هناك شعوباً غير مسلمة تعجب بخلائقه الإنسانية الفاضلة. وإن شعوباً عربية وإسلامية تتمنى لو كانت من رعيته؛ وكان حاكمها لتنعم بالعدل والأمن والنبل والعزة والكرامة والطمأنينة والحياة الرغدة والسعة اللاتي يتمتع بهن شعبه العظيم.

ويتمنى كل أناس منتمين إلى صناعة أو حرفة أو أي عمل أن يكونوا من رعاياه ليتمتعوا بحكم فهد وخلائقه الإنسانية وحبّه لشعبه، وذات مرة كنت مدعوًا لدى ضابط كبير في بلد عربي وحضر الدعوة زملاء كبار من أمثاله، وكان الحديث عن الضباط السعوديين في الحرس الوطني والدفاع والطيران

والأمن العام، وقد رأوهم وتحدثوا إليهم، ورأوا ما هم فيه من نعم فتمنوا أن لو كانوا من رعايا فهد الذي وفر لهم كل أسباب القوة والكرامة والنعيم.

وكل شعوب العالم بما فيها شعوب الدول الكبرى تتمنى الأمن الذي تتفرَّد به المملكة العربية السعودية المتقلبة في نعيم هذا الأمن الذي لا مثيل له في العالم كله بدون استثناء شعب أو دولة.

وفي الوقت الذي يتقلب فيه كل فرد سعودي في نعيم الأمن من الخوف ومن الجوع ومن المرض ومن الجهل نرى الشعوب الأخرى تتلظى في جحيم المخافة التي لم ينج منها الملوك والرؤساء.

وقد برهن حكام السعودية على خلائقهم الإنسانية دائماً، فقد وسعوا إخوانهم بفضلهم وهم أحوج ما يكونون إليه، ومنذ ظهور آل سعود على مسرح السياسة والحكم وهم يشاركون إخوانهم في كل نعمة وهبهم الله إياها.

جاء في كتابنا: «ابن سعود وقضية فلسطين»(١) بمقدمته، ما نصّه:

«وما تزال المملكة السعودية حتى اليوم تؤثر شقيقاتها على نفسها فتقدم مئات الملايين من الريالات لها، كما تشارك بتقديم الملايين للشعوب العربية والإسلامية كلما أصيبت بكارثة من كوارث الطبيعة، وتقدم الملايين للجمعيات وإنشاء المساجد والمدارس، وتعمير ما خرب منها.

ولم يقدم شعب من الشعوب لقضية فلسطين من المعونات المالية وغيرها مثل ما يقدم الشعب السعودي، ولا يبلغ عشر معشاره».

قلت هذا منذ عشر سنوات، أما بعد صدور مؤلفنا «ابن سعود وقضية فلسطين» فقد تدفقت بلايين الدولارات من المملكة العربية السعودية إلى شقيقاتها العربيات والمسلمات، وما زالت تتدفق بغزارة لا توصف ولا تحصى.

---

(١) طبع ببيروت سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٢م) وطبع بجدة سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤م).

فعندما اعتدت إسرائيل وضربت المفاعل الذري في العراق بجميع محاطِّ منشآته التابعة له بادرت المملكة بتعويض شقيقتها العراق؛ ودفع قيمة كل المفاعل الذري ومنشآته ومؤسساته التي تبلغ أكثر من ألفي مليون دولار، وقد دفعت ذلك في أريحية وطيب نفس.

ودفعت المملكة العربية السعودية لكل من بنقلادش وباكستان ومجاهدي أفغانستان وأوغندا في عهد الرئيس عيدي أمين واليمن الشمالية وتركيا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية وغيرها ما يبلغ مجموعة أكثر من عشرين بليونًا من الدولارات خلال بضع السنوات الماضيات.

وفي رمضان المبارك سنة ١٤٠٢هـ أعلن الملك فهد أنه يهدي كل موظفي الدولة السعوديين في داخلها وخارجها وعشرات الآلاف من السعوديين من أصحاب المخصصات والمنح والقواعد، وعشرات الآلاف ممن يحصلون على منح شهرية من الضمان الاجتماعي راتب شهر.

وحقاً تسلم كل فرد من هؤلاء جميعاً راتب شهر هدية فهد التي جعلت أواخر شهر رمضان وعيدا الفطر المبارك أسعد الأيام والأعياد، تسلموا هديته شاكرين داعين، هو أبو الشعب الأبر وقائده الأعظم، وهم أبناؤه المخلصون وجنوده الذين يفدونه حق الفداء.

وفي المملكة العربية السعودية أكثر من مئة ألف متعاقد من أقطار العروبة والإسلام يعملون في المملكة طمعوا في كرم عاهل العرب الأكبر وإمام المسلمين طرًا وخادم الحرمين الشريفين، طمعوا في كرم فهد أن يسعهم كما وسع شعبه، وذكروا أنهم هم أيضاً شعبه وإن كانوا ينتمون إلى غير المملكة السعودية، فاستجاب لهم ومنح كل متعاقد راتب شهر، وهو مبلغ عظيم.

ولما أمطرت سحائب الملك فهد على أبناء شعبه ثم أصاب وابلها كل المتعاقدين من عرب ومسلمين، بقى بضعة آلاف متعاقد من غير العرب والمسلمين لم يحرموا من هدية فهد فنالهم غدقه.

وفي المملكة آلاف المؤسسات والشركات يحتشد فيها آلاف من الأجانب يعملون بها، وقد أعطوا راتب شهر أسوة بموظفي الدولة والمتعاقدين فكان عيد الفطر المبارك من تلك السنة عيداً عم فرحة كل أرض المملكة وفاض منها على أقطار من نالهم ذلك الفيض الغزير، فاض على أقطار كل القارات.

وهذا العطاء السخي من فهد السمح الكريم المعطاء الكبير بإنسانيته ومكارم أخلاقه ثبتت إنسانية الملك فهد المثلى التي تفرَّد بها.

وليس في قولي هذا إسراف أو مبالغة، بل هو الواقع الحق، فما ذكر التاريخ أن ملكاً أو حاكماً أعطى كل موظفي دولته، والمعروض لهم في بيت المال (وزارة المالية) مخصصات وقواعد، والمدونون في الضمان الاجتماعي ـ وعددهم بمئات الألوف ـ ومن تحويهم دور الرعاية الاجتماعية والسجون، وعشرات الآلاف من طلاب الجامعات وآلاف المبتعثين والمتعاقدين وغيرهم.

وهذا ـ وأيم الله ـ العطاء المثالي من فهد الإنسان المثل في البذل والعطاء والكرم والسخاء، فهو الإنسان المثل الذي لا يجود الزمان بمثله، وإخال أن الإنسانية لن يتجدد بمثل فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية إلا نادراً، ولن يتكرر إلا من بيت كريم.

فها نحن أولاء نرى سنتين وبضعة شهور مرت على مكرمته العظمى ولم نَرَ أحدًا يشبهه، وأعتقد أنه لن نرى شبهه لحقب كثيرة، فإذا أضفنا إلى مكرمته تلك مكرماته الكثيرة التي جرت وأخذت تجدُّ خلال الثلاثين شهراً الماضية على مكرمته العظمى لتعذر ظهور الشبيه، لأنه أعطى خلالها شعوب الأمة العربية والإسلامية من المال الحلال ما يعد بعشرات البلايين من الدولارات.

وليس بغريب على الملك فهد حبُّ شعبه إياه وشعوب الأمة العربية

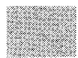
والإسلامية، لأنه ـ أولاً ـ قائد حركة الإسلام في هذا العصر، وراعي التضامن الإسلامي، وإمام المسلمين طرًا، وخادم الحرمين الشريفين، وعاهل العرب الأكبر.

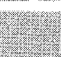
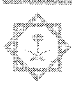
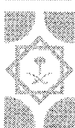
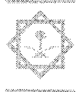
وليست الشعوب وحدها تحب الملك فهداً أصدق الحب؛ وتقدره حق القدر؛ بل يشترك معها الحكام العرب.

وهناك حكام الدول الإسلامية يرون أخاهم الملك فهداً رمز الإسلام، وما تهل مناسبة إلا ونجدهم يذكرون جلالته بالمودة والتَّجِلَّة، ويسعدون بذكره العطر، ومن الصعب أن أذكر بعضهم وأترك بعضهم، فهم جميعاً يحبونه على قدر متقارب، ولو استشهدنا ببعض ثنائهم عليه لاستغرقت مئات الصفحات.

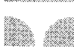
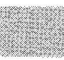
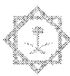
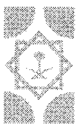
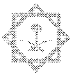
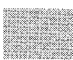
ولولا مخافة الإطالة والتكرار لذكرت أقوالهم في أخيهم ومحبهم الملك فهد، وفي ثنائهم الجميل المتدفق عليه، وفي بعض فصول هذا الكتاب شيء من الذكر الطيب من بعض زعماء المسلمين وحكامهم وملوكهم يزين تاج المُلك على رأس سيد العرب والمسلمين فهد بن عبدالعزيز.





فهد وقضيّة فلسطين



فهد وقضية فلسطين

ليس في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود.

* * *

إني أفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذراريُّ ولا يتأسس لليهود مُلك في فلسطين.

* * *

إن تأسيس دولة لليهود في فلسطين مناف لمصلحة العرب، ومهدِّد بمحو العرب ليس في فلسطين وحدها، بل في سائر البلاد العربية.

[من مذكرة الملك عبد العزيز سلمها الحكومة البريطانية في ٢٠ يونيو ١٩٣٨م].

عندما ظهرت قضية فلسطين على مسرح السياسة العربية كان الملك فهد ابن الملك العبقري العظيم عبدالعزيز آل سعود شاباً في مقتبل العمر، وعندما كانت الدول الكبرى: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا تنفذ ما تآمرت عليه من تقسيم أرض العرب بفلسطين وإعطائها اليهود، كان الملك فهد شاباً في عنفوان شبابه، وعندما أقامت الولايات المتحدة نفسها راعية لليهود أنى كانوا؛ ومحامية للوكالة اليهودية قبل أن تنشأ لليهود دولة تملك أكبر قوة في العالم هي قوة الدول الكبرى مجتمعات كان الملك فهد رجلاً واعياً مسؤولاً مع والده وإخوته عن الحكم والسياسة في المملكة العربية السعودية.

وكان الملك فهد شاباً رجلاً ذا حكمة ورأي وسداد ومستشاراً لأبيه عندما كان يجابه روزفلت ومن جاء بعده إلى البيت الأبيض من رؤساء أمريكا والحكومة الأمريكية والحكومة البريطانية حتى إنه كتب مذكرة شديدة للحكومة البريطانية قال لهم فيها من بين ما قال: «ليس في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود» وغيرها مما جعلناه صدر بحثنا هذا.

وعندما كانت أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الكتلة الشيوعية والدول الخاضعة للنفوذ الغربي الأمريكي تتهيأ لصنع قرار تقسيم فلسطين بعد أن تنسحب بريطانيا منها لتنهي عن انتدابها بتسليمها اليهود كان الملك فهد في تلك الأيام رجلاً مكتمل الرجولة، مشاركاً في صنع السياسة العربية السعودية، وبذلك كان يحمل عبء الدفاع عن فلسطين مع أبيه وإخوته.

وكان بديوان الملك عبدالعزيز مستشارون على علم ودراية، وكان فهد مستشاراً لأبيه تعلو مكانته على مكانة أولئك المستشارين، وليس سبب هذا العلو أنه ابنه، وإنما لفهم السياسة والتاريخ والاجتماع، ولاطلاعه الواسع، وثقافته العالية، بل كان من أوائل من اطلعوا على «بروتوكولات مشيخة صهيون» في العالم العربي.

ولقد قابلت الملك فهداً في سنة ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) عندما كانت الهيئة العامة لمنظمة الأمم المتحدة تعقد دورتها العادية الثانية في أواسط شهر سبتمبر سنة ١٩٤٦م وحضرت مجلسه بقصره، وطبيعي أن يكون حديثه في فلسطين التي كانت حديث العالم كله، وسمعنا منه عجباً من القول الحق والرأي الأسد.

كان من أعلم العلماء بفلسطين: التاريخ، والقضية، والمؤامرة، وكان مشفقاً أشد الإشفاق من سيادة الظلم على العدل، والحق على الباطل، وكان ببعض آرائه سابقاً للحوادث، مخترقاً حجاب المستقبل، ومما أذكر له

قوله (ما معناه): إن قيام دولة لليهود في فلسطين نذير شؤم على المنطقة كلها، وسيعطل وجودها حركة الحضارة فيها، وسيكون سبباً في تدفق الدم العربي سيولاً، وسيعظم خطر الدولة اليهودية بمرور الأيام، وإن الدول الكبرى التي قررت التقسيم وقيام إسرائيل المحمية من هذه الدول، والمؤيدة منها على الدوام وباستمرار الأموال والأسلحة والجيوش والرجال، ولكن مع هذا ستعيش إسرائيل في جسم الأمة العربية دمَّلاً، وإنها لن تهنأ بحياة، ولن تستطيع تلك الدولة التي أوجدتها أن تضمن لها الأمن والاستقرار حتى يأتي اليوم الذي يختفي فيه ذلك الدمل الخبيث عاجلاً أو آجلاً، ولكن من المؤكد أن هذا الدمل لن يبقى طويلاً بمشيئة الله.

ولقد قال أبو الملك فهد؛ الملك عبدالعزيز في حديث له تحدث به إلى المفوض الأمريكي بجدة الذي ذكره في تقرير كتبه لحكومته بتاريخ ٥ يناير سنة ١٩٤٥ م وهذا نصّ قوله[1]: «شرف لي أن أموت شهيداً في ميدان الجهاد دفاعاً عن فلسطين في معركتها ضد اليهود».

إذا أضيفت هذه الكلمة الصادقة إلى مثيلاتها من أقوال مؤسس هذه الدولة، ظهر لنا تفسير تشبث آل سعود بقضية فلسطين التي هي بالنسبة لهم قضية دين وخلق وعقيدة ووطنية وقومية وإنسانية، فلا عجب أن نرى جهاد الملك فهد وما يتحمل من متاعب ومشاقّ؛ لأنه نفسه وضع على عاتقه هذا الحمل الثقيل.

إن الملك فهدًا عاش مع القضية منذ ظهورها على مسرح السياسة، وكان مشاركاً في صنع «القرارات» والرسائل بين أبيه وبين رؤساء الدول الضالعة مع دولة اليهود الباغية الطاغية، وكان ذا رأي يؤخذ به ويعوَّل عليه.

---

(١) انظر كتابنا «ابن سعود وقضية فلسطين» ص ١٤ المطبوع ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤م).

ويعرف الفلسطينيون ذلك من الحاج أمين الحسيني إلى ياسر عرفات وأعوانه، ويعرفون عن فهد من الخلائق والمكرمات والصدق والنسل في المودة والإخاء فركنوا إليه ووثقوا بعبقريته وصدقه، واطمأنوا إلى أنه منزه عن الهوى كله.

وكلما اشتد الكرب على القضية الفلسطينية وشعب فلسطين وزعمائه المخلصين وتعرضوا للقذائف المدمرة الماحقة بادروا إلى كنف فهد يجتمعون به ويستنصرونه حتى إذا تعرضت منظمة التحرير الفلسطينية وقواتها العسكرية وقادتها وزعماء شعب فلسطين لحصار إسرائيل من كل مكان حتى ضيقوا عليهم الحصار وزلزلوا أشد زلزال، لم يكن لهم بعد الله غير فهد كُفْئًا وموئلاً ومعيناً، وكان عند ظنهم به؛ ففكت جهوده الحصار وخرج قادة المنظمة وجنودها معززين مكرمين غرًا مرفوعي الرؤوس إلى مأمنهم.

واليوم يتعرض ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير والمنظمة وآلاف من جنودها الأبطال لشر من حصار اليهود فلا يجدون بعد الله غير فهد أيده الله ونصره.

يقول السيد خالد الحسن المستشار السياسي للزعيم ياسر عرفات في حديث له نشر ببعض الصحف السعودية (المدينة المنورة، والجزيرة):

«إن جهود جلالة الملك فهد هي الأمل الوحيد لتجنيب العرب والفلسطينيين الدمار الذي سيقع من خلال الانفجار والصدام المتوقع بين فتح وسوريا».

ويجد القارىء فيما يأتي من صفحات هذا الفصل بعض مقولات خالد الحسن وياسر عرفات وآخرين من قادة فتح يثبت أن الملك العظيم فهداً هو الأمل والمنقذ بعد الله. ولا نستغرب علم الملك فهد بالقضية الفلسطينية ومؤامرة الشيوعية والرأسمالية عليها، فهو يعلم كل ذلك، ويعلم أدق أسرار المؤامرة وخفاياها ومخططات الصهيونية ووليدها الشيوعية وقوى الشر والرأسمالية والاستعمار.

وكذلك لا نستغرب نحن ولا غيرنا ممن يعرفون الملك فهدًا حماسته هو وإخوته وآل سعود والشعب السعودي واستعدادهم جميعاً للتضحية والبذل تأسياً بالملك عبدالعزيز الذي جاهر بمعتقده وآرائه في اليهود وكتب لبريطانيا وأمريكا بذلك وجبههما بقوله: «ليس في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود» وقوله: «إني أفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذراريّ ولا يتأسس لليهود مُلْكٌ في فلسطين».

والملك فهد ضد ستار المكر كان مستعداً لما استعد له أبوه، وكذلك كل أولاد عبدالعزيز وآل سعود والشعب السعودي، وما يزالون على استعدادهم الصادق للبذل والنصيحة.

وزعماء اليهود والضالعون معهم من رؤساء أمريكا وبريطانيا وغيرهما يعرفون أن «ابن سعود، سواء أكان عبد العزيز أم كان أي ابن من أبنائه هو وحده دون كل حكام العرب والمسلمين بعد أن اجتازوا عن السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين من آل عثمان، وفشلت محاولة اليهودي اللئيم حاييم وايزمن عندما ساوم السلطان في شيء جدٍّ يسير من أمر فلسطين فطرده من مجلسه وبلاده.

وأعاد حاييم وايزمن المحاولة مع سيد العرب والمسلمين عبدالعزيز آل سعود، وكان شفيع المحاولة ووسيطها روزفلت رئيس أكبر دولة وأقواها وأغناها في العالم، واتخذ وايزمن هذا السبيل ليفوز من ابن سعود بمقابلة يحظى بها، فغضب ابن سعود غضبة المسلم المؤمن المجاهد التقي الصالح الذي لا يبالي مخلوقاً مهما كان منصبه وجاهه وقوته.

وكان مأمل وايزمن معروضاً على ابن سعود بوساطة روزفلت التي نقلها عنه إليه رسوله هارولد هوسكنز المبعوث إلى ابن سعود الذي كان جوابه مضمنًا في مذكرة مسلمة إلى هوسكنز في يوليو ١٩٤٣م وجاء فيها ما نصه حرفاً حرفاً، قال الملك عبدالعزيز رحمه الله وطيب ثراه:

«أما ما ذكر الرئيس روزفلت من جهة مقابلتي لحاييم وايزمن فأحب أن يعلم أن وايزمن بيني وبينه عداوة خاصة، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة محرمة بتوجيهه إليَّ تكليفاً دنيئاً لأكون خائناً لديني وبلادي، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه، فقد أرسل إليَّ شخصاً أوربيا معروفاً[1] يكلفني أن أترك مسألة فلسطين، وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ويسلمني عشرين مليون جنيه مقابل ذلك، وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من الرئيس روزفلت نفسه، فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه؟ وهل من جريمة أبشع من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف؟ ويجعل الرئيس روزفلت كفيلاً لمثل هذا العمل الوضيع!».

أيجرؤ أحد من الحكام في هذا العصر أن يقول ما قال أبو فهد؟ لِيُجِبْ كل امرئٍ بما يرى حتى خصوم آل سعود! وأعتقد أن الجواب لن يخرج عن «كلا».

وهذه المقولة من ابن سعود تفصح عن معتقده هو وكل أولاده ذكوراً وإناثًا في قضية فلسطين، نعم، في معتقد لا في رأيهم، لأن الرأي قابل أن يكون صوابًا وأن يكون خطأً، أما المعتقد ـ مهما كان صحيحًا أو باطلًا ـ فلن يكون إلا صوابًا وحقًا عند من يعتقده.

وهذه نقطة يفترق فيها الناس سواء أكانوا ملوكًا وحكّامًا أم كانوا سوقة. يفترق فيها بعضهم عن بعض، وندر بين حكام هذا العصر من عرب ومسلمين من يقف من قضية فلسطين موقف آل سعود وبخاصة أولاد الملك عبدالعزيز إلا إذا كان منهجه منهجهم في الدين والأخلاق.

ولا يمكن أن يكون موقفهم متاجرة بالقضية، لأن المتاجر لا يقف موقف ابن سعود الذي وضع روحه وأرواح أولاده وذراريه وأموالهم في هذا الموقف العظيم الذي تفرّدوا فيه عن سائر البشر.

---

(١) هو سنت فلبي الذي سمى نفسه عبدالله فلبي.

إن أي مساومة في قضية فلسطين إنما هي خيانة للدين والوطن، وما دامت القضية قضية دين ووطن فأي مساومة بل أي تقصير فيها قد يغشاه معنى الكفر والخيانة.

كذلك موقف الملك فهد، وهذا تفسير كل موقف له في قضية فلسطين ولن يستطيع ألبتة أن يقف سواه، لأنه لن يرضى بأيسر ما يكون من الكفر والخيانة، لأن اليسير منهما مسلوك مع الكبير منهما فهما إذن سواء.

وكما وقف أبو فهد الملك عبدالعزيز يقف فهد نفسه منذ كان مستشارًا لأبيه موقفًا صلبًا لا هوادة فيه، وما يزال الموقف كما كان لم يتغير ولن يتغير، لأن الأمر معتقد ثابت حق، ولهذا صمّموا العزيمة على أن يمضوا إلى الأرض المباركة أرض فلسطين مجاهدين، وأن ينبروا لليهود مقاتلين بل أعلنوا أن يحاربوا على أرض فلسطين العربية كل دخيل سواء أكان بريطانيًا أم يهوديًا أم أي غريب يتجنّى على شعبها الأصيل العربي وأرضه التي ولد بها ونشأ على أديمها وخلق من ترابها وعاش بها منذ عشرات الآلاف من السنين ـ لا خمسة آلاف سنة وحسب ـ ومع أنه تعرّض لأبشع ضروب الاضطهاد والعسف فإنه يثبت على أرضه ثباتًا وكأنه هي في الثبات والبقاء.

وعندما قررت بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين أن تتركها فتترك العرب واليهود يصفّون حسابهم فيما بينهم، ولكن بريطانيا الظالمة لم تقرر ترك فلسطين إلا بعد أن قضت مدة الانتداب أكثر من ربع قرن وهي تضرب العرب وتثخنهم جراحًا، وتضعفهم وتسلبهم أراضيهم سلبًا، وتعطيها لليهود، وجرّدت العرب من أسلحتهم، ومكّنت اليهود وقوّتهم، وفتحت أبواب الهجرة اليهودية إلى أرض العرب في فلسطين، وأعطتهم الأسلحة حتى تركت لهم وحدهم الأسلحة وكل معدات القتال والحصون والقلاع، وأعلنت أنها ستترك فلسطين في شهر مايو (أيار) سنة ١٩٤٨م (رجب ١٣٦٧ هـ.

وفي تلك السنة المشؤومة كان الملك فهد في عز شبابه وتمام نضجه جسمًا وروحًا وعقلًا، متحمّسًا أشد ما تكون الحماسة لوطنه العربي الكبير ولوطنه الإسلامي الأكبر الرازحين تحت سيطرة الاستعمار أو نفوذه العالي، وزاد من ضرام حماسته هو وشباب آل سعود ورجالهم بعامّة عندما رأوا أباهم البطل المغوار صقر الجزيرة العربية الغلاب يجمع جيوشه ليدخل بهم أرض فلسطين مجاهدًا يكتسح بأهل التوحيد كل من يقف في وجهه.

وكان فهد منذ صغره جريئًا شجاعًا مقدامًا غير ظالم، وكان مع أبيه وغيره من إخوته وأبناء عمومته وخؤولته وكل آل سعود يريد أن يشترك مجاهدًا في حرب مقدسة، وكان واثقًا من النصر كأبيه وقائده، لأنه مؤمن أن جند الله هم الغالبون على الدوام، وهم جند الله حقًا وصدقًا، وكان مؤمنًا بعدالة قضية فلسطين وأن الحق لأهلها، وبلغ به التحمس أن يصمم ألّا يعود من الجهاد إلا بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وكذلك كان جيش أبيه الذي اجتمع تحت رايته البالغ عدد أفراده مئتي ألف مقاتل، كلّهم يحبون الموت في سبيل الله ويتمنونه.

وكان فهد يحلم بيوم اللقاء مع اليهود على أرض فلسطين أرض العرب وحدهم دون سواهم، ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن.

واهتمام الملك فهد في كل مراحل حياته ومناصبه وأعماله بفلسطين قضية وشعبًا وتاريخًا وثقافة وحضارة لم يقف عند حد، بل كان اهتمامه يعظم كلما تقدّمت به السن وكثرت «مسؤولياته» وزاد تحصيله من العلم والثقافة والتجارب حتى انتهى إليه الحكم وصار ملك المملكة العربية السعودية، وجاء مع تولّيه الملك أمر فلسطين الذي أصبح المسؤول الأول عند كل حكّام أقطار العرب والمسلمين بحكم مواقف أبيه وإخوته الذين ملكوا تلك المواقف العظيمة التي لم يقفها أحد غيرهم، والتي جعلته مثلهم في العمل الدؤوب الشاق، فلقد تضاعفت تبعاته ثقلًا، لأن القضية

الفلسطينية زادت تعقيدًا وتضاعفت تبعات الفلسطينيين وأرهق قادتهم إرهاقًا هذا التعقيد.

واشتد الصراع بين اليهود والعرب أيما اشتداد حتى أرهق اليهود العرب إرهاقًا، واستولوا بعد التقسيم خلال ثلاث حروب شنّوها على الدول المسمّاة دول المواجهة حتى استولوا على كل أرض فلسطين، وأضافوا إليها بما انتزعوا من مصر وسوريا والأردن من صميم أراضيها.

واختلف عهد فهد عن عهود أسلافه، فقد تراكمت في عهده مشكلات العالم، وتعرض العالم العربي والإسلامي لضربات مذهلة، وتضخّمت قوة إسرائيل العاتية في حين تقلصت قوة ما تسمّى دول المواجهة، ونقصت من بينها ومن الصف العربي كله مصر أقوى الدول العربية وأعظمها حضارة وثقافة وعلمًا وقوة عسكرية، وأسبقها إلى مناجزة إسرائيل، وأكثر الدول العربية دعاية وبعد صوت.

وكان العرب في ماضيهم القريب عند صدور قرار التقسيم من الهيئة الدولية خيرًا منهم في الخمس عشرة سنة الأخيرة، فقد كان العرب في هذا الماضي القريب صفًّا واحدًا، قد يختلفون فيما بينهم، فإذا ظهر لهم العدو الإسرائيلي كانوا في مواجهته صفًّا واحدًا متماسكًا.

أما في أيام فهد فقد اختلف العرب فيما بينهم أشد ما يكون الخلاف حتى كاد بعضهم يعلن الحرب على بعض، وليس ببعيد عنا حشد كل من سوريا والأردن جيشه لضرب شقيقة، وأغفت إسرائيل على حدودهما هانئة لا تخاف حشدًا منهما ولا دركًا، فهي المنتصرة في كل خلاف ينشب بينهما، والغنائم لها وحدها من هزيمة أي منهما، فإذا انتهى الأمر بينهما بما يشبه السلم أو الهدنة كان ربح العدو عظيمًا، وما يزال الشقيقان حتى هذا اليوم في جفاء وعداء.

ولقد بادرت المملكة عندما حشدت سوريا جيوشها على حدود الأردن

الذي أسرع هو ـ أيضًا ـ إلى حشد جيوشه على حدود سوريا قبل أن تشتعل نار الحرب بينهما بانتداب ولي العهد ونائب الملك فهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ذي المكانة الرفيعة الأثيرة عند الرئيس حافظ الأسد والملك حسين، ومن حظهما الطيب وحظ العرب أن يكون الأمير السعودي العظيم أسرع إليهما من استعدادهما السريع إلى حشد قوتهما العسكرية في الميدان، والفارق أن سرعته مصحوبة بالسلام والنعمة، وسرعتهما تتفجر بالبغضاء والنقمة.

وفي عهد فهد منذ كان وليًّا للعهد ونائبًا للملك رئيس مجلس الوزراء بدأ هجوم إيران على العراق منذ ثلاث سنوات، ودخلت الحرب سنتها الرابعة بين الشقيقتين المسلمتين، ورأينا خسارتهما الفادحة عسكريًا وماليًا واقتصاديًا وتجاريًا، وتعرّضت مواردهما الطبيعية وثرواتهما ومدنهما العامر للدماء والخراب، وكان من آثار هذه الحرب إغارة إسرائيل جوًّا على المفاعل الذري العراقي ومنشآته، وخسر العراق في سويعة جهود عمر تقدر قيمتها بأكثر من ثلاثة بلايين من الدولارات.

وقد أدرك الملك فهد بمجرد توقيع السادات على اتفاقية كامب ديفيد أن منظمة التحرير الفلسطينية المسؤولة عن شعب فلسطين والممثلة الشرعية له، والقوة الكبرى لمجاهدة إسرائيل ستتعرض لبعض الكوارث مما دفع الملك فهدًا إلى مزيد من اليقظة والحراسة للمنظمة وتأييدها والوقوف معها في صفها وفي كل خنادقها ومخيمات الفلسطينيين، والإغداق في عون المنظمة حتى لا يتدسس إليها مكر الماكرين وبغض المبغضين، وحتى يعمل على حمايتها مما قد تتعرض له من داخلها وخارجها تعرضًا قد تصحبه عوامل الإضعاف والهوان.

ولم يترك الملك فهد قط رعاية المنظمة، بل أحاطها بالمزيد من رعايته وحمايته ودعمه وتأييده، وتوثقت صلته بصديقة وأخيه أبي عمار رئيس منظمة التحرير توثيقًا أشد مما كان وكأنه كان يخترق حجب المستقبل بنظره الثاقب

النافذ حينما كان يزيد بل يضاعف الرعاية والتأييد والبذل السخي والاستعداد لكل احتمال.

ولقد استأسدت إسرائيل بعد كامب ديفيد، وأخذت تسرف في تحدي الدول العربية والإسلامية تحديًا سافرًا بشعًا، ولم يكن ياسر عرفات بغافل عما تعده إسرائيل المطمئنة إلى أن منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها العسكرية التي تنتشر في جنوب لبنان وفي مشارف بيروت، وتزدحم القرى الممتدة منها وفي صيدا والبقاع وبعلبك عشرات الألوف من الشعب الفلسطيني، إلّا أن كل هؤلاء تحت ناظريها ومرمى مدافعها.

وإن الحرب الأهلية في لبنان قد التهمت الآلاف من شباب فلسطين المقاتلين، والآلاف من المدنيين من أطفال ونساء وعجزة وعجائز، وأضعفت ضربات أعدائهم المتتابعة القوة الفلسطينية وأنهكتها، وإسرائيل مع هؤلاء الأعداء تزيدهم قوة ودعمًا ومالًا وأسلحة ثقيلة ومعدات حربية متطورة.

وأمنت إسرائيل على نفسها كل الجبهات: الجبهة المصرية والسورية والأردنية فلا تشغل بالها بهؤلاء أبدًا، فهي في أمنة منهن جميعًا، وهيأت كل قواتها العسكرية البرية والبحرية والجوية والصاروخية المنقضة من الأرض والسماء، واجتاحت بغتة جنوب لبنان تكتسحه اكتساحًا لا نظير ليه، وتصدت القوات الفلسطينية واللبنانية لأشرس هجوم شيطاني تعرقل تقدمه السريع، وتتلقى القذائف من كل جهة حتى لكأن الأرض والسماء انقلبتا جهنم، ولا يسلّم الفلسطينيون ومن يحاربون معهم شبرًا من الأرض إلا بعد زمن يعده الإسرائيليون طويلًا مهما قصر.

وقبل أن يبدؤوا غزو لبنان كانوا يعتقدون أن الهجوم الإسرائيلي المباغت من كل جانب سيقضي على المقاومة الفلسطينية خلال سويعات معدودات، وكان اعتقادهم هذا جازمًا كل الجزم، وبرهانهم عند أنفسهم

حرب سنة ١٩٦٧م إذ ضربوا خلال ستة أيام مصر وسوريا والأردن وأنهوا الحرب معها بانتصارهم المبين الذي محا قواتها العسكرية وفي مقدمتها الطيران العربي في الأقطار الثلاثة.

ومضت السويعات التي قدروها فإذا المقاومة تبطل تقديرهم، وكلما مر يوم تزداد المقاومة عنادًا وتحديًا وصبرًا، وتنكمش رقعة الأرض بين أيدي أبطال المقاومة شيئًا فشيئًا، ويقتربون بالتقهقر البطيء نحو بيروت، والقوة العسكرية اليهودية تضرب في جنونٍ لم تعهده الحروب قط.

ووجدت إسرائيل فرصتها، فهاهم أولاء قادة منظمة التحرير الفلسطينية وقادة قواتها العسكرية وعلى رأسهم قائدهم الأعلى ياسر عرفات في صميم أرض المعارك وجهة الحرب الجهنمية، فهي مصممة على أن تمسك بهم جميعًا إمساكًا لا مفرَّ منه، وسيعرضونهم أسرى مكبلين مغلولين على شعب إسرائيل.

لم يكن هناك أي تكافؤ بين الجيش اليهودي وأبطال المقاومة الفلسطينية في العدد والعدة والمال والسلاح، فكان الرجحان في ذلك لليهود إلا في الثبات ومكارم الأخلاق والشجاعة والبطولة حيث كانت الوفرة لدى الفلسطينيين.

وبينما ينزل اليهود أعتى الضربات وأفتك الأسلحة برًا وبحرًا وجوًا ومن تحت الأرض ومن بين أرجل الفلسطينيين، وتضييق الحصار عليهم ساعة بعد ساعة ويومًا وراء يوم كان العالم العربي كله في شبه غيبوبة عما يتعرض له الفلسطينيون، ولم يسمع لحكامه أي صوت إلا بروز حاكم عربي واحد هو الملك فهد الذي كان مع المقاومة الفلسطينية ومع كل فلسطيني بلبنان يتعرض لظلم اليهود والنصارى المارونيين، ومع ياسر عرفات في كل وقت، بل كان فهد مع غير الفلسطينيين وغير مسلمي لبنان المحاصرين في بيروت.

وقد أشار أحد زعماء لبنان الكبار السيد صائب سلام في مذكراته: أنهم

كانوا على صلة مستمرة بالملك فهد، وكانوا يوقظونه بعد منتصف الليل، وما أكثر ما أيقظوه دون أن يتبرم بهم، وكان الخط التلفوني بين الملك فهد وياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطيني مفتوحًا باستمرار وعلى الدوام.

أقول للحق والتاريخ: لم يكن غير الملك فهد يقظًا وعلى استعداد تام وصلة تامة بأبطال المقاومة وبالعزل، وكان جلالته نفسه على صلة بالولايات المتحدة، فما اتصلت بيروت به أو علم من أخبارها إلا بادر إلى الهاتف يتصل بالبيت الأبيض في واشنطن يحث ريجان أن يبادر - ولو إنسانيًا - بالحيلولة دون محو بيروت الشرقية وضواحيها وأحيائها المزدحمة بالمدنيين وإبادتهم من قبل إسرائيل العاتية الكافرة التي قطعت عن نصف مليون مدني الماء والكهرباء والدواء والغذاء فقتل من جراء ذلك الحصار مئات، كما قتل بقذائف إسرائيل آلاف وآلاف، وما يزال عدد القتلى يزداد، وبلغ من طغوى إسرائيل أنها كانت تقذف العمارات المزدحمة بالسكان بآلاف القنابل فتهدم العمارة بسكانها.

وأخذ الحصار اليهودي يزداد تطويقًا وتضييقًا وإحكامًا حتى أخذت رقعة أرض بيروت الصغيرة تزداد ضيقًا بمنظمة التحرير الفلسطينية وزعيمها وقادتها وأفراد المقاومة وعشرات الآلاف من الفلسطينيين المدنيين العزل وعشرات الألوف من المسلمين اللبنانيين الذين أخذوا جميعًا يحسرون من مواقعهم حتى وقف الجيش الفلسطيني في وجه القوة اليهودية يمنعها من التقدم حتى دامت الحرب بين إسرائيل وبضعة آلاف من مقاتلي المقاومة سبعة وسبعين يومًا تحدوا بصبرهم وثباتهم اللذين لم يرَ التاريخ مثيلًا لهما قط، تحدوا مع إسرائيل الولايات المتحدة الأمريكية التي جعلت كل إسرائيل حصنًا حصينًا وقلعة لا تنال.

وأخذت الأيام تمضي وحكام العالم العربي في غفلة وسبات عما يجري

في بيروت على امتداد الطريق إلى صيدا وعلى تفرق الطرق إلى غيرها مما جعل إسرائيل تزداد بغيًا وعدوانًا وضراوة ووحشية واستئسادًا حتى كانت كارثة بيروت التي لم تجد أحدًا من حكام العالم العربي غير فهد الذي أَمَضَّه الألم من جراء هذه الكارثة الفظيعة البشعة التي زلزلت الإنسانية الفاقدة رشدها من جراء اليهود الذين كانوا يزدادون وحشية وحقدًا وشرًا كلما ازداد من في بيروت جلدًا وصبرًا ممطورين بعشرات الآلاف من القنابل المحرم استعمالها دوليًا مطرًا ناريًا متواصلًا ليل نهار.

وكان أمر هؤلاء اليهود بيد أمريكا التي صنعت لهم كل هذه القوة الجهنمية العاتية الظالمة، وما كان لأي حاكم عربي ثقل في ميزان أمريكا غير فهد ملك المملكة العربية السعودية وسيد العرب والمسلمين وزعيمهم الأكبر، فهو يستطيع أن يؤثر في أمريكا لعظم حجم فهد وثقله في ميزان السياسة الأمريكية وفي الميزان الدولي فاستجاب الرئيس ريجان للملك فهد، وجرى وقف إطلاق النار مع الاتفاق على أن يخرج قادة منظمة التحرير الفلسطينية وزعيم فلسطين ياسر عرفات والمقاتلون الفلسطينيون معززين مكرمين مرفوعي الرؤوس وبأسلحتهم الخفيفة.

ونجح الملك فهد الذي استعد لكل احتمال، فهو لم يغفل عن طبيعة إسرائيل ومكرها وغدرها فاتخذ من الضمادة والحيطة والحذر ما يوقف غدرها حتى لا يصل إلى ياسر عرفات الذي تحول رمزًا لفلسطين في أعين الناس وصحابه وجيشه أيَّ إذلال أو إهانة، وإلا فالموت أهون.

وأثمرت مساعي الملك فهد خروج ياسر عرفات خروج أعظم الأبطال المكرمين، وإنه لمن أعظمهم حتى يتكافأ عِظَم خروجه مع عظم مساعي فهد العظيم، ورأى مئات الملايين، بل كل العالم على شاشات التلفزيون مشاهد الاحتفال العظيم عسكريًا ومدنيًا بخروج ياسر عرفات تحت ظل عَلَمِه: علم فلسطين يخترق صفوف شعب فلسطين ولبنان ومن كانوا ببيروت من

الأجانب من صحفيين وغير صحفيين حتى صعد على ظهر الباخرة التي تقله إلى قبرص تمهيدًا لسفره إلى تونس، ولشد ما كان سرور بحارة السفينة وقائدها بنقل البطل العظيم ياسر عرفات والاحتفاء به منذ صعد عليها حتى هبط منها، وكان ذلك أجمل ذكرياتهم وأعظمها بعثًا على الفخار والاعتزاز.

واستعدت تونس والجامعة العربية وكل أعضاء السلك الدبلوماسي وطلاب الجامعة التونسية والمعاهد والمدارس وعشرات الآلاف من الأوربيين بتونس احتشدوا لاستقبال زعيم فلسطين العظيم البطل المغوار ياسر عرفات، يتقدمهم مئات الآلاف من البشر على رأسهم الحبيب بورقيبة.

وكنت في ذلك الحين بالولايات المتحدة الأمريكية، وكنت مدعوًا عند صديق أمريكي دعا بعض صحابه إلى حفل العشاء الذي أقامه لي، وكان المدعوون من كرام القوم، فما كان التلفزيون الأمريكي يعرض بعض مناظر مذبحة بيروت حتى أعول النساء وبعض الرجال وأخذوا ينتحبون نحبًا، واستنزلوا اللعنات على هؤلاء القتلة المجرمين.

وكان الملك فهد قد سبق له التحذير من هذه المذبحة قبل وقوعها، ولكن لم يُجدِ التحذير في الحيلولة دون وقوع المذبحة، لأن إسرائيل دولة متوحشة تجد في دم الأبرياء ما ينشيها، والحكومة الأمريكية بلا قلب، وتبارك كل عمل لدولة اليهود.

ولكن، نحمد الله على أن جهود الملك فهد قد أثمرت وقف إطلاق النار والقتال، وإن لم يقف القتل، فكان قنص الفلسطينيين ومسلمي لبنان مستمرًا حتى ما بعد مذبحة بيروت الفظيعة في شهر شوال ١٤٠٢هـ (يوليه/ تموز ١٩٨٢م).

ولم يتخل الملك فهد عن الفلسطينيين الساكنين بلبنان، ولم يغفل عنهم، إذ كانت عينه ـ بعد عين الله ـ ترقب أولئك البائسين العزل، وكان ـ حفظه الله ـ ينظر بنور الله فتوجس خيفة من اليهود أن يميلوا على

المخيمات الفلسطينية التي ازدحمت بعشرات الآلاف ممن هربوا من جنوب لبنان من مسلمي لبنان ومن الفلسطينيين وأسرهم، وكان جلالته يعلم بالمخيمات ومواقعها وأعداد سكانها على وجه التقريب، لأن أبواب المخيمات كانت مفتوحة على مصاريعها لأشقائهم، وتوالى تحذير الملك فهد الذي كانت أمريكا على علم به، وإذا الجيش الإسرائيلي يحاصر المدنيين في «صَبْرا» و«شاتيلا» ويمنع أن يدخلها أو يخرج منها أحد، وقطع عنهما كل تموين كما قطع الكهرباء والماء، ومنع التجول حتى احتبس الناس في بيوتهم، فخلت الشوارع والأزقة حتى الكلاب الضالة - كما وصف لي صديق لبناني - توارت عن الأنظار.

وفجأة انقض اليهود على الآمنين المدنيين المتوارين في بيوتهم، انقضوا على المنازل والخيام بدباباتهم وقذائفهم فأخذت تتهدم على من فيها فإذا غادروها إلى الشارع انهمر عليهم وابل من رصاص الرشاشات، ووقعت المذبحة الفظيعة التي أنست الناس مذبحة بيروت، ولم يكف اليهود ما صنعت قذائفهم المجنونة التي أخذت تعربد حتى إذا شبعت مدافعهم ورشاشاتهم هبط آلاف المردة من جيش إسرائيل يقتلون النساء والأطفال ويذبحونهم شر تقتيل وتذبيح، وكان حقدهم أشد ما يكون على النساء والأطفال، والسبب أن المرأة أداة إنتاج، والأطفال يكبرون ويكونون جيل الانتقام فيما يقبل من الأيام، وكانت جثث الأطفال والنساء تُلقى على أرض الأزقة والشوارع، وبلغ قتلى الفلسطينيين عشرات الألوف، وأخذت جرافات إسرائيل تجرف المنازل والخيام المهدمة فمات آلاف من الجرحى.

ورأى الناس في العالم ومعهم الأمريكيون على شاشات التلفزيون مناظر من مذبحة صبرا وشاتيلا، وأغمي على بعض المشاهدين من هول ما قد شهدوا، وما من إنسان إلا تأثر واستنكر، وكنت حينئذ بأمريكا في رحلة علاج لم أحصل إلا على ما ساء صحتي من هول ما شهدت.

حدثت كل هذه الكوارث الفظيعة التي لم يشهدها كل تاريخ الحروب في العالم إلا تاريخ حروب اليهود الذين يزهقون الأرواح على مرأى ومسمع من العالم دون أن يتحرك أحد غيرنا نحن ـ السعوديين ـ وملكنا وآخرون من الملوك والحكام والشعوب التي لا شيء بيدها.

تاريخ اليهود القديم والجديد زاخر جدًّ الزخور بمذابح كمذبحة بيروت ومذابح صبرا وشاتيلا، ومذابح قرى آمنة يسكنها فلسطينيون ومسلمون من لبنان في القرى المجاورة للأماكن التي وقعت بها هذه المذابح.

وليس بخافٍ علينا ولا ببعيد عنا نجدات الملك فهد السريعة عندما يتعرض الإسلام أو العرب للزلزلة، فكلنا يعلم مبادرة المملكة العربية السعودية عندما نشبت الحرب بين إيران والعراق، واشتعل النزاع بين بعض الحكام العرب، ورأينا جهود الملك فهد في مؤتمر القمة الإسلامية الذي انعقد بجوار الكعبة المشرفة بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ونجح المؤتمر في توحيد الكلمة وإن غابت إيران وليبيا.

ورعا الله الملك فهد وأعانه على ما يُحمِّل نفسه من التبعات والأعباء والآلام بسبب قلبه الإنساني الكبير الذي ينزف من جراء ما يحدث بين الأشقاء حتى أرهق نفسه دون أن يشكو لمخلوق، فمنذ نشوب الحرب الأهلية في لبنان وفهد مع لبنان، حشد كل جهد مملكته وشعبه رجاء إطفاء النار التي تأكل لبنان، والحرب التي يتلظى في سعيرها كل لبناني لا فرق في المصيبة والمصاب بين لبناني وآخر، وها هي ذي جهود الملك فهد قد أثرت وقف إطلاق النار في لبنان الذي عجز العالم عن تحقيقه، ومهد وقف إطلاق النار لمؤتمر اجتمع فيه المتخاصمون على المائدة التي أوجدها الملك فهد الذي يرجو ويعمل على أن يتم بين كل طوائف لبنان وأحزابها وجمعياتها وهيئاتها الصلح والصفاء والأخوة فتعود على لبنان ما فقد من جمال وحضارة.

ونحن أبناء مملكة فهد نأسى عليه من الشعب الذي يتعبه بسبب إخوانه العرب والمسلمين، فهو يحزن لحزنهم، ويقف معهم في كل مصاب يشاركهم ليخفف عنهم بما يستطيع، وإن ما يستطيعه لا يمكن أن يقوم سواه به، فهو ما يكاد يسمع بأي قطر مسلم أو عربي تعرض لكارثة إلا ويده أسبق الأيادي طرًا تتقدم بما يأسو الجراح ويخفف المصاب.

فعندما تعرض اليمن الشقيق لذلك الزلزال الذي دمر عشرات الألوف من المنازل، وشرد مئات الآلاف من السكان كانت بعد يد الله يد فهد الوحيدة وأيدي شعبه بمئات الملايين من الدولارات للتعمير.

وما تزال يد فهد ممتدة بالخير المتدفق منها دون انقطاع.

وبالأمس القريب نشرت وسائل الإعلام في العالم مبادرة الملك فهد ـ جزاه الله كل خير عن الإنسانية بعامة وعن بني العروبة والإسلام - على بلاد البنغال (بنجلاديش) يواسي شعبها وحكومتها ورئيس دولتها يعزيهم في الشهداء وملايين المنكوبين من جراء الفيضان والطوفان، ويدعو الله مخلصًا أن يجنب كل أقطار العروبة والإسلام الكوارث والويلات.

وفي نفس فهد وطبيعته وخلائقه الكريمة عدم الاكتفاء بحسن المنطق عزاء ودعاء وحسب، فما كاد يتلقى نبأ الكارثة الأليمة إلا وقلبه يعتصر ألمًا وحزنًا ودعاءً، وسبقت يده قلبه ولسانه بثلاثين مليونًا من الدولارات تبرعًا من جلالته.

أما شعب فلسطين عند الملك فهد فشعبه، فمنذ أيام أبيه الملك عبدالعزيز ثم عهود إخوته الملوك سعود وفيصل وخالد ـ رحمهم الله ـ يتدفق برهم تدفقًا موصولًا لم ينقطع منذ إعلان وعد بلفور اليهودي الصهيوني اللئيم حتى يومنا هذا، وكلما مر على قضية يوم تضاعف البر والمساندة والتأييد والمشاركة الفعالة ذات الآثار العظيمة.

وليس في العالم شعب مسلم أو عربي مثل شعب فهد في تدفق العطاء

منهما تدفقًا موصولًا لا ينقطع، وما يزال التدفق موصولًا، فقد سبقت الإشارة إلى عزم الملك عبدالعزيز وأبنائه الأبطال وشعبهم أن ينضموا إلى الثوار الفلسطينيين سنة ١٩٤٨م ومعهم أسلحتهم وتموينهم وتموين كل متطوع، ليحاربوا جميعًا اليهود السالبين.

وليس العهد ببعيد عن الملك الشهيد فيصل ـ رحمه الله وأنزله الفردوس الأعلى ـ عندما أعلن في خطبةٍ[1] له ألقاها على ضيوف الرحمن وضيوفه في موسم حج سنة ١٣٩٣هـ، ونادى العالم الإسلام للجهاد وقتال اليهود، وتمنى أن يستشهد على ثرى فلسطين أرض الإسراء والمعراج دفاعًا عنها واستردادًا للقدس الشريف وكل فلسطين من أيدي الظلمة الطغاة البغاة الكفرة الفجار، وبكى الشهيد وأبكى ضيوفه ومن سمعوه من الإذاعة السعودية.

وبلغ من شعور شعب المملكة العربية السعودية بمواطنة الشعب الفلسطيني أن الفلسطينيين الذي يسكنون مملكة فهد يتمتعون بكل الحقوق والمزايا التي يتمتع بها إخوته السعوديون، وكثير منهم ابتعثوا إلى أوربا وأمريكا لإكمال تعليمهم العالي على نفقة المملكة العربية السعودية.

ويعيش الفلسطينيون بمملكة فهد في أمن لم يجدوه قط في بلدهم منذ إعلان بلفور وعده، وهم أحرار في تصرفاتهم، ولم تمل عليهم الحكومة السعودية أي شيء، وأبقتهم على انتمائهم لفلسطين وشجعتهم على أن يكون ولاؤهم لها، وتذكرهم بيوم العودة المرتقب بمشيئة الله ثم بعزمهم.

ولم يضطهد فلسطيني مقيم بالمملكة أو يُظلم قط من مسؤول رسمي أو مواطن سعودي، بل هو والسعودي سواء في الحقوق والواجبات، لا فرق بينهما في شرع الله ونظام الحكومة، ولهذا لم يسخر فلسطيني يسكن

(١) ألقى الملك الشهيد ـ رحمه الله ـ خطبته التاريخية العظيمة بقصر الحكم بمكة المكرمة ليلة الاثنين السابع من ذي الحجة سنة ١٣٩٣هـ (٣١ ديسمبر ١٩٧٣م).

المملكة لحمل مبدأ سياسي أو مذهب اجتماعي أو الانتماء لحزب، لأن المملكة خالية من الأحزاب بفضل الله، فسكانها والفلسطينيون القاطنون بها لا يعرفون ولا يؤمنون بغير الإسلام عقيدة وشريعة وسياسة وآدابًا وسلوكًا واجتماعًا.

ومنذ أن كانت لفلسطين قضية والمملكة العربية السعودية وشعبها وآل سعود وحكامها يرون أنفسهم جنودها ومحاميها المتوطدين المجاهدين بولائهم لفلسطين، والواقفين مع شعبها، والمستعدين للدفاع عنها واستردادها.

وكلما اتسعت المملكة في العلم والحضارة والثراء وعدد السكان وعدد آل سعود زاد جنود فلسطين وضخم حجم مساعداتهم النقية من كل لون، وتضاعف شعورهم بتبعة الإخلاص للقضية يحملونها معهم أنى رحل منهم راحل، وبخاصة المفكرون والباحثون، وأما الدبلوماسيون الذين يمثلون بلادهم في أقطار العالم فهم وممثلو المملكة محاموها في المجامع الدولية والمؤتمرات والهيئات والمنظمات، كما كان الدارسون في خارج مملكتهم يحملون معهم القضية إلى الجامعات ومحافل العلم والثقافة، لأن قضية فلسطين ليست لدى السعوديين قضية سياسية وحسب، بل هي قضية دينية قبل كل شيء.

نعم، قضية فلسطين قضية دينية لا يمكن التخلي عنها ولا التهاون فيها، فأرض الإسراء والمعراج أرض إسلامية، إلى جانب أنها أرض عربية خالصة، فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم والحديث الشريف.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، عدا آيات أخرى جاءت بها الإشارة إلى أرض فلسطين المباركة.

وجاء ذكر القدس والأرض المباركة والأقصى في غير حديث، ويكفي

أن الرسول ﷺ رفع المسجد الأقصى إلى مقام المسجد الحرام ومسجده الشريف بالمدينة المنورة في منع شد الرحال إلا إلى هذه المساجد الثلاثة، وإن لم يكن الأقصى حرماً كالمسجدين الآخرين.

وكتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ كتاب المسلمين المقدس لم يقتصر في الذكر على المسجد الأقصى وحده، بل وسع الذكر الحكيم المسجد الأقصى وما حوله مما دخل في بركة الله الوعيبة الشاملة.

وطبيعي أن كل ما كان معروفًا بالشام الذي كان يطلق إلى عهد غير بعيد على ما تقطع من أوصاله، فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وسيناء، وهذا الشام كله عربي أصيل زاد أصالة وشرفا بالإسلام.

ولهذا جعل الملك عبدالعزيز، وابنه الملك سعود، وابنه الملك فيصل، وابنه الملك خالد رحمهم الله جميعًا، فالملك فهد بن عبدالعزيز ـ مد الله في عمره ـ قضية فلسطين قضية المسجد الأقصى وما بارك الله من حوله من الأرض التي تكررت الإشارة إليها في مواضع شتى من القرآن الكريم.

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾.

وهناك آيات كثيرة أشير فيها إلى الأرضين المباركين[١].

فلا جرم أن يعد الملوك من آل سعود والحكام منهم والمسلمون معهم قضية فلسطين قضية دينية، وعندما يكون الشيء دينيًا وجب حَمْيُه وجوبًا فرضًا من قبل شرع الله، وبسبب ذلك كان اهتمام الملك فهد ومن سبقوه بقضية فلسطين، ولهذا لم يتخلوا عنها قط، بل لا يمكن أن يتخلوا عنها.

وكل الفلسطينيين أنى كانوا وممثلوهم وزعماؤهم يطمئنون على قضيتهم عندما تكون في يد فهد ورحابه، لأمانته البالغة المنزهة من المصالح

---

(١) جمع العرب الأرض على أرضين جمع مذكر سالمًا فاتبعناهم في جمع وصفها إذ جعلناه جمع مذكر سالمًا.

الذاتية والهوى الشخصي، ويشعرون بالأمن والطمأنينة في جواره وحماه المنيعين.

وكل فلسطيني على فطرته السليمة موقن أن الملك فهداً آمَنُ الناس على قضية فلسطين، وكلما ذكر جلالته أو ذُكر لديه قُرن ذكره بالتجلة والاحترام، لأنه واثق أن لا يخرج بها عن حدها القوام، ولن يسخرها لتحقيق آراب ذاتية، لأن القضية عند فهد دينية، وعندما يكون الشيء دينًا يكون منزهًا عن الهوى، وبخاصة عندما تكون الأمانة في يد فهد وقلبه ولسانه، أو في يد أحد من أهله مثل وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل نجل شقيقه الملك الشهيد، أو في يد سفيره بواشنطن الأمير بندر بن سلطان نجل شقيقه الأمير سلطان بن عبدالعزيز، أو في يد أي فرد من شعبه.

وإن صلة فهد فلسطين وعروبتها وإسلامها وقضيتها صلة دين ونسب، فالقضية ليست قضية بلد شقيق، بل قضية بلده الأصيل الذي يشمل كل أرض الجزيرة العربية أو كل أرض يتكلم أهلها العربية، وإن أرض فلسطين جزء غال وأصيل من أرض العرب، وتتأكد القضية صلةً بفهد عندما أعلن الأرض أرضًا قرآنية يردد القرآن ذكرها في مواضع كثيرة من آياته الكريمة تتلى كل يوم من قبل مئات الملايين من المسلمين.

فقضية فلسطين عند الملك فهد قضيته، ولهذا فلا غرابة في موقف بلاده التي لم ترضَ بالتقسيم ولا بقرار الأمم المتحدة، إذا وقفت موقفًا لا يقفه إلا صاحب حق.

ويعرف الشعب الفلسطيني بكل فئاته هذا الموقف السعودي الذي يذكره، ويذكره كل زعماء فلسطين على مدى تاريخ القضية منذ بدئها وتطورها حتى يومنا هذا، وسيدوِّن التاريخ الإنساني الحق هذا الموقف الكريم كما دونه أصحاب القضية وزعماء فلسطين الأبطال الأحرار.

ومنظمة التحرير الفلسطينية التي اعترف العالم بأنها الممثلة الشرعية

الوحيدة لشعب فلسطين تؤكد على قادتها موقف الملك فهد بكل تجلة حتى ليذكرون دائمًا بما لا مزيد عليه من الثناء المستطاب من أعماق سرائرهم، ويلهجون بألسنتهم الصادقة في كل مناسبة كريمة بشكر الملك وأسلافه وإخوانه وآل سعود وشعبه وحكومته، ومما دونوه وأعلنوه على الملأ شواهد يسيرة ندونها للتاريخ والحق.

وتمهيدًا لذكر الشواهد نقول: إن مواريث قضية فلسطين بكل تاريخها وتطوراتها وما جدَّ فيها وما نجم عن كل ذلك من الواقع والأحداث التي تراكم بعضها فوق بعض قد انتهت إلى الملك فهد الذي تكدست على عاتقه وتكدست معها الأعباء والتبعات التي أخذت تتوالد بسرعة عجيبة وتتضخم تضخمًا ثقيلًا، ومن فضل الله لم ينؤ بها حملًا.

ونأخذ بعض الحقائق من مسؤول فلسطيني كبير يضطلع بمهام قيادية كبيرة منها: العضوية في اللجنة التنفيذية بمنظمة التحرير والمستشار السياسي للزعيم الفلسطيني رئيس المنظمة ياسر عرفات ألا وهو السيد خالد الحسن الذي أجرت معه جريدة عكاظ التي أسستها سنة ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م)[١] حوارًا سياسيًا صريحًا جدًّ مهم منتزعًا من واقع القضية وواقع العالم العربي الفريق في خلاف بعضه مع بعض وفي مشكلات معقدة.

أجرت جريدة عكاظ الحوار بالهاتف، إذ اتصلتْ به في مقره بالكويت ونشرته بالعدد (٦٣٢٨) الصادر يوم الثلاثاء ٢٧ من ذي الحجة ١٤٠٣هـ (٤ أكتوبر ١٩٨٣م). ولولا الرغبة في الإيجاز لكان الحوار كله جديرًا بأن يدوَّن في هذا البحث، إلا أننا لن نحرم القارئ والتاريخ من تزويدهما بأهم النقاط، وها نحن أولًا ننشر الحوار كما نُشر محتفظين له بنصه مع ما فيه

---

(١) ثم عندما ألغت الحكومة امتياز صحف الأفراد أُسست مؤسسة عكاظ المسؤولة عن إصدارها.

من غلط لغوي أو بعض الركاكة راجين من عكاظ الحرص على سلامة اللغة والأسلوب:

«انطلقت المملكة في مساعيها السلمية لوقف إطلاق النار بين اللبنانيين تمهيدًا لتوجيه الأهداف العربية لوجهتها الصحيحة نحو القضية الفلسطينية.. كيف تقيمون الدور السعودي على ضوء ما تم تحقيقه وانعكاسات وقف إطلاق النار والإيجابيات التي يمكن أن تستثمر منه لصالح القضية العربية ؟

لا شك أن الجهد السعودي الذي بذل وإيقاف إطلاق النار في لبنان ووضع القواعد الأساسية للانطلاق نحو آفاق أبعد، وإن دل على شيء فإنما يدل على المكانة والقدرة المتوافرة لدى المملكة العربية السعودية عندما تقرر أن تفعل ما يجب أن يفعل ولاشك أن خطوة وقف إطلاق النار كانت عملًا جديًا وممتازًا، ولعل النجاح يتواصل من خلال لجنة الأمن ولجنة الوفاق الوطني الذي يتطلب استمرار الجهد السعودي حتى تمنع الاستثمارات الجانبية المضادة سواء من داخل أو خارج لبنان.. ولعل المملكة من خلال هذا النجاح الذي حققته تتمكن من الانتقال إلى الخطوة التالية المتصلة في القضية الفلسطينية سواء في العلاقات الفلسطينية العربية أو في جوهر المشكلة في استعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وتحرير القدس الشريف.

نريد تضامنًا حقيقيًا:

مؤتمر القمة العربي القادم بالرياض هل تتوقعون أن يسفر عن نتيجة لتقريب وجهات النظر الفلسطينية السورية ومن ثم إبعاد كل أوجه الخلافات القائمة ؟

إن هذا الموضوع يعتمد على نقطتين: النقطة الأولى تتوقف على المقدار الذي يتمكن فيه الجهد السعودي من الوصول بالأزمة اللبنانية إلى أكبر قدر للانفراج من الاتفاق الوطني اللبناني، وأن يكون الموضوع

الفلسطيني في لبنان موضوعًا تحت المجهر، ويؤخذ بعين الاعتبار بحيث لا تنتهي الأزمة اللبنانية على حساب القضية الفلسطينية. النقطة الثانية: الجهد الذي تبذله المملكة باتصالاتها العربية وخاصة مع سوريا فيما يتصل بالخلافات القائمة بين سوريا وحركة فتح والنقاط الأخرى حتى يتحقق النجاح المطلوب في لبنان.

وهذه الاتصالات التي نتمنى لها النجاح خاصة إذا بذل بشأنها الجهد الذي بذل في موضوع لبنان فإن قمة الرياض ستنعقد وقد أزيلت العديد من العقبات لنصل إلى نوع من التضامن العربي، ونتمنى هذه المرة أن يكون تضامنًا حقيقيًا يختلف عن ما سبق حيث كان التضامن العربي بعد كل قمة يعيش لمدة شهر أو شهرين ثم تنفجر الخلافات، فالقمم العربية السابقة منذ العام (٧٤) حتى الآن لم يعد لها ميكانيكية تنفيذ وواضح، إن ما جرى في لبنان من اتفاق على وقف إطلاق النار على الرغم من كل الشروط التي ألحقت به لو لم تكن له آلية التنفيذ لما استطاع أن يصمد أو أن يؤدي للنتائج الطيبة التي تحققت له بفضل الجهد السعودي.

لذلك نرجو أن تأخذ المملكة دور المبادرة في السوق الأوربية المشتركة أو كما هو معمول به بمنظمة الوحدة الأفريقية ومنظمة عدم الانحياز.. وقد يقال بأن الجامعة العربية هي الجهاز التنفيذي.. والحقيقة أن الجامعة العربية لا تستطيع القيام بهذا العمل لأنها لا تستطيع أن تنطلق على المستوى الدولي إلا إذا شارك فيها الوزراء العرب، ومثل هذه الحركة أثبتت نتائج قمة فاس واللجنة السباعية بأنها عملية بطيئة قد تعرقلها دولة أو دولتان وتشل من حركتها كما حدث للجنة السباعية.. فبعد أن قامت بالزيارات ونفذت القسم الأول من القرار إلا أنها لم تكمل القسم الثاني الذي هو الإحاطة المستمرة لكافة الدول العربية بما تم تمهيدًا لما يجب أن يتخذ من قرارات وإجراءات لتبقى الحركة العربية على المستوى الدولي قائمة إلى أن يأتي

موعد القمة الجديد أو إذا تطلب الأمر عقد قمة استثنائية يتم تحقيق ذلك دون الدخول في المشكلات العربية.

فإذا تحقق ذلك يمكن أن المملكة العربية السعودية استطاعت أن تأخذ دورًا قياديًا أساسيًا في العالم العربي خلال هذه الظروف الحالكة. وأن تنتقل بالعالم العربي من العلاقات غير المحكومة بضوابط أو نظام عمل إلى علاقات محددة وبضوابط وأنظمة عمل مثل التي كانت قائمة بعد القمتين العربيتين الأولى والثانية عندما أنشئت القيادات العربية الموحدة في المجالات السياسة والإعلامية والعسكرية».

ومسعى الملك فهد في قضية فلسطين والفلسطينيين بعامة مسعى حثيث موصول آية في النبالة، حتى إنه يواصل ليله بنهاره في مسعاه، بل هو على استعداد في جميع الأوقاف حتى أوقات نومه المتقطع إذ جعل سبيل هاتفه الخاص مفتوحًا أمام زعماء العرب والمسلمين، ولا يضيق بأحد منهم إذا أيقظه في منتصف الليل.

والزعيم اللبناني الكبير صائب سلام أحد رؤساء الوزارة السابقين في لبنان دوَّن في مفكرته هذه الكلمات[١]:

«كانت فترة حصار بيروت جحيمًا بمعنى أننا كنا نعيش الساعات الطويلة تحت القصف الهمجي المتواصل جوًا وبحرًا وبرًا من قبل إسرائيل، وهو قصف لم يشهد التاريخ له مثيلًا، قصف بلد كل من فيه عزل لا يملكون سبل المقاومة المضادة، وكان من أهداف إرييل شارون في اعتقادي إزالة بيروت عن بكرة أبيها ؛ أي تهديمها، وليس - فقط - إخراج المقاومة الفلسطينية كما كان يدعي، وكان هدف شارون تدمير كل المؤسسات من مدارس ومراكز اجتماعية إلى مستشفيات، ثم جاء الحصار الخانق، وغير

---

(١) جريدة: «الندوة» التي تصدر بمكة المكرمة، العدد الصادر في يوم الاثنين ٨ شوال ١٤٠٣هـ (١٨ يوليو، ١٩٨٣م).

المألوف في العالم المتحضر، إذ مُنع الغذاء والماء عن مئات الألوف الذين حمدوا في بيروت، كما قُطع الكهرباء بحيث كنا نعيش ليالي متواصلة في ظلام مطبق، ومنعوا دخول الأدوية حتى عن الصلب الأحمر.

وتحت وطأة تلك الظروف الصعبة كانت اتصالاتنا مع الملك فهد.

في الواقع كان العاهل السعودي قد أخذ على عاتقه تأييد لبنان ومصلحة لبنان، وهو له كلمة نافذة لدى الأمريكان الذين لهم نفوذهم لدى الإسرائيليين.

وكنا نوقظ الملك فهد أكثر من مرة من نومه في منتصف الليالي، وهو بدوره كان يوقظ المسؤولين الأمريكان من نومهم تحت وطأة شدة القصف، وبالطبع كان الأمريكان يتصلون بشارون لتخفيف هذا القصف، وكنا ننجح بإيقاف حجم القصف عبر وساطة الملك فهد، ثم يعاود شارون القصف ثانية، لأنه - كما قلت - كان مصممًا على إبادة سكان بيروت الغربية، وكان من واجبي حرصًا على بلدي إنقاذ مئات الألوف من أبناء أمتي، والمحافظة على القضية الفلسطينية.

ونجحنا، أخرجنا المقاتلين الفلسطينيين من بيروت بإعزاز وتكريم».

هذه عبارات كتبها السيد صائب سلام في مفكرته، وهي رؤوس أقلام يعود إليها عندما يدوِّن مذكراته ليصوغها بأسلوب أدبي، ولهذا جاءت عفوية غير مزوقة، ولولا أنّ جريدة «الندوة» وصلتْ وسط ذلك الجحيم المدمر المبيد المنهمر على بيروت ومئات الألوف من سكانها، واطلعت على مفكرته الخاصة، ونقلتْ ما كان يدون الرئيس صائب سلام، ونشرتْه كما هو دون أي تصرف في النص، لولا «الندوة» لما اطلعنا على ما كتبه الزعيم اللبناني الكبير.

وسكان بيروت من أجانب ومواطنين لبنانيين - مسيحيين ومسلمين ودروز - وفلسطينيين وغيرهم يذكرون فضل الملك فهد عليهم إذا أنقذهم من

موت محقق، وأسعفهم بإيصال ما قدر على إيصاله إليه من أغذية وأدوية كما أخبرني الدكتور محمد حمد خضر الأستاذ بجامعة بيروت العربية عندما جاء إلى مكة المكرمة معتمرًا، وذكر لي دعاء الناس للملك فهد وشكرهم لما صنع لهم من خير كثير.

وقد خرج بعض مسيحي لبنان من بيروت بعد خروج المقاومة الفلسطينية ورحلوا إلى أمريكا، وقابلت بعضهم بمدينة سان فرانسسكو بعد كوارث بيروت ومذابحها ومذابح صبرا وشاتيلا، وكانوا يذكرون الملك فهدًا الملك الإنسان على جهوده التي حفظت من القتل مئات الألوف من سكان بيروت دون تفرقة بين مسلم وغير مسلم، ومن الدمار ما كان قد تبقى من عمرانها، ومن الموت جوعًا سكان بيروت، وأخذوا يتسابقون في الثناء على الملك فهد والدعاء له تلقاء إنقاذه حياتهم وحياة مئات الآلاف.

وقد حدثني الدكتور نبيل الإيراني صاحب دار الكتاب اللبناني في لقاء بإحدى مكتبات القاهرة بعيد عيد الفطر المبارك يوم الاثنين ٦ شوال ١٤٠٢هـ (٢٦ يوليو / تموز ١٩٨٢م) عن اهتمام الملك فهد بلبنان وبيروت عندما حاصرها اليهود من البر والبحر والجو، وأمطروها بالموت والدمار، وقطع الماء والكهرباء والأغذية والأدوية، فقد استطاع جلالته أن يقتحم بِرُّه حصار بيروت فيصل إلى سكانها دون تفرقة بينهم ما أبقى على حياتهم.

وليس بغريب ولا بمستغرب ذلك؛ فبر المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها حتى اليوم كان يصل إلى ثوار فلسطين تحت قيادة البطل فوزي القاوقجي، كما كان يصل إلى الأحرار من ثوار العرب والمسلمين في معاقلهم، وما دخل المملكة زعيم وطني ينشد استقلال وطنه إلا وجد منها العون السخي والمساندة والتأييد، وحدثني الزعيم التونسي والمجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة عندما قابلته مرتين مقابلة خاصة بقصره ومرتين أخريين بمكتبه عن فضل المملكة على حركة الاستقلال التي قادها الحبيب

بورقيبة، فقد سلمه الملك عبدالعزيز عشرة آلاف جنيه ذهب ومعه أولى مشاركة من جلالته في حركة تحرير تونس، وأعطى كلًا من الزعيم بورقيبة ورفاقه الذين صحبوه خمسين جنيهًا ذهبًا هبة منه لكل فرد منهم، حتى إنهم جميعًا يحتفظون بخمسة جنيهات من تلك الهبة التي أضافوها إلى عشرات الآلاف التي بارك الله فيها وكان لها أثر عظيم في نجاح الحركة وانتصارها.

ويذكر الرئيس بورقيبة أنه جاء إلى بلادنا أول مجيء له لاجئًا مشردًا لا يملك شيئًا من حطام الدنيا فآواه الملك عبدالعزيز وساعده، وكانت معونات المملكة تصل إلى ثوار تونس وهم في أماكن الجهاد، وفي سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) وبخاصة سنة ١٣٧٩هـ (٥٩ - ١٩٦٠م) كانت مساعدات المملكة السعودية بالأسلحة والأموال تصل إلى الثوار الجزائريين في معاقلهم، وكانت من أسباب نصر الله لهم.

وما أعظم مساعدات المملكة لثوار أفغانستان، ولا حصر لمساعداتها التي تجاوزت مئات الملايين على عشرات البلايين من الريالات السعودية لدول المواجهة التي ما تزال تتلقى مئات الملايين.

وتتضاعف في هذه الأيام المساعدات التي يقدمها الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية لأقطار العروبة والإسلام، وتضاعف معها عليه المتاعب والمشكلات والهموم، وما يكاد جلالته ينتهي من مشكلة إلا ليستقبل بدلها مشكلات معقدة، فهو مع الثورة الفلسطينية ومع الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية التي تمثل وحدها شعب فلسطين، ويود في هذه الظروف الصعبة أن ينتهي من قضية لبنان بعد أن وفقه الله لوقف إطلاق النار؛ وجمع الأطراف المتنازعة المختلفة على مائدة واحدة رجاء أن يتصافى الإخوة في الوطن؛ ويعود إلى لبنان الصفاء والاستقرار.

أراد أن ينتهي من لبنان ليتفرغ في هذه الظروف الصعبة لقضية فلسطين

التي تتعرض لقذائف شديدة التدمير من الأشقاء ومن بعض الفلسطينيين أنفسهم ممن وقعوا تحت تأثير بعض حكومات عربية تريد أن تتحكم في منظمة التحرير وتملي عليها أرادتها، وتوجهها الوجهة التي تريد هي لا المنظمة التي تأبى كل الإباء أن تضيع حريتها واستقلالها، وتأبى كل الإباء أن تكون تحت وصاية أحد فردًا كان أو جماعة أو حكومة، لأن المنظمة وُجدت لتمثل شعب فلسطين كله الذي أوجدها هو لا سواه، فهي لن تستطيع إلا أن تحرس استقلاله حراسة تامة، وتذود عنها مَن ينشق من أفراد المنظمة ومن وراء هذا الانشقاق، ومن الطبيعي أن تدافع المنظمة عن نفسها التي لا تتجزأ، وعن حريتها التامة، واستقلالها الكامل، ومن الطبيعي أن تحرص على كل ذلك بكل ما لديها من قوة.

وهذا هو الموقف الذي يجب أن تقفه المنظمة وجوبًا، لأن تشبثها بالاستقلال التام يضمن لها حرية التفكير والتخطيط والحركة، والتنزه من الوقوع في متاهات؛ والدخول في سعير الخلاف المحتدم بين دول عربية بوصفها طرفًا من أطراف الخلاف الذي لا شأن للمنظمة به، وكذلك تحرص المنظمة الحرة المستقلة على التنزه من الانجراف في تيارات الخلاف بين بعض الدول الإسلامية رجاء أن تكون مع الجميع في محبة ووئام ليكون الجميع معها على المحبة والوئام.

وقضية فلسطين هي قضية أهلها دون مراء، ولكن مسؤولية الدفاع عنها والعمل على استرداد حق فلسطين من غاصبيه تقع على العرب بخاصة والمسلمين بعامة، لأن فلسطين أرض عربية وأهلها عرب أقحاح أصلًا، منذ عشرات الآلاف من السنين[١]، ولهذه الأرض العربية وأهلها العرب حق مشاركتهم بالمال والسلاح والروح، لأن العروبة أم كل عربي، وأرض

(١) انظر مؤلفنا «عروبة فلسطين، والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين والهيكل لم يكن مقدسًا لدى سليمان واليهود» المطبوع ببيروت طبعتين.

العرب وحدة غير متجزئة عندما يقع أي جزء منها في خطر أو يتعرض لخطر.

والمسلمون شركاء لأهل فلسطين في الانتماء إلى أرضها بصفة كونها أرض الإسراء والمعراج، ولأنه ثالث المساجد التي لا تشد إلى غيرها الرحال، لأن رسول الإسلام وُلد في بيت الله وَوَضع قبل بعثته الحجر الأسود في مكانه منه كما شارك في بنائه، وتفرَّد وحده في تطهيره من الشرك والوثنية حتى عاد إلى البيت كل قداسته وحرمته كيوم خلق الله السماوات والأرض، ومسجد المدينة مسجده عليه الصلاة والسلام، هو الذي بناه وحرَّمه بوحي من الله.

والمسجد الأقصى ثالث المساجد: أسري برسول الإسلام محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليه في ليلة مباركة، وجمع الله على صعيده أنبياءه ورسله فصلى محمد خاتمهم وسيدهم وأمامهم بهم وهو لهم إمام، ومن الصخرة عرج به ﷺ إلى السماء، وبذلك صارت المساجد الثلاثة وأرضوها إسلامية وإرث إبراهيم ومحمد عليهما صلاة الله وسلامه.

ويجب على العرب والمسلمين أن يجعلوا أرض فلسطين بعيدة عن المساواة وأهلها بعيدين عن الأهواء: أهواء بعض حكام العرب والمسلمين، ولو أرادوا أن يكونوا طرفًا في نزاع إخوتهم أو أن ينضموا إلى أحد يشاركونه في نزاعه مع حاكم آخر لوجب على العرب والمسلمين جميعًا أن يعيدوا أهل فلسطين إلى داخل قضيتهم حتى يكونوا مخلصين لها إخوة لكل عربي ولكل مسلم.

ومن المقرر أن هناك حكامًا وأقطارًا يقومون من القضية مقام الإخلاص فيساندون ويؤيدون ويعينون دون قيد أو شرط، ومن أولئك الحكام الملك فهد الذي يعد موقفه وموقف مملكته الموقف المثل الذي لم يَتغيّر إلا إلى ما هو خير لفلسطين وأهلها وقضيتها وأبقى، وهو نفس موقفها على الدوام، إلا

أنه في عهد الملك فهد زاد موقف مملكته خيرًا وسخاء في العطاء بضروبه المتعددة فاستأثرت بالغرم تتحمله وحدها ليكون الغنم لشقيقاتها، وأما في قضية فلسطين فيجب أن يكون الغنم كله لشعب فلسطين الذي كان الضحية الأولى لأعداء الإسلام والعروبة والإنسانية، ليقفزوا من أرض الإسراء والمعراج إلى أقدس بقاع المسلمين طرًا وإلى العقيدة الإسلامية نفسها حتى يتيسر لليهود السيطرة على العالم، لأنهم يعرفون أن الإسلام وأهله هم حراس الإنسانية كلها، وما داموا موجودين على سطح هذه الأرض فمن المحال أن يسيطروا عليها، فهم وكل قوى الشر من شيوعية واشتراكية ورأسمالية وصهيونية متفقات على إفساد الإسلام عقيدة وشريعة وآدابًا وسلوكًا واجتماعًا حتى تستطيع كل قوة شريرة من هذه القوى أن تحقق حلمها.

وتحقيق الغنم لشعب فلسطين كسب عظيم لمجموعة الدول العربية والإسلامية، ولهذا يجب أن يكون موقفها من قضية فلسطين موقف المملكة التي تحرص على أن تعطي ثمرات جهودها ومغانم أرضها المعطاء القضية وأهلها الاصلاء.

ومن موقف المملكة السعودية التنزه المطلق عن الأهواء والمطامع الذاتية على حساب الإضرار بالآخرين كما تفعل بعض الدول العربية والإسلامية، لأن الدولة السعودية دولة الإسلام لا تخرج عنه وتتبع قول رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»، و «أحب لأخيك ما تحب لنفسك»، و «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه».

وموقف المملكة في بعض صنوفه أشبه بموقف المعلم ومدرب الرياضة والطبيب، فالمعلم الأمين يزود من يعلمه صحة عقله ونفسه دون أن يأخذ لنفسه منها شيئًا، وكذلك مدرب الرياضة لا يأخذ من صحة بدن من يدربه شيئًا، وكذلك الطبيب لا يشارك مريضه في صحته وشفائه، بل كل هؤلاء

يعطون لغير هوى ولا لأي مغنم مادي، والملك فهد هو المعلم ومدرب الرياضة والطبيب.

ولو كان غير الملك فهد ومملكته وحكامها لتخلوا عن الدأب والاستمرار في حمل أعباء تبعات قضية فلسطين وقضايا العرب والمسلمين مما يصيبهم من الأذى، ولكن المملكة لن تتخلى عن مسؤولياتها التاريخية مهما تعرضت له من الأذى حتى ممن أحسنت إليهم فقابلوا إحسانها بالإساءة، وترفعها عن الرد بالإسراف في التجني عليها وعلى دينها وعقيدتها.

ومع أن حكامًا نالهم الغنم بسبب القضية الفلسطينية التي لم يخلصوا لها قد تخلوا عنها، وبعض حكام العرب تخلوا عن القضية تخليًا لم يكن سببه التنكر للقضية، وإنما كان التخلي بسبب ما نالهم من الأذى والنيل من الكرامة والشتائم والسباب من حكام اتخذوا القضية تجارة يكسبون منها.

وبعض الحكام كانوا أشداء على الفلسطينيين كأعدائهم اليهود أعداء الله جل جلاله وأعداء رسوله الأكرم محمد ﷺ، وما نريد أن نذكرهم بأسمائهم حتى لا نُلقى على نار الفتنة حطبًا يزيدها اشتعالًا، ولهذا نرجو أن يهديهم الله.

ورحم الله الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وزعيمها الأكبر الذي لم يفتر قط عن ذكر الملك عبدالعزيز وآل سعود وبخاصة أبناء الملك عبدالعزيز بكل خير تلقاء صدقهم في مشاركة الفلسطينيين أحزانهم، والوقوف معهم في إخلاص لا مزيد عليه، وأول المواسين بكل صنوف الخير، وأصدق القائمين معهم للجهاد الحق.

ولو كان أمر قضية فلسطين في بدايتها بيد صقر الجزيرة الغلاب الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وطيب ثراه لتغير تاريخ فلسطين الحديث كما تغير تاريخ الأقطار التي سميت مجموعتها المملكة العربية السعودية، ولما وصل اليهود إلى ما وصلوا إليه من القوة والعز حتى ابتلعوا كل فلسطين وأجزاء من الدول المجاورة لها، وعلى الأخص ما اقتطعوا من سوريا ما يعد من

أعظم الحصون الطبيعية مناعة وموقعًا إستراتيجيًا نادر المثال، ولو قبل رأي الملك عبدالعزيز وأخذ به بعد قرار التقسيم سنة ١٩٤٨م لعجز اليهود عن الامتداد والانتشار في أرض فلسطين العربية حتى احتلت كل أراضيها وأزيد بالاستيلاء على أراضي من أقطار العرب المجاورة.

وكذلك بالنسبة للملك فهد، فهو يكاد يحمل كل أعباء القضية في هذه الأيام، يحملها على نطاق المنطقة العربية.

ويحمل الملك فهد الأعباء نفسها بثقل أشد وحجم أكبر على نطاق العالم الإسلامي، وتزداد الأعباء ثلاثًا عندما تصل إلى نطاق العالم.

ويعرف الفلسطينيون - وفيهم المنشقون - أن المملكة العربية السعودية منزهة كل التنزه من الهوى، فهي تساعدهم بكل ما في وسعها، وتقف معهم في إخلاص لا مزيد عليه لكي يتمتع شعب فلسطين بحرية وبحياته كما يتمتع كل شعب، ولهذا يثقون كل الثقة في حكام المملكة العربية السعودية، فكلما تعرضت قضيتهم لعاصفة هوجاء لجؤوا - بعد الله - إلى الملك فهد الذي يجدون لديه كل ما يرجون دون أن يضيق بهم، بل لم يضِق بهم قط.

والآن وقد تعرضت القضية كلها لخطر شر من خطر الصهيونية، لأن ما تتعرض المنظمة للنسف على من داخلها على أيدي أبناء عاقين لها وأشقاء انتهازيين نصر مؤزر لإسرائيل تظفر به دون أن تخسر شيئًا، ودون أن تبذل جهدًا، بل جاءها الغنم إلى مضجعها.

ولئلا يجتذب هذا الغنم مغانم جديدة لإسرائيل أسرع ياسر عرفات عندما رأى الأحداث التي تقرع المنظمة قرعًا قبل وقوعها إلى بعض حكام العرب يبصِّرهم ليتنبه الغافل، ويصحو المغفي، ويتحد الإخوة، وجاء في خاتمة مطافه إلى من يحزن لحزنه ويفرح لفرحه: الملك فهد وشعبه وحكومته الذين يقفون مع الفلسطينيين، وتحدث الزعيم ياسر عرفات إلى جريدة «المدينة المنورة» بعددها الصادر في يوم الأربعاء ١٧ شوال ١٤٠٣هـ (٢٧ يوليو ١٩٨٣م) قائلاً:

«التقيت اليوم مع جلالة الملك فهد، وكان لقاء عظيمًا، كما شرفت بالمشاركة في الاحتفال الذي أقامه أهالي مدينة الطائف إذ عبروا به عن مشاعرهم الطيبة الكريمة نحو جلالته».

وقال الزعيم عرفات: «وموقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية ثابت ومعروف، وهي لم تتوقف قط عن مساعدة الشعب الفلسطيني ودعمه لينال حقوقه المشروعة في وطنه».

وأدون للتاريخ هذه الحادثة: كنت صباح يوم الأربعاء ٢١ سبتمبر ١٩٨٣م (١٤ من ذي الحجة ١٤٠٣هـ) بمكتبة بمدينة سان فرانسسكو فلقيني يهودي في الخمسين من عمره، يحمل بعض الشهادات العلمية، وتحدث معي وجاء في حديثه قوله: «ليس أدلَّ على خسارة قضية وبطلان دعوى من طرد الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات من بلد عربي.

فقلت له: إن المملكة العربية السعودية تتبنى القضية دون أن يكون لها أي مطمع، وما تزعمه من أن زعماء العرب طامعون في توسيع رقعة زعامتهم بضم الفلسطينيين لا أجد له سندًا يجعله مقبولًا.

ولكن ذلك اليهودي وهؤلاء الأصدقاء يقررون سلامة موقف المملكة العربية السعودية من قضية فلسطين وكل القضايا العربية والإسلامية، وقال ذلك اليهودي موجهًا خطابه إليَّ: ألا توافقني أن اليد الواحدة لا تصفق؟! يقصد بهذا المثل أن المملكة العربية السعودية وحيدة، فقلت له: ولكن اليد الواحدة تعمل كثيرًا، ترفع بها غذاءك وشرابك إلى فمك، وتكتب بها ما تريد، وتصافح بها، وتقذف بها الخير والشر، وتبني بها وتهدم.

وإني لأعجب من أن يحل بغير الجارم العذابُ كما قال الشاعر، فما أعرف لياسر عرفات ذنبًا اقترفه في حق وطنه وشعبه وحق كل إخوته العرب والمسلمين وفي حق فتح حتى يقف منه بعض الحكام وبعض رفاقه.

ومنذ اختير ياسر عرفات لتسلم تبعات الجهاد في قضية فلسطين ترك كل

أعماله الخاصة، وتفرغ تفرغًا تامًا لما أُسند إليه بإخلاص وصدى، وحمل السلاح لا يتركه ليل نهار حتى في صلاته ومضجعه ليكون على أهبة دائمة لكل طارئ، وما أكثر طوارئ الغدر من العدو اليهودي، لأنه بوصفه محاربًا فلسطينيًا أو قائد الحركة كلها يجب أن يكون يقظًا دائمًا وأن يكون في كل حالاته يده على زناد سلاحه.

وها هو ذا - الآن - يسرع إلى الميدان بطرابلس شاكيًا سلاحه مرتديًا بزة الميدان حتى تنتهي العواصف الهوج التي هبت عليه وعلى فتح وعلى قضية فلسطين[١].

وعندما اتخذ زعيم الثورة الفلسطينية والقائد العام لقواتها المسلحة كانت رسالته الشفوية التي حملها مستشاره السياسي السيد خالد الحسن، وها هو ذا نصها:

«أبلغ أخي جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز أني باق بين المقاتلين الفلسطينيين بطرابلس:

ولستُ أُبالي حين أُقتَلُ مسلمًا   على أيِّ جنب كان في الله مصرعي»

هذه رسالة الزعيم الفلسطيني الأكبر ياسر عرفات - كان الله معه ونصره، وأعز جنده، وهزم له الأحزاب وحده - وهي رسالة لا تصدر إلا من الزعماء الأبطال إلى القادة الأكابر.

وقد نشرت جريدة «المدينة المنورة» هذه الرسالة بالعدد (٦٠٣٨) الصادر صباح الخميس الثاني من شهر المحرم من سنتنا الجديدة سنة ١٤٠٤هـ ونشرت مع الرسالة حديثًا أجرته مع خالد الحسن، وها هو ذا نصه:

«وقال السيد خالد: لقد أصر أبو عمار على البقاء مع الجنود وقال لنا:

---

(١) كُتب أكثر هذا الفصل وأنا بمدينة سان فرانسيسكو بكاليفورنيا بالولايات المتحدة، وعندما عدت إلى مكة المكرمة حرسها الله أتممت كتابته.

استمروا أنتم في العمل السياسي، أما أنا فذاهب إلى إخواني وأبنائي لأكون بجانبهم في هذه الظروف».

«وقال السيد خالد الحسن: إن هناك الآن حشودًا كبيرة في طرابلس، وهذه المدينة شبه محاصرة الآن، كما أن القوات الفلسطينية محاصرة في بعلبك برًا وبحرًا.. وهذا الحصار تشارك فيه قوات الاحتلال الإسرائيلية وغيرها.. وقوات من مجموعة أحمد جبريل والصاعقة، وسبق أن طلب من قواتنا (فتح) في البقاع الانسحاب إلى الهرمل، ثم طلب منها هناك تسليم السلاح، حتى السلاح الفردي، ولما رفضوا ذلك سمح لهم بالعبور إلى طرابلس حيث يحاصرون الآن».

«وقال: أرجو ألا يتكرر حصار بيروت في طرابلس هذه المرة».

«وقال خالد الحسن للمدينة: إن الوضع هناك متوتر وخطير جدًا، ولهذا جئنا إلى المملكة العربية السعودية حتى تطوق المساعي السعودية الوضع المتفجر».

«وقال: إن المملكة أثبتت أنها عندما تقرر تستطيع بإذن الله أن تقود وأن تنجح، وما حدث من نجاح كبير لمساعيها في لبنان شاهد حي على ذلك..

والمملكة العربية السعودية بالنسبة لنا نحن الفلسطينيين هي «الأم» في العالم الإسلامي والعربي التي نلجأ إليها - بعد الله - في الظروف العصيبة».

وكما كان لجهود الملك فهد الفضل في فك الحصار الإسرائيلي عن بيروت وخروج المقاتلين الفلسطينيين مع زعيمهم وقائدهم ياسر عرفات بسلام فإن دور الملك فهد التاريخي قد برز من جديد للمحافظة على ياسر عرفات وجيش فلسطين ممن هم معه أو ممن هم مع المنشقين، وكثف الملك فهد اتصاله المتكرر مع صديقه الرئيس السوري حافظ الأسد، وآثر حقن الدماء وفتح الطريق أمام عرفات والموالين له ليغادروا طرابلس بسلام.

وتم الاتفاق بين المملكة العربية السعودية وسوريا على وقف القتال في طرابلس وضواحيها، إلا أن أبا موسى القائد المنشق أعلن أن هذا الاتفاق لم يشمل المخيمات ولا ضمان رحيل ياسر عرفات.

وكان بشمال لبنان مخيمان فلسطينيان زاخرين باللاجئين الفلسطينيين هما: البداوي ونهر البارد تعرضا لهجوم وضرب مدفعي صاروخي من قبل المنشقين حتى بلغ عدد القتلى والجرحى بالآلاف من الفريقين، ولكن كل الدماء كانت فلسطينية، وكان في القتلى والجرحى أطفال وشيوخ ونساء، بل كان أكثر القتلى من هؤلاء الأبرياء يقتلون ويؤذون من قبل أشقائهم.

وما أشد بلاء الإنسان ذي القلب الإنساني الكبير، فإذا كان هذا القلب قلب الملك فهد كان ألمه غير مطاق، فتجرح قلبه بآلام طاحنة من أحداث بيروت وما حلَّ بأهلها وبالفلسطينيين من المقيمين بها من اليهود العتاة، ومن بعض الأحزاب المسيحية التي تتفق مع اليهود في عداء المسلمين، ومذابح صبرا وشاتيلا بعد مجازر بيروت، هذه المجازر التي لم يرد لها في التاريخ مثيلًا، وأشفق أن تتكرر تلك المجازر في مخيم البداوي ومخيم نهر البارد في طرابلس وضواحيها فوجه الملك فهد - مد الله في عمره - إلى كل أبناء فلسطين وبخاصة قادتهم وزعماءهم الرجاء تلو الرجاء والنصح بعد النصح لكي يعودوا إلى رشدهم؛ ويدخروا أسلحتهم لأعدائهم، ويحفظوا الدماء والأموال والأنفس والثمرات لليوم الأسود أو الأيام السود التي يلتحمون فيها مع عدوهم.

ولقد ساء العرب والمسلمين انبراء المنشقين على فتح لإخوانهم في المخيمات يحصدونهم بالقنابل والصواريخ، ويبتهجون كلما أصابوا، وأصموا آذانهم عن شعوب الأمة الإسلامية والعربية التي أخذت تناشدهم وتدعوهم إلى ما فيه خيرهم.

أما المملكة العربية السعودية ملكًا وحكومة وشعبًا فقد أخذوا يوجهون

إلى إخوانهم الفلسطينيين أن يثوبوا إلى الرشد ؛ وأن يقفوا القتال، ولكنَّ المنشقين عموا وصموا، ونسوا أن أجسامهم تنبت من أموال لإخوان لهم، وأن أسلحتهم مدفوعة أثمانها من أموالهم، وما مكنوهم من القوة والمال والسلاح إلا ليحاربوا بها عدوهم، لا أن يتركوا أعدائهم ويقبلوا إلى أشقائهم وشقيقاتهم يضربونهم في حقد أثيم.

ويصور حضرة صاحب السمو الملكي الأمير العظيم عبدالله بن عبدالعزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مشاعر حكومته وشعبه في هذه الفاجعة الأليمة: فاجعة انشقاق بعض قادة كتائب منظمة فتح عن منظمتهم التي لها وحدها حق التصرف في كل ما يتعلق بالشعب الفلسطيني ومقاتليه، وحق إصدار الأوامر، ولكنَّ المنشقين خرجوا على قيادتهم، ووجهوا سلاح الشعب الفلسطيني إلى قتله.

وكان الأمير عبدالله بن عبدالعزيز أحد قائدي حركة العروبة والإسلام في هذا العصر يزور الكويت زيارة رسمية وأخوية وعربية وإسلامية أريد منها المزيد من الوحدة بين دول الخليج، والعمل الجاد من أجل إنهاء حرب الناقلات في الخليج، وإحلال السلام بين البلدين الشقيقين: العراق وإيران.

في هذه الظروف تتوالى الأنباء على الأمير عبدالله أن المنشقين الخارجين على منظمتهم: منظمة فتح قد أمطروا مخيم البداوي ومخيم نهر البارد وطرابلس وحي الزهرية التي تقوم به قيادة منظمة فتح بالقنابل والصواريخ اثنتين وسبعين ساعة دراكًا دون انقطاع يريدون محو من وجهوا إليهم نيرانهم، ويصم هؤلاء المنشقون آذانهم عن كل نداء أيًا كان مصدره رجاء وقف القتال، ويسرفون فيه إسرافًا.

وبلغ الأسى بالأمير عبدالله حده الأقصى، وزاره مندوب وكالة الأنباء الكويتية، ولم يكن للعرب من حديث إلا حديث القتال الرهيب بين إخوة

السلاح الفلسطينيين، وهذا نص كلمة الأمير عبدالله لوكالة الأنباء الكويتية:

«إن ما حدث ويحدث بين الإخوة الفلسطينيين لا يمكن أن يقبله عقل، ولا أن يبرره منطق، ولا أن يعلنه تاريخ، فليس ثمة قضية من قضايا القومية قدمت الأمة العربية بكافة شعوبها ولا سيما الشعب الفلسطيني الشقيق من الضحايا البشرية والتضحيات المادية ما قدمته منها في هيكل القضية الفلسطينية.

ومنذ وعد بلفور قبل خمسة وستين عامًا حتى يومنا هذا وأمتنا العربية والإسلامية لم تقم بذلك السخاء كي يقوم عقيد أو عميد بانقلاب عسكري على السلطة المؤتمنة على القضية الفلسطينية والممثلة بمنظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني الشقيق، فمن يحاول تصفية قضية بلده وطمس هوية شعبه، ويتطوع ليحقق أهداف عدوه إسرائيل سيدوس قضيته أرضًا وشعبًا وهوية، ويقصف بمدافعه وصواريخه النساء والأطفال والشيوخ، وبتجاوز كل مفهوم للخيانة أو النذالة أو العمالة إلى دركٍ غير قابل للتعريف أو الوصف أو التحديد.. إلخ».

وما كاد الحديث يذاع من راديو الكويت والمملكة العربية السعودية وكل دول الخليج حتى تناقلته وكالات الأنباء العالمية، ونشرته كل وسائل الإعلام في العالم حتى رأينا آثاره في العالم العربي والإسلامي بعامة، وفي فلسطين المحتلة وفي منظمة التحرير الفلسطينية بخاصة، وفي كل فلسطيني، وسقط «اعتبار» المنشقين سقوطًا شنيعًا، وأصابتهم حالة من فقد الرشد، وهذا نموذج مما حدث من أثر حديث الأمير عبدالله.

ما كان الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات يسمع حديث الأمير عبدالله وكان وسط قيادته بالزهرية وبين جنوده الموالين له حتى سرت فيهم روح الجهاد واتصل الزعيم الفلسطيني بالأمير عبدالله يشكره شكرًا ليس كفاء ما

صنع ويصنع لفلسطين، شكر للأمير أصالةً عن نفسه ونيابة عن منظمة فتح وعن سكان المخيمات الثابتين في وجه المنشقين البغاة.

وسرت هذه الروح الحماسية في جماهير المخيمات وأخذ الأطفال والنساء يهتفون باسم الأمير عبدالله، ويعاهدون بتجديد الولاء والبيعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات.

وما كادت الضفة العربية من فلسطين المحتلة تسمع حديث الأمير عبدالله حتى قامت المظاهرات تهتف باسم الأمير العربي الأعظم عبدالله، وتعلن تأييدها التام للزعيم الحق ياسر عرفات، واستعلت كل مدن الضفة وقراها حماسة تندد المنشقين وتهتف بسقوطهم، وبحياة ياسر عرفات والمنظمة.

وفي مخيم «بلاطة» المزدحم باللاجئين، الواقع على مقربة من نابلس خرج كل من به، وشاركهم سكان القرى المجاورة وآلاف من نابلس في مظاهرة حماسية تهتف باسم الأمير عبدالله الذي ألهب حديثه سكان فلسطين المحتلة الذين أخذوا يجددون البيعة والولاء والتأييد للمنظمة ورئيسها عرفات على مرأى ومسمع من جنود العدو الإسرائيلي الذين انتشروا للمحافظة على الأمن، واستعدادًا لما قد يحدث من جراء الحماسة الشديدة الملتهبة.

وبينا المظاهرات الحماسية تلتهب كبركانٍ غاضبٍ، وتهتف باسم ياسر عرفات جاءت سيارة تحمل وفدًا يمثل المنشقين يريدون أن يوجهوا المظاهرات لمصلحتهم، فإذا الجماهير تهتف بسقوطهم حتى تركوا السيارة التي أحرقها المتظاهرون.

أما طرابلس وضواحيها فقد اشتعلت حماسة وتأييدًا لياسر عرفات وانضمت إلى المتظاهرين الهيئات الإسلامية اللبنانية لطرابلس تؤيد عرفات والمنظمة تأييدًا مطلقًا، وشاركت في الدفاع عن أراضيهم ومن عليها من لبنانيين وفلسطينيين.

ومع أن مخيم البداوي ومخيم نهر البارد قد سقطت ضواح منهما إلا أن الموالين احتفظوا ببعض المداخل والتلال.

ولما شعر المنشقون ومن معهم من مؤيديهم بضعف روحهم المعنوية قذفوا إلى ميدان المعارك بقوى كبيرة عاتية أمطرت المخيمين والتلال المشرفة بسيل منهمر من القذائف والصواريخ، كما ضربوا طرابلس وضواحيها بنيران كثيفة أشعلت الحرائق، ودمرت منشآت الميناء مما اضطر رئيس بلدية طرابلس أن يوجه يوم السبت ١٥/ ٢/ ١٤٠٤هـ (١٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٣م) نداء إلى الحكومة اللبنانية والرأي العام العالمي يدعوهما إلى عمل كل ما يسعهم لإنقاذ مدينة طرابلس وبخاصة منطقة الميناء.

وفي الوقت الذي كانت نيران المنشقين تغطي مناطق القتال بالمخيمين وطرابلس والضواحي والتلال كان ياسر عرفات يزورها، يقوي الروح المعنوية في أفراد شعبه وجيشه.

ولم تفارق حكومة المملكة العربية السعودية الفتنة الباغية منذ بدايتها رجاء إطفائها وحقن الدم الفلسطيني واللبناني.

وسيذكر التاريخ العربي والإسلامي بل سيذكر التاريخ الإنساني موقف الملك فهد وولي عهده الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وموقف النائب الثاني الأمير سلطان بن عبدالعزيز من فتنة المنشقين ومن قبلها غزو إسرائيل للبنان لتقضي على الفدائيين الذين ينطلقون من أرض لبنان إلى الأرض المحتلة يهددون الغاصبين اليهود، ولتقضي على الوجود الفلسطيني في كل مكان مما نجمت عنه مجازر بيروت وصبرا وشاتيلا حتى استطاع الملك فهد أن يؤمن سبيل خروج المقاتلين الفلسطينيين وزعيمهم ياسر عرفات من بيروت إلى حيث المأمن المهيأ لهم على سفن تحمل علم الأمم المتحدة، وقد تكفل الملك فهد بدفع أجور تلك السفن.

وخير ما نختم به هذا الفصل إزجاء شكر العرب والمسلمين لخادم الحرمين الشريفين وقائد حركة العروبة والإسلام الملك فهد الذي بذل خير ما منحه الله من نعم في سبيل فلسطين وقضيتها وشعبها ونصرهم وتأييدهم.

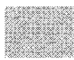
وتقول جريدة «الرياض» بالعدد (٥٦٦٢) الصادر في يوم السبت ٢٠ ربيع الأول ١٤٠٤هـ (١٤/١٢/١٩٨٣م) تحت عنوان «صحف القاهرة تبرز تحية عرفات لجلالة الملك فهد»:

«القاهرة:

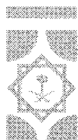
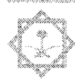
أبرزت الصحف المصرية أمس التحية التي وجهها السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز المفدى على دعم جلالته ومساندته في إنهاء الأزمة في طرابلس وحقن دماء الفلسطينيين.

كما أثنى السيد عرفات على مساعي صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية في الوصول إلى الاتفاق السعودي السوري الفلسطيني لوقف إطلاق النار».

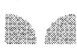


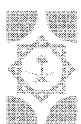
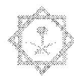




فهد ولبنان





فهد ولبنان

منذ بدأت الفتن تتلع بأعناقها في لبنان من جراء الأطماع الصهيونية والرأسمالية والشيوعية لتتخذ من أرض لبنان قواعد إطلاق الأطماع التي تخدم إسرائيل لتثبت وتوسع وتكون مصدر قلق وخطر على لبنان وما يحيط به من أقطار العرب وما وراء هذه الأقطار العربية من أشقائها.

وكلما أراد لبنان أن يفيء إلى الأمان ويعيد السلام إلى ربوعه اشتعلت الفتن فيشتد الصراع بل القتال بين من يسكنون لبنان، سواء أكانوا اللبنانيين أم من غير لبنان الذي يحوي طوائف وأحزابًا وفرقًا وشيعًا، فهناك مسلمون سنيون وشيعة، وهناك دروز، ونصارى، وهناك فلسطينيون ليكونوا على مقربة من وطنهم السليب، يؤرقون السالبين المغتصبين الذين يريدون أن يبعدوا الفلسطينيين حتى يجد المغتصبون الأمن الذي يكمن في أن يُستغل اللبنانيون المارونيون بمحاربة الفدائيين الفلسطينيين وضرب المسلمين.

وما يهم اليهود تمزق لبنان، بل هم يريدون لبنانًا ممزقًا يصارع كل مزيق الآخر، ويبقى لبنان مشغولًا بالصراع الطائفي والحزبي ليفقد كل أسباب الأمن والاستقرار، لأن في ذلك أمن إسرائيل.

وكانت المملكة العربية السعودية أسبق شقيقاتها إلى لبنان رجاء أن يبقى آمنًا مطمئنًا موحدًا كما كان، وكانت صلاتها برؤساء الطوائف والأحزاب أخوية، فكلما ثارت فتنة بين طائفتين بادرت إلى إطفائها، وما كانت هذه المبادرات السعودية لترضي إسرائيل دولة البغي والشر، فما تكاد السعودية تطفئ نارًا حتى تجد نيرانًا جديدة تشتعل هنا وهناك من أرض لبنان، فكلما

أطفأت السعودية نارًا أشعلت الصهيونية وحلفاؤها نيرانًا أخرى، حتى اشتعلت كل بقاع لبنان، وانقسم لبنان على نفسه انقسامًا، ونشبت حرب أهلية بلبنان سنة ١٩٥٨م، وبذلت السعودية جهدًا عظيمًا مباركًا حتى وفقت لإحلال السلام، وعاش لبنان بضع عشرة سنة في سلام حتى صار لبنان بلدًا مثلًا في الازدهار الحضاري، وانتقلت إليه رؤوس أموال عربية وغير عربية لوجود الأمن.

ولم يكن الأمن والاستقرار والازدهار ليرضي أعداء العرب من يهود وغير يهود فزرعوا في أرض لبنان الخصبة الفتن فبدأت بحرب بين حزب الكتائب والفلسطينيين ذهب ضحيتها مئات من القتلى من الفريقين.

ومنذ انهيار الأمن في لبنان برز الملك فهد بكل ثقله العربي والإسلامي والدولي رجاء إنقاذ المقاتلين الفلسطينيين وزعيمهم ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ومعه بعض القادة وإنقاذ أهل بيروت وأكثرهم من المسلمين.

وبقي الملك فهد منذ الغزو الإسرائيلي متنبهًا ليل نهار وبجانبه هاتفه حتى في غرفة نومه يستقبل في كل ساعات الليل والنهار المكالمات العربية والإسلامية والفلسطينية واللبنانية.

وكثرت اتصالات فهد الهاتفية مع البيت الأبيض الأمريكي ليحد من بغي إسرائيل حتى وفق جلالته لما قصد له، فقد ضمن لياسر عرفات وجيش التحرير الفلسطيني وقادته مغادرة بيروت آمنين، محفوظة لهم كرامتهم وعزتهم، كما ضمن لسكان بيروت الغربية الأمن.

ومع الغزو الإسرائيلي للبنان الذي لم ينته كان الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان، واشتد الصراع بين اللبنانيين أنفسهم، فعظمت التبعة على الملك فهد، وبذل النكيثة[1] ليعيد إلى لبنان الأمن وإلى اللبنانيين المتصارعين

(١) النكيثة: أقصى الجهد.

السلام والصفاء، فانعقدت مؤتمرات لم تعقب غير الخلاف يصحب كل مؤتمر، وكذلك ينتهي كل اتفاق لوقف إطلاق النار إلى مزيد من إطلاق النار.

ومع ذلك لم ييأس الملك فهد؛ لأن المصلحين يضعون في حسابهم كل إخفاق، ويؤثرون الرجاء على القنوط، وكلما تكرر الإخفاق واشتد، عظم منهم الإصرار على بذل الجهد الضخم التواصل.

كذلك كان الملك فهد يرى جهوده تبددها الأحداث الأليمة فلا يتدسس إليه اليأس الذي ينفيه عنه الأمل المتجدد، والعزم على إنقاذ لبنان من مكر الصهيونية وكيد الرأسمالية والشيوعية اللاتي أثرت في كثير من أحزاب لبنان وطوائفها ودفعتها للقتال الذي ما تكاد تنطفئ ناره حتى تضرمها أشد مما كانت، وهكذا دون أن يلحقها الفتور، لأن الشياطين لا تفتر أبدًا.

ولا شك أن أوضاع لبنان لا تُيسر له الأمن الذي كان قبل الحرب التي مر عليها حوالي عشر سنوات أو تسع، لأن ما كان الرماد قد ظهر، ومن الصعب القريب من التعذر أن تعود الحياة الطبيعية إلى ربوع لبنان إلا بمعجزة.

وتعدد القوى «المليشيات» والأحزاب والطوائف سبب صعوبة تحقيق الأمن والسلام في لبنان، لأن حياة أكثر هذه القوى تفقد حياتها بالسلام، فهي حريصة على الحياة التي تكمن في حالة الحرب، يضاف إلى ذلك إلف الدم، ومتى ألف الوحش الكامن في الإنسان الدم صعب عليه الصبر عنه.

ولكنَّ المصلحين لا ييأسون، بل يجدوهم - دائمًا - الأمل في تحقيق ما يرجون، والملك فهد من هذا الطراز، وفوق ذلك ميمون النقيبة، ما أراد أمرًا إلا يسره الله له، وجعل قلبه إنسانيًا عامرًا بالحب لبني الإنسان، وهذا سبب تعبه النفسي، واشتغاله بقضايا شعوب الأمة العربية والإسلامية.

ومنذ نشوب الفتن في لبنان والمملكة العربية السعودية معنية به،

وبقضاياه، ولا ينسى لبنان جهود الملك عبدالعزيز في سبيل استقلاله، كما لا ينسى وقوف المملكة معه كل عهودها، ولم يدخر عنه وسعها وجهدها ومعوناتها التي لا تحصى، ولم تقتصر هذه المعونات على طائفة دون أخرى، بل اتسعت لكل الطوائف.

واللبنانيون على اختلاف دياناتهم وميولهم يعترفون للملك فهد بجهوده العظيمة التي لا تنقطع من أجل إقرار السلام والأمن في كل لبنان، ومن أجل إنهاء النزاع بين المتنازعين، وتحقيق وقف إطلاق النار في كل ربوع لبنان، وإجراء الحوار الوطني رجاء الأمن والسلام.

وكثفت المملكة جهودها بحيث وجه الملك فهد وزير خارجيته الأمير سعود الفيصل كما وجه الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز سفير المملكة في واشنطن وأحد أقطاب الدبلوماسيين السعوديين الذي وفق لما انتدبه له جلالته إذ تحقق على يد سموه وقف إطلاق النار الذي أثمر اتفاقية سلام دائمة.

ويذكر القراء رحلات الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز المتابعة التي عرفت بالرحلات المكوكية بين دمشق وبيروت، وبلغ من توفيق الله له ومهارته أن الخيط الرفيع الذي يربط بين العاصمتين العربيتين لم ينقطع، لأن وسط الخيط كان بيد الأمير بندر، فإذا شدته دمشق أرخى لها وكذلك الشأن مع بيروت حتى رضيت العاصمتان وتم الاتفاق.

وعند انعقاد الدورة التاسعة عشرة لاجتماع وزراء الإعلام العرب بتونس التقت جريدة «المدينة المنورة» وزير الإعلام اللبناني روجيه شيخاني وأجرت معه حديثًا صحفيًا نشرته بالعدد (٦٠٤٤) الصادر في يوم الجمعة ٨ محرم ١٤٠٤هـ (١٤/ ١٠/ ١٩٨٣م) ومما قال الوزير اللبناني:

«لقد اجتمعت خلال وجودي هنا بالوفد السعودي المشارك في اجتماع وزراء الإعلام العرب، وعبرت له عن شكر لبنان للجهود التي بذلها جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز، وهذه المحبة التي يكنها جلالة الملك للبنان

تقدرها أعظم التقدير، وأنا شخصيًا مقتنع بأن جلالته لا يمكن أن يتدخل في موضوع غير مقتنع به، ولهذا فإن جلالته قد انطلق من المحبة للبنان ـ أولًا ـ ومن اقتناع جلالته بضرورة التوصل إلى الحل الذي تم التوصل إليه في لبنان، ولجلالته أجزل الشكر على ذلك».

وكل المسؤولين اللبنانيين يشكرون للملك فهد مواقفه الإنسانية والأخوية نحو لنبان ابتداء من رئيس الجمهورية أمين الجميل الذي يذكر على الدوام وبإخلاص مواقف الملك فهد، ودعمه المتواصل للبنان.

وإن اللبنانيين وعلى رأسهم الرئيس أمين الجميل يضمرون للملك فهد كل حب صادق وتقدير عظيم كما يعلنونهما دائمًا لجلالته، لأنه منزه عن المطامع، بل هو يعطي وكأنه الآخذ حتى ليصدق فيه قول أبي تمام: «كأنك تعطيه الذي أنت سائله».

ولما تعثر الحوار الوطني اللبناني، وتجدد الاشتباك في المحاور المتعددة، وكان يضيع في دوي القنابل والمدافع صوت السلام والمساعي الطيبة وجه الملك فهد نداء مؤثرًا إلى إخوانه اللبنانيين هذا نصه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إخواني أبناء الشعب العربي على أرض لبنان، أخاطبكم اليوم مجددًا باسم جميع ما يصل بيننا في المملكة العربية السعودية وبين كل فرد منكم على أرض لبنان وفي كل موقع نضال فلسطيني من روابط العقيدة والدم والعراقة واللغة والتاريخ، أخاطبكم من أعماق قلب عربي أدمته المأساة الأليمة التي حلت بأبناء الأمة العربية في أكثر من بقعة على صعيد المنطقة، ولعل من أكثرها خطورة وأشدها ألمًا في النفوس ما يحدث الآن في مدينة طرابلس وحول المخيمات الفلسطينية شمالي لبنان رغم قرار وقف القتال، وما يتكرر كل يوم في مختلف الجبهات اللبنانية من قتال عنيف ودمار ساحق مخيف، رغم الاتفاق اللبناني الشامل على وقف إطلاق النار.

أيها الإخوة: إن على لسان كل عربي يعيش اليوم في هذا العالم سؤال يتردد حتمًا كل صباح ومساء، سؤال حائر يتكرر: لماذا يقاتل العربي أخاه العربي ؟!

لماذا يراق الدم العربي بيد يجري في عروقها الدم نفسه ؟!

لماذا يحرق العربي أرضه، ويشتت أهله وينسف داره ؟!

ماذا نقول للعالم الذي يراقب صراع الأشقاء الدامي ثمانية أعوام في لبنان؟! وكيف نقنع دول هذا العالم بعدالة قضيتنا؟ وكيف نطالبه الوقوف معنا لاسترداد أرضنا وحقوقنا وأوطاننا إذا نحن لم نستطع أن نعدل بين أنفسنا لنصرة قضايانا؟!

أيها الإخوة في لبنان وعلى أرض القتال، لقد رأينا منذ أيام شعاعًا من الأمل يضيء الدروب أمامكم إثر وقف القتال والتقاء قادتكم لأول مرة منذ بدء المأساة على كلمة سواء بينكم عليها تجمعون، ومنها تنطلقون للبحث عن أفضل الوسائل للعيش في ظل وفاق وطني شامل، وأخشى ما أخشاه أن يضيع من أعيننا هذا الشعاع قبل رؤية الطريق السوي لمسيرة المودة والمحبة والصفاء على طريق الوحدة المتكاملة!

أيها الإخوة الأشقاء، أليس من الأجدر بنا أن ندَّخر شبابنا ونحتفظ بسلاحنا وقدراتنا وقواتنا لمواجهة أعداء الأمة العربية والإسلامية في معركة المصير بدلًا من أن يستدرجنا العدو الجاثم على صدورنا لاستنفاد طاقاتنا البشرية والآلية كي ينقض علينا بعد ذلك بحيث لا خيل لدينا ولا رجل.

إني أصارحكم اليوم بكل صدق ووفاء بأني لا أكاد أجد أي سبب أو دافع يبرر ما يجري الآن على أرض لبنان مهما كانت الأسباب والدوافع، بل لا أكاد أعتقد بوجود عامل خارجي يبيح للأخ سفك دم أخيه، ولنفترض جدلًا وجود عامل أو آخر فأين رجاحة العقل والدوافع؟ وأين الحكمة في وزن الأمور وضبط المشاعر وكبح جماح النفس برفض تلك العوامل

والدوافع مهما كانت أنواعها ومصادرها، فمن البطولة الأثرة في ساحات القتال، ومن أرقى مراتب القيادة إنكار الذات.

أيها الإخوة: هل نسينا العدو المتربص من حولنا؟ أم هل تناسينا نضالنا من أجل تحرير القدس وتطهير كل شبر من أرضنا في كل موضع دنسه العدو بأقدامه؟! لنا حقوق مشروعة يعرفها العالم بأسره فإن نحن أضعناها في خضم صراعاتنا وخلافاتنا وتمزقنا فكيف نطالب بها؟ ومن نطالب؟

أيها الإخوة، لا أخاطبكم اليوم من موقع مسؤوليتي كخادم الحرمين الشريفين فحسب، ولكني أخاطبكم بوصفي الأخ العربي الشقيق لكل فرد منكم، أشارككم الأفراح والأتراح، وأشاطركم الآلام والآمال، وأتطلع وإياكم إلى يوم النصر على خطى وحدة المصير، كما أوجه ندائي المخلص بعد ذلك إلى جميع زعماء وقادة الأمة العربة أن يبادروا لعمل فوري لوقف هذه المأساة الدامية التي كلما أوقفنا نزيف شريان منها انفجر فيها شريان جديد، وعلى أن نواصل جهادنا ونكثف جهودنا في غير ما يأس أو تهاون حتى يحقق الله آمالنا، ويسدد خطانا على طريق الخير لكل شعوبنا، والله وحده القادر على تأليف القلوب ومنه النصر وإليه المصير».

ووجد نداء الملك فهد لدى الأطراف المتنازعة في لبنان ولدى اللبنانيين بعامة آذانًا مصغية، وقد قابلتُ بعض الإخوة اللبنانيين في أوربا اطلعوا على نداء جلالته الذي نزل على قلوبهم بردًا وسلامًا تمنوهما لكل لبنان حتى يعود إلى أرضه كل لبناني أجبرته الحرب في لبنان على الهجرة يرجو الأمن، فإذا عاد الأمن إلى لبنان عاد مهاجروه إليه سعداء بهذه العودة المنتظرة بشوق.

وإن اللبنانيين - وبخاصة المهاجرين - يشكرون الملك فهد على هذه الروح التي تفشي نداءه الصادر من قلب جلالته الكبير.

وموجز ما يقال في ختام هذا الفصل أن مأساة لبنان التي ذكرها الملك فهد في ندائه الإنساني المؤثر والتي عصرت قلوب غير اللبنانيين حتى تفجرت حزنًا وألمًا نأمل أن تؤثر في قلوبهم المتفجرة بسيل الدماء وما تزال تتفجر، فما في لبنان لبناني إلا وهو يعزي في الأعزة المقتولين من قبل إخوتهم.

وما أروع قول الملك فهد الذي يعد نشيد قلب ينزف أو نشيج صدر يدوي:

«لماذا يراق الدم بيد يجري في عروقها الدم نفسه ؟!

لماذا يحرق العربي أرضه ؟ ويشتت أهله ؛ وينسف داره ؟!»

ألم يأنِ لهؤلاء أن يثوبوا إلى الرشد؟ نبتهل إلى الله أن يعيد على لبنان بشاشته وأنسه، ويعوضه عما فقد خيرًا منه.

هذا ما ترجوه المملكة العربية السعودية ملكًا وحكومة وشعبا للبنان.

وهذا هو رجاؤها لسوريا ولكل قطر عربي.

وإن المملكة العربية السعودية مدركة أن الساعي بالوساطة من أجل الإصلاح بين الأشقاء قد يلحقه بعض الأذى، ولكنه يصبر ويستمر على مساعيه رجاء النجاح، فإذا وجد أن مسعاه قد انتهى إلى سد يحول دون مواصلة المسعى فمن حقه أن يعلن وقْف المسعى حتى إذا زال سببه عاد.

ورأت المملكة أن مسعاها الخيِّر بين الشقيقتين: سوريا ولبنان لم يثمر ما ترجوه فاضطرت إلى تجميده، وعقد مجلس الوزراء جلسة طارئة تحت رئاسة جلالة الملك فهد؛ وذلك بعد ظهر يوم الأربعاء ٣٠ من ذي القعدة سنة ١٤٠٣هـ (٧ سبتمبر/إيلول ١٩٨٣م) وقرر مجلس الوزراء بالإجماع تجميد جهود المملكة للوساطة بين الأشقاء اللبنانيين والأشقاء السوريين ـ مضطرة ـ بعد أن لاحظت أن جهودها الخيرة في هذا السبيل لم تؤد إلى النتيجة المطلوبة، ولم تسفر عن الآمال المرجوة.

والمملكة العربية السعودية عندما رأت جهودها لم تثمر ما ترجو لم تسخط على أشقائها اللبنانيين وأشقائها السوريين، بل كانت على صلاتها الأخوية الطيبة مع أشقائها، راجية أن يكون موقف الأشقاء بعضهم مع بعض موقفًا أخويًا كريمًا.

وبرهان حسن نية المملكة مع أشقائها أنها تركت باب العودة إلى بذل جهودها مفتوحًا لهم، وتركت الخبرة لهم، فإذا كانوا في حاجة أو كانوا راغبين في وساطتها فهي مستعدة دائمًا لخدمة الأشقاء.

وما كاد بيان مجلس الوزراء السعودي يعلن موقفه، ويذيع بيانه حتى شعر الأشقاء بأن للمملكة العربية السعودية العذر بل الحق في تجميد جهودها، فناشد قادة لبنان وسوريا المملكة بالعودة، فتستجيب المملكة ويمضي حضرة صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز الممثل الشخصي للملك فهد بن عبدالعزيز صباح يوم الخميس غرة ذي الحجة ١٤٠٣هـ (٨ سبتمبر/ إيلول ١٩٨٣م) إلى دمشق، يستأنف مباحثاته تمهيدًا لمواصلة مساعي المملكة الحميدة لإنقاذ الموقف المتدهور في لبنان، وكان سموه يحمل رسالة من الملك فهد إلى الرئيس حافظ الأسد؛ وكانت الثالثة التي يتلقاها فخامته من جلالة الملك فهد خلال أسبوع، وسلم سموه الرسالة إلى يد الرئيس الأسد عند استقبال فخامته لسموه عصر يوم وصوله إلى دمشق، وتناول حديث الرئيس والأمير الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، والأوضاع في لبنان بعد التطورات الأخيرة بصفة خاصة.

ودل استقبال الرئيس الأسد للأمير بندر على سروره لعودة المملكة إلى استئناف جهود الوساطة التي تبذلها في إخلاص.

ومن الجانب اللبناني أصدر مجلس الوزراء اللبناني بيانًا عقب اجتماعه برئاسة الرئيس أمين الجميل يوم الخميس ٨ إيلول / سبتمبر ١٩٨٣م (غرة ذي الحجة ١٤٠٣هـ) جاء فيه: إنه كان قد تم التوصل نتيجة وساطة المملكة العربية السعودية ومساعيها يوم ٢٨ آب (أغسطس) الماضي (الأحد ٢٠ من

ذي القعدة ١٤٠٣هـ) إلى تحديد أربعة بنود تكون مدخلًا للاستقرار والهدوء من بينها: العمل على وقف إطلاق النار، وإعادة انتشار الجيش في بيروت الكبرى، ودخول الجيش إلى مناطق الشوف وعالية وبعبدا بالاتفاق مع الجهات المعنية عقب اجتماع شامل في يوم محدد يضم القيادات.

وجاء في البيان: أنه تم إبلاغ لبنان بموافقة الأطراف المعنية على هذه البنود، ولكن من المؤسف أن الجانب اللبناني فوجئ بنكسة في هذا المجال عبر عنها البيان السعودي الذي صدر عن مجلس الوزراء السعودي بتجميد وساطته نتيجة لخلفيات أرجأت الموقف.

وأضاف البيان: إن مجلس الوزراء اللبناني إذ يقدر المساعي السعودية المبذولة في هذا الإطار، واستمرارها في دعم الموقف اللبناني فإنه يعلن تصميمه على حق لبنان في سيادته على كامل أرضه.

وكرر مجلس الوزراء اللبناني دعوته إلى وقف إطلاق النار فورًا بين الأطراف المتقاتلة على الساحة اللبنانية، وتأكيد حق السلطة وواجبها في حماية أمن المواطنين، ووقف دورة النزف والاقتتال والتهجير.

وأهاب مجلس الوزراء اللبناني بجميع اللبنانيين التنبه إلى جميع المخاطر الجسيمة التي تنجم عن حالة الفراغ الأمني؛ وزرع بذور التفرقة وتعميق هوة التباعد.

وأكد بيان مجلس الوزراء اللبناني أن قوى السلطة هي البديل الحتمي لأي فئات مسلحة في المنطقة، وذلك للحيلولة دون أي مجازر، وحقن الدماء اللبنانية من أي اتجاه.

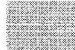
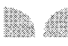
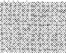
وناشد مجلس الوزراء اللبناني في بيانه جميع القيادات ومختلف القوى السياسية ادخار جميع الإمكانات، وتوفير الدم للدفاع عن الأرض المعرضة لتكريس الاحتلال، والوقوف صفًا واحدًا في وجه أي مخطط يهدف إلى تقسيم لبنان.

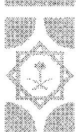
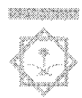
وبلغ اهتمام الملك فهد بأمر لبنان أقصى المدى بعد أن عادت المملكة إلى بذل جهودها لتحقيق السلام والأمن في لبنان، واتصل جلالته هاتفيًا بالرئيس اللبناني أمين الجميل مساء يوم الأحد ١٨ من ذي الحجة ١٤٠٣هـ (٢٥ سبتمبر ١٩٨٣م)، وأعرب له عن أمانيه بالتوفيق الكامل للبنان في ضوء اتفاق وقف إطلاق النار، ولشدَّ ما أبهج الرئيس اللبناني أن يسمع من أخيه الملك فهد أنه يضع كل إمكانات مملكته تحت تصرف لبنان لمساعدته على تخطي الأزمة التي تواجهه.

وكان وقع كلام الملك فهد في الرئيس اللبناني حسنًا جدًا، وعبر لجلالته عن شكره وشكر لبنان على جهود جلالته ومساعيه الحميدة التي يبذلها من أجل التوصل إلى وقف إطلاق النار مع لبنان، كما عبر فخامته عن سروره لنجاح الأمير بندر بن سلطان ممثل جلالته الشخصي إذ أثمرت جهود سموه عن التوصل إلى وقف إطلاق النار في لبنان.

وسُرَّ الملك فهد باستقبال أخيه الرئيس حافظ الأسد لممثل جلالته الشخصي الأمير بندر بن سلطان استقبالًا كريمًا أثمر نجاح مهمة سموه فاتصل جلالته بأخيه الرئيس الأسد هاتفيًا مساء الأحد ١٨/ ١٢/ ١٤٠٣هـ (٢٥/ ٩/ ١٩٨٣م) يشكره على جهوده المحمودة التي أدت إلى وقف إطلاق النار في لبنان، وإذا الرئيس السوري يقابل شكر جلالته إياه بشكر الرئيس الأسد لجلالته على مساعيه التي بذلها من أجل وقف إطلاق النار مع لبنان، كما أشاد فخامته بالأمير بندر بن سلطان الذي أثمرت جهوده الموفقة إلى وقف إطلاق النار في البلاد.

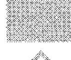
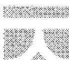
لقد كانت المسألة اللبنانية شديدة التعقيد، لكن الأمل في الحل يراود المصلحين.

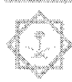




فهد ومذاهب الهدم







فهد ومذاهب الهدم

الملك فهد قارئ ممتاز، واسع الاطلاع والثقافة، ولهذا ألمَّ إلمامًا حسنًا بالمذاهب الأدبية والاجتماعية مثل الوجودية والماسونية والشيوعية، ولما كان للشيوعية دولة عملاقة تتبعها دول أخرى سيطرت عليها، وكانت بارعة في الدعاية والتضليل واجتذاب الشباب والعمال كان على الملك أن يحرس بلاده ومجتمعه من الشيوعية وأساليبها في خداع الناس، وقد حرسهما هو وإخوته من الملوك والأمراء من آل سعود حراسة لم تنفذ منها الشيوعية إليهما بفضل الله ثم بفضلهم وبفضل شعبهم المسلم الحق.

وكان من أعظم الناس فهمًا لخطر الشيوعية على الأديان والقيم والأخلاق والمزايا الإنسانية الملك فيصل ـ رحمه الله وأسكنه الجنة ـ فما كان بين حكام العالم عدو للشيوعية مثل الملك فيصل الذي درسها دراسة دقيقة، ووقف على أخطارها معرفة صحيحة، فانبرى لها على نطاق عالمي يفضحها فضحًا، ويدعو إلى مقاومتها بل إلى محاربتها، وتسخير كل قوى الشعوب للوقوف في وجهها رجاء القضاء عليها، وما كان أحد في العالم من الحكام في شجاعة الملك فيصل الذي حارب الشيوعية على الصعيد الدولي والنطاق العالمي.

وفي كل زياراته للبلدان التي دعته حكوماتها كان يعلن بصراحة عداءه للشيوعية الملحدة، ويحذر الشعوب والحكومات منها، ومن ذلك أن الحكومة البريطانية دعته لزيارتها فلبَّى، وكان في برنامج الاحتفاء بجلالته حفل عشاء تقيمه جلالة الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا تكريمًا للملك فيصل؛

وكان في وقت زيارته انتشرت دعوة إلى اجتماع الإسلام والمسيحية لمحاربة الشيوعية، ورحبت الملكة بالملك فيصل وافتتحت الحفل بكلمة رائعة رد الملك فيصل تحيتها بمثلها وقال في خطبته للملكة: يجمعنا وإياكم الإيمان بوجود الله، هذا الإيمان الذي يفرض على أهل الديانتين: الإسلام والمسيحية محاربة مذاهب الإلحاد التي تجحد وجود الله عز وجل. . . إلخ.

وكنت وما أزال الكاتب السعودي الأول والوحيد الذي سخر قلمه وكل نعمة أنعم الله بها عليَّ لمحاربة الشيوعية، وما أزال أحاربها حتى تكاتَّ عليَّ عبيد الشيوعية من العرب وغيرهم يحاربونني بكل عنف، ويختلقون عليَّ الأكاذيب، ولكن الله وهب لي من حوله وقوته ما يجعلني دائم الجهاد لها، غير مبالٍ بالسفلة من أتباع مذاهب الهدم ومن الفاسدين والمفدسين.

ولم يكن عداء الملك فيصل للشيوعية بسبب محاربتها للملكية، فما يغضب فيصل وإخوته لأن الشيوعية ضدهم بوصف كونهم ملوكًا، بل هم يحاربونها إخلاصًا لله وحده، إذ تجحد الشيوعية وجوده، والمحاربة في سبيل الله جهاد مقدس لا ينتهي من المجاهدين ما داموا أحياء.

وعندما أسند إلى الملك فهد وزارة الداخلية سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) كانت الشيوعية قد دخلت إلى المنطقة العربية، وصارت لها خلايا وأحزاب، كما تبادلت دول عربية التمثيل السياسي معها مما مكن لها أن تنفث سمومها في منطقة الشرق الأوسط، فكانت مهمة الملك فهد مهمة خطيرة وفقه الله لأن يضطلع بها فحرس مجتمعه وبلاده من الشيوعية والشيوعيين.

وقد قلت في مؤلفي «الشيوعية والإسلام»[١] بالمقدمة:

«والبلد الوحيد الذي لا تعيش فيه جرثومة الشيوعية لحظة واحدة هو البلد الوحيد الذي يرفرف عليه العلم السعودي، والبلد الوحيد في العالم

---

(١) الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م).

السالمُ من النشاط الشيوعي هو البلاد السعودية المقدسة التي حماها الله بفضله».

وطُهْرُ أرض الإسلام الأولى من جرثومة الشيوعية أمر طبيعي، إذ يقتلها الطهر الذي ضمنه الحاكم والمحكوم على السواء، فكل من في المملكة العربية السعودية حكامًا وشعبًا قلب واحد ويد واحدة في حراسة أرض الحرمين وما يتبعها من جرثومة الشيوعية.

ولا شك أن لجهود الملك فهد اليد الطولى في حراسة بلاده وحمايتها من الشيوعية وكل مذاهب الهدم، فلم يستطع أن يتسلل إليها شيء منها، لا الشيوعيون، ولا نشرات الشيوعية وصحفها إلا ما كان من الصحف والكتب لمن يريد تفنيدًا لمذهب الهدم وفضحه وبيان أخطاره.

والملك فهد من أعلم الناس بخطر الشيوعية، ولهذا وقف لها بالمرصاد يحمي بلاده وشعبه من أخطارها وسمومها، وهو يحذر منها منذ أن عرف حقيقتها، وهو وكل حكام السعودية كانوا أسبق الحكام العرب والمسلمين إلى أن الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات.

وما هذا السبق دعوى ندعيها لهم، فبلادهم وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة حرسهما الله وزادهما تعظيمًا وتشريفًا قد ازدحمتا منذ أكثر من ستين سنة باللاجئين من تركستان وبخارى وطاشكند، وسمعوا منهم أهوال الشيوعية، وأركانها الأساسية: إنكار وجود الله، وإنكار رسله ورسالاته، ومحاربة الإسلام وكل دين، ومحاربة المُلْكية (نسبة إلى المُلْك بضم الميم) وإلغاء المِلكية (بكسر الميم) الفردية.

وسمع الملك فهد منذ نشأته الأولى عن فظائع الشيوعية وحقيقتها، والإنسان بفطرته السليمة يمقت الشيوعية أشد المقت، فإذا كان الإنسان مسلمًا بلغ المقت والاشمئزاز والعداوة أقصى الدرجات.

ولو جمعت ما سمعت من الملك فهد في الشيوعية لكان ما أدونه من

أقواله كتابًا من مئات الصفحات، وقد جاء في مقدمة الطبعة الثانية لمؤلفي «الشيوعية والإسلام»[1] ما نصه:

«والأمير فهد بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية مثل أخويه العظيمين: الملك فيصل والأمير خالد في محاربة الشيوعية وحراسة حدودنا من تسللها، وهو دائم الحذر منها والتحذير عنها، ولا يفتأ يبصِّر الناس بحقيقتها وأخطارها.

وللأمير فهد مجلس عام في وزارة الداخلية قبل الظهر وفي منزله بعد صلاة المغرب يزدحم بالناس وفيهم من مختلف الجنسيات والحكومات، وجاء الحديث ذات مرة عن الشيوعية بمجلسه العام بالرياض في سنة (١٣٩١هـ) (١٩٧١م) فقال:

«قامت على وجه الأرض مذاهب ومعتقدات شريرة وباطلة، ولكن لم يتعامل الناس معها لأنها لم تكن لها دولة، فزالت من الوجود مع دعاتها وأتباعها.

أما الشيوعية فقامت لها دولة، فاضطر الناس إلى التعامل معها، وبذلك استطاعت أن تخرج من أرضها إلى أقطار الآخرين وتبث فيها سمومها، وتضلل كثيراً من أبنائها، وتحدث الفرقة والبلبة والاضطراب في صفوفها، وأوجدت الشيوعية لنفسها خلايا ومراكز وأحزاباً في داخل البلاد غير الشيوعية التي ترتبط مع الدول الشيوعية بعلاقات سياسية، والأحزاب الشيوعية جميعها يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عقائدياً وفكرياً، وليس من حقها الاجتهاد وتفسير النصوص، بل ذلك من حق الشيوعية الدولية التي تتخذ مركزها في موسكو أو بكين.

---

(١) صدرت الطبعة الثانية من بيروت سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)، ولكن الشاهد منقول من الطبعة الثالثة، بيروت ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) راجع ص ١١ ـ ١٣.

وفي الحروب التي خاضتها الأقطار أو في الحرب الكبرى الثانية كانت الأحزاب الشيوعية تتخذ موقفاً سلبياً مع حكوماتها الوطنية إذا كانت مصالحها غير متفقة مع مصالح روسيا.

وهذه الأحزاب أداة نسف من الداخل.

والعداء بين الشيوعية والرأسمالية عداء حياة أو موت كما تعتقد الشيوعية ولا ينتهي العداء إلا بإنهاء النظام الرأسمالي.

ولكن العداء ليس محصوراً بين هذين النظامين، فالشيوعية تعادي كل نظام وعقيدة يغايرانها، وتحاربهما بنفس الحقد والقسوة والقوة التي تحارب بها النظام الرأسمالي، وأعنف ضربة وجهتها الشيوعية لم تكن موجهة إلى النظام الرأسمالي، لأن له قوة مادية تقف في وجه الشيوعية، بل كانت موجهة إلى الإسلام في الدول الإسلامية التي احتلتها مثل بخارى وطاشقند والقرم والقوقاز، وفتكت بالمسلمين وقضت على الإسلام فيها.

والشيوعية طامعة في ضرب الإسلام في كل أقطاره، وبدأت بالحرب الثقافية والفكرية فأصدرت رسائل وكتيبات ملأتها بالطعن في الإسلام ورسوله الكريم محمد ﷺ لتشكك الناشئة المسلمة في دينها تمهيداً لتحويلها إلى الشيوعية.

ومن الغريب أن يثبت لكل أقطار العالم خطر الشيوعية عليها وحقدها ومعاداتها لها، ومع هذا تتعامل مع دول الشيوعية كما تتعامل مع مثيلاتها من الدول.

ولو أن الدول وقفت مثل بلادنا لما استطاعت الشيوعية أن تخرج إلى أقطار العالم غير الشيوعي وتزلزل قواعد الأمن فيه، وتتجسس عليه، وتنشر في الربوع الآمنة كل ما يهدد أمنها ومعتقداتها.

ونحن نحمد الله كثيراً على أن بلادنا سلمت من جراثيم الشيوعية بفضل الإسلام الذي لا يمكن أن تحيا على أرضه تلك الجراثيم.

والشيوعية ليست حرباً ضد مذهب أو دين أو بلد معين، بل هي حرب على الحرية والإنسان والعالم أجمع والديانات كلها، فيجب أن يقف كل العالم بكل نظمه ودياناته وأقطاره وحكوماته في وجه الشيوعية إذا أراد للإنسانية أن تحيا حياة كريمة آمنة».

وما قاله الملك فهد حق، فما في الأرض دولة مثل بلادنا تقف في وجه الشيوعية، ولو وقفت قبل استفحالها لما استطاعت أن تبرز وتصبح دولة عملاقة تهدد العالم.

وأذكر أن الفيلسوف البريطاني الكبير برتراندرَسِل كتب إلى كل من روزفلت وتشرشل عقب الحرب العظمى الثانية أن يبادرا إلى تخليص العالم من الشيوعية بضربها ومحوها من الوجود، فهذه فرصتهما، فالاتحاد السوفيتي مثخن بالجراح من ألمانيا، ومن السهل عليهما الآن القضاء عليه، وإلا فإن الشيوعية ستصبح دولة عملاقة كبرى تهدد العالم.

ولكنَّ الرئيسين الغربيين الرأسماليين لم يسمعا لكلام الفيلسوف البريطاني الذي أدرك مستقبل الاتحاد السوفيتي أكثر من السياسِيِّين القيادِيِّين اللذين أعطيا الشيوعية في شخص ستالين كل فرص القوة والجبروت.

وعادت الشيوعيةُ برتراندرسل عداءً شديد، لأنها علمت برسالته من قبل أصدقائها اليهود بمكتب كل من روزفلت وتشرشل.

وقد صدق الملك فهد عندما قال: «الإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقضي على الشيوعية، وإن أعداء الإسلام من غير الشيوعيين أضعفوا حركة الإسلام كما أضعفوا المسلمين... وبذلك مكنوا الشيوعية... إلخ».

وإذا عدنا إلى الوراء قليلًا إلى نهاية الحرب العظمى الأولى نجد من طلب الحلفاء المنتصرين أن يضربوا الشيوعية في روسيا، ولكن لم يُجْدِ النذير، وقد أشرنا إلى ذلك في بحث لنا بعنوان «الشيوعية وليدة الصهيونية».

ولكن الملك فهد فطن لأمر مهم لم يتنبه له غيره على الإنسانية ممن

كتبوا في الشيوعية وأسباب ولادتها، إذ نسوا أعظم الأسباب في ولادتها ونجاحها وهو ضعف الإسلام والمسلمين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلادي بسبب الدول النصرانية المستعمرة.

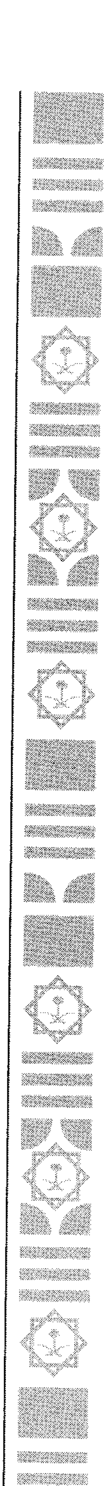
وأدرك الملك أسباب مولد الشيوعية في البلدان التي سيطرت عليها وهي: ضعف العقيدة الدينية، والظلم الاجتماعي، وفقدان الوازع الخلقي، وفوارق الطبقات إلى حد كثرة عدد أفراد الطبقة الفقيرة الكادحة المستعدة في سبيل المعدة قبول ما يعرض عليها ممن يملأ فراغها.

أدرك الملك فهد هذا، وأدرك أن الشيوعية تموت حتف أنفها عندما يرتفع مستوى العيش، وتيسير العمل للطبقة الكادحة الذي يكفي دخلها منه مطالب حياتها، ومع الإيمان الحق بقسَّام الأرزاق، وتهيئة فرصة العمل لكل فرد من الشعب.

في جو كهذا تختنق الشيوعية وتلفظ أنفاسها، ولهذا لم تستطع الشيوعية التسلل إلى بلادنا، ولم تستطع أن تغري أحدًا أو تحمله على اعتناقها إلا بضعة نفر ضلوا ثم هداهم الله فتابوا توبة صادقة نصوحًا مما يدل على أنهم لم يكونوا يؤمنون بها، وإنما دخلوها تظاهرًا بالتقدمية التي تدعيها، ومن اعتنق الشيوعية بوصفها دينًا لا يمكن أن يرجع عنها، فإن رجع عنها عاش حياته ملوث الدم والمعتقد، لأنهما إذا فسدا تعذَّر أن يطهرا إلا نادرًا جدًا.

والشعب السعودي كله معصوم بدينه من الشيوعية، لأنه مؤمن بربه وبرسله الذين منهم رسوله الأعظم محمد ﷺ، وهو يحب ربه ومحمدًا رسوله أعظم من حبه لوالديه وولده ونفسه، ومستعد للتضحية بنفسه جهادًا في سبيل الله، وإن الفقير السعودي الذي لا يجد قوت يومه الكامل لا يقبل الشيوعية بكل إغرائها الكاذب، لأنه بمجرد أن يعلم جحودها لوجود الله يلعنها ويستعيذ بربه العلي العظيم من كل شيطان رجيم.





نظام حكم
المملكة العربية السعودية



نظام حكم
المملكة العربيَّة السعُوديَّة

في أواخر شعبان من سنة ١٣٨٩هـ (نوفمبر ١٩٧٩م) كنت في زيارة لألمانيا الغربية بدعوة منها، وأعدَّت إذاعة صوت ألمانيا برنامج حوار يديره أحد كبار الإذاعيين الإعلاميين الألمان، وكان من أسئلته التي وجهها إليَّ هذا السؤال: ما نظام الحكم في البلاد العربية السعودية ؟ أهو ديمقراطي أم دكتاتوري؟ ويبدو لي أن نظام الحكم عندكم ملكي، والملك لديكم يملك ويحكم، وما أدري أهو ديمقراطي أم غير ديمقراطي؟

فأجبته: إن نظام الحكم عندكم في ألمانيا الاتحادية ديمقراطي ؟ وما رأيك في ديمقراطية بريطانيا. أهي ديمقراطية مَثَل؟

فقال: نظام الحكم في ألمانيا ديمقراطي، وديمقراطية بريطانيا مضرب مثل، ولا شك أن ديمقراطية بريطانيا أرقى مثال للديمقراطية.

وقلت له: إن الفارق كبير بين الديمقراطية حسب مفهومك وبين نظام الحكم في الإسلام الذي هو نظام الحكم في البلاد العربية السعودية، وأقرر أن نظام الحكم السعودي أرقى نظام حكم في العالم كله، قل لي: كم من أفراد الشعب الألماني يستطيع مقابلة المستشار الألماني ؟ وكم من أفراد الشعب البريطاني يستطيع مقابلة ملكته؟!

قال: آحاد بالنسبة للشعب.

وقلت: لا يقابل الملكة أو المستشار إلا رئيس الوزراء أو الوزراء؛ وبمواعيد سابقة، بل الوزراء لا يقابلهم أفراد الشعب، إذن، الحكام في

معزل عن الشعب، وتمثيل الشعب في البرلمان ليس من معانيه أن يستطيع الفرد من الشعب مقابلة منتخبه الذي يمثله في البرلمان ؟

فأجاب: لا.

قلت: هل عضو البرلمان المنتخب من قبل طائفة من الشعب خير أفراد الطائفة؟

قال: لا.

قلت: إذن، ليس كل أعضاء البرلمان خير أفراد الشعب خُلقًا وعلمًا وكرامة.

قال: ولكنهم منتخبون من الشعب الذي يعرف مصلحته فينتخب من يحققها له، ومهما كان في النظام الديمقراطي الصحيح من عيوب فهو خير - ألف مرة - من النظام الدكتاتوري أو نظام حكم الفرد؟

قلت: حقًا، إن نظام الحكم الديمقراطي خير من نظام الحكم الدكتاتوري ألف مرة، ولكنه ليس قاعدة أن يكون نظام الحكم الديمقراطي خيرًا من نظام حكم الفرد المبني على شريعة الإسلام.

وسأل عن صفات الحكم في بلادنا فأجبته: يبدو للناظر لأول وهلة أن نظام الحكم عندنا فردي، لأن على قمة السلطة الملك الذي يملك ويحكم، ولكن واقع الحكم في بلادنا إسلامي، وعدم وجود برلمان ليس معناه أن الحكم فردي دكتاتوري.

وقلت له: وهأنذا أصف لكل نظام الحكم في البلاد السعودي: يتربع على قمة السلطة رجل واحد هو الملك، بابه مفتوح لكل أفراد الشعب، ويجلس الملك خلال النهار والليل لجميع الناس سواء أكانوا من أفراد شعبه أم وافدين إلى بلاده أم مقيمين بها ثلاث مرات:

الأولى: في الضحى قبل أن يدخل إلى مكتبه للعمل.

الثانية: قبيل الظهر حيث يكون مستعداً للصلاة وبعد أدائها جماعة مع

موظفي ديوانه والمراجعين والزوار، ويدعوهم إلى الغداء على مائدته يشاركونه طعامه، ثم ينصرف إلى بيته ليستريح.

الثالثة: بعد صلاة المغرب يستقبل في قصره زواره، وبعد جلسة قصيرة يمشي إلى حجرة الطعام داعيًا زواره إلى مائدته، وبعد صلاة العشاء يمضي إلى مكتبه أو إلى جلسة مجلس الوزراء يرأسه فإن تخلف ناب عنه نائبه ومضى إلى قصره لدراسة المعاملات وتوقيع ما تمت دراسته من قبله.

وقلت: نظام الحكم مبني على الإسلام الذي لا تمييز فيه بين الحاكم والمحكوم، وهذا النظام مستغن عن البرلمان بالبديل الأصلح منه وهو أن كل فرد في الشعب متصل بالملك مباشرة وبدون «واسطة» يقابله متى أراد في الأوقات المخصصة للعموم، ويعرض عليه شكواه أو طلبه أو اقتراحه، فإذا كان بعيد الدار كتب إلى الملك رسالة تصل إليه ويقرؤها هو نفسه ويشرح على الرسالة ويوجهها وجهتها الرسمية، فالبرلمان في بلادنا متسع لكل أفراد الشعب السعودي المسلم، وما دام البرلمان مفتوحًا للشعب كله فما ثَمَّ حاجة إلى بضع مئات من النواب ينوبون عن أربعين أو خمسين مليونًا أو أكثر، ولا تظن أن حكم الفرد استبدادي، بل هو خير ديموقراطية على وجه الأرض، والملك نفسه ضامن الحريات لكل فرد، ويستطيع هذا الفرد أن يقابل الملك ويحاوره ويناقشه، وقد يعلو صوته على صوت الملك الهادئ دائمًا، ولا يعنف في الرد على أحد، وكل من يناقش الملك آمن من بطشه.

وذكرت له مواقف للملك الشهيد فيصل، وموقفين للملك فهد بن عبدالعزيز الذي كان حينئذ وزيرًا للداخلية وهما:

الموقف الأول: كان بمدينة الرياض في مبنى وزارة الداخلية، ومن عادة وزير الداخلية وكل وزير من الأسرة المالكة إذا حضر إلى الوزارة أن يجلس مجلسًا عامًا للناس من أي طبقة يسلمون عليه، ويعرضون ما لديهم من طلب أو شكوى، وكان بين قاصديه في هذا المجلس العام «أجنبي» قدم

إليه شكوى فحواها: أنه يعمل بالسعودية، ولديه إقامة نظامية رسمية، وقدمت أمه التي هو مسؤول عن الإنفاق عليها، ويرجو أن يسمح لها بالإقامة معه، فشرح له على «عريضته» بالسماح لها، لأن بقاء أمه في كنفه حق له ولها.

والموقف الآخر: تقدم فلسطيني في مجلس فهد الحافل بصنوف من البشر من علماء وأدباء وخاصة وعامة، واستأذن الفلسطيني في إلقاء كلمة فأذن له، وبعد أن حمد الله وصلى على رسوله الأكرم محمد ﷺ قال:

قدمت الرياض للزيارة ونزلت ضيفًا على أخ فلسطيني، وبينا أنا في محله التجاري في وقت الضحى قال لي: انتظرني حتى أعود إليك فأنا ذاهب إلى سمو الأمير فهد وزير الداخلية، فسألته: أبينك وبينه موعد سابق؟ فقال: لا، لا لزوم لموعد سابق، فصاحب الحاجة يستطيع مقابلة الوزير الأمير بدون موعد، لأن الأمير يجلس لكل الناس، وباب «قاعته» الكبرى مفتوح على مصراعيه، وسموه مستعد لأن يقابل أي زائر ما دام بمجلسه العام، فإذا دخل مكتبه فإن زائرة يكتب اسمه للحاجب للاستئذان، فقلت قريبي الفلسطيني: أمباح لمثلي أن يزور الأمير ويسلم عليه ؟ فقال: نعم، بل تستطيع أن تقابل الملك في أي يوم أردت، وجئت مع قريبي وأنا متردد حتى إذا حضرت وجدت سموكم وتشرفت بالسلام عليكم، فهنيئًا للشعب السعودي بحكامه الذين لا مثيل لهم... إلخ.

ثم امتد الحوار بيني وبين رجل الإعلام الألماني وأخذته الدهشة من نظام الحكم الإسلامي المتبع في المملكة العربية السعودية، وأدهشته ديمقراطية الملك والحكام والوزراء، واعترف أن هذه الديمقراطية تمتاز على كل ديمقراطية صحيحة في العالم، فهي ديمقراطية فريدة ورائعة.

وأذيع الحوار حيًا على الهواء بأربع لغات في وقت واحد: العربية، والألمانية والفرنسية والإنجليزية.

وكان من حظي أن الملك فهدًا كان في لندن في إحدى زياراته لها، وبينا هو يدير مؤشر المذياع سمع صوتي المألوف لديه فعرفه وأصغى للحوار ورضي أتم الرضا عما سمع.

وبعد انتهاء زيارتي لألمانيا أخذت طريقي إلى لندن وكلمت بالهاتف الصديق الشيخ عبدالرحمن الحليسي سفير المملكة بلندن حينئذ ليحجز لي بفندق سميته له، فاستقبلني وأبى فضله إلا أن ينزلني بالفندق ضيفًا عليه، وأخبرني أن الملك فهدًا موجود بلندن، وأنه سمع الحوار المذاع من صوت ألمانيا، وأعجب به.

ومضيت في اليوم الثاني من وصولي لزيارة الملك فهد بصحبة سعادة السفير السعودي، وما كدت أدخل غرفة الاستقبال حتى خف لاستقبالي، وما ترك يدي حتى أخذت الكرسي الذي على يمينه، وبعد الترحيب بي أخبرني أنه سمع الحوار، وشكر لي ما تحدثت فيه، وأبدى لي سروره به.

ومعروف تواضع آل سعود جميعًا، فإذا تولى أحدهم الملك ازداد تواضعه، وكان مجلس الملك فهد غاصًا بزائريه، وأخجلني ثناؤه عليَّ حتى بلغ فضله عليَّ أن قال لي: وجودك في لندن فرصة لعلاج عينيك، فشكرت لشخصه المحبوب فضله وقلت: لقد غبت عن أهلي طويلًا، ولا يمكنني أن أقدم على عملية بعيدًا عن أهلي، فقال ـ مد الله في عمره ـ: الآن أطلب لك أهلك وكلمهم، وسيجدون التذاكر بمطار جدة، وبقية الأشياء لدى سعادة السفير الأخ عبدالرحمن، وأمره جلالته ألا يتركني وأن يصحبني إلى طبيب العيون فورًا، وسأل السفير عن الطبيب فإذا هو مسافر في إجازة خارج لندن، ولن يعود قبل عشرين يومًا على الأقل، وسرني ذلك، فحنيني إلى الوطن (مكة المكرمة حرسها الله) لا يطفئه إلا سرعة العودة.

واشترط جلالته ليسمح لي بالعودة أن أعود إلى لندن للعلاج، وذكر أنه سيعود إلى الرياض بعد أيام قليلة، ورجاني أن أتصل به هاتفيًا أو بالبريد ليهيئ لي ما أحتاج إليه، فوعدته شاكرًا، وودعته إلى لقاء.

ها هو ذا مليكنا المحبوب المفدى فهد بن عبدالعزيز، وكذلك إخوته أبناء عبدالعزيز، كلهم منار هدى ومعين خير وصلاح.

وأعود إلى نظام الحكم السعودي لأقول فيه كلمة موجزة، فما سبق لي قوله لرجل الإعلام الألماني لم يكن إلا من زاوية الديمقراطية التي يفهمها، والكلمة التي أدونها - الآن - للتاريخ:

عندما قرر الملك عبدالعزيز التوجه إلى مكة المكرمة ليتسلم زمام الحكم فيها بعد أن تسلم رجاله مكة المكرمة ودخولها سلمًا، وجه خطابًا قال فيه:

«إني مسافر إلى حرم الله، لا للتسلط عليه، إني مسافر لبسط أحكام الشرعية وتأييدها، فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع، ويجب أن تُطأطَأ له جميع الرؤوس».

وعندما دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة طائعًا بلباس الإحرام وجه إلى أهل مكة المكرمة بخاصة وإلى الناس بعامة وذلك قبل ستين عامًا كلمة جاء فيها ما نصه:

«إن صدور التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله، ومما جاء عن رسول الله ﷺ، أو ما أقره علماء الإسلام عن طريق القياس وأجمعوا عليه مما ليس في كتاب أو سنة».

هذا هو دستور الحكم في المملكة العربية السعودية وهو القانون، ولا يمكن أن يُحكم في بلاد ابن سعود غير شرع الله عز وجل، وقد التزم ابن سعود بما كان أعلنه عندما فتح الرياض واستردَّ ملك آبائه في صباح يوم الرابع من شوال سنة ١٣١٩ هـ إذ كانت الكلمة الأولى التي انطلقت من فمه هي «الحكم لله»، وأعلن أنه لا سلطان إلا لشرع الله وحده.

وحرص على هذا حتى انتقل إلى رحمة الله في يوم ١٢ من ربيع الأول ١٣٧٣هـ وجاء إلى الحكم ابنه الملك سعود بن عبدالعزيز ثم الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز، فالملك خالد بن عبدالعزيز رحمهم الله جميعًا ثم تولى

الأمر الملك فهد بن عبدالعزيز فكان منهج الحكم في المملكة العربية السعودية هو منهج الإسلام الحق الذي اتبعه والدهم مؤسس الدولة السعودية الملك عبدالعزيز.

وكان كل من تولى الملك من أبناء عبدالعزيز يؤكد أشد التأكيد أن منهج الحكم الذي لا يمكن أن يتغير هو منهج الإسلام، ويجدد التأكيد، فلما تسلم الملك فهد أزمة الحكم اتبع شرع الله في كل صغيرة وكبيرة، وأعلن في كل مناسبة تمسكه بعقيدة الإسلام، بل بلغ من إيمانه بها أن يعزو إلى التمسك بها كل نجاح أصابته دولته، ولهذا يردد دائمًا في خطبه وينصح الشباب والطلاب بأن يتمسكوا بالإسلام حق التمسك، بل هذا ما يردده مع كل فئة من الناس، وينتهز كل فرصة لتكراره، ومن ذلك أنه كان في رحلة تفقدية إلى المنطقة الشرقية، وجاء آلاف المواطنين ومئات من رجال الأمن للسلام على جلالته فقال[١]:

«إن عقيدتنا الإسلامية هي منهجنا القويم، ومصدر صلاحنا، وحصننا من كل المصائب والأخطار التي قد تلم بنا، وإن أوضاع منطقتنا العربية الراهنة تشير إلى حاجة هذه الأمة إلى العودة إلى هذه العقيدة، وتلمس فيها الخلاص من كل الكوارث والمصائب والأزمات التي تمر بها، وعلينا جميعًا أن نتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن نعمل في إطار الشريعة السماوية العظيمة».

وعندما قدم جلالته ميزانية الدولة التي بدأت بشهر رجب سنة ١٤٠٣هـ إلى نهاية جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤هـ أكد للعالم أن ما تنعم به المملكة العربية السعودية من سعة في الرزق وتقدم حضاري عظيم مرده إلى تمسكها بكتاب الله عز وجل وسنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

---

(١) كان ذلك صباح يوم الاثنين ٣/ ٦/ ١٤٠٤هـ (٢/ ٣/ ١٩٨٤م).

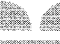
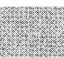
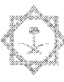
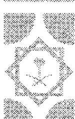
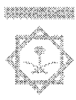
وانتهز جلالته هذه الفرصة وقال في خطبته:

«إخواني، إن كل ما ورد ذكره هو في الواقع ينبع من شيء أساسي هو تمسكنا بعقيدتنا الإسلامية، إن العقيدة الإسلامي هي الخير والبركة، والالتفاف حولها هو الأساس والقاعدة الأساسية والمنطلق لهذه البلاد التي أنعم الله بها عليها بالاستقرار وجعلها مهبطًا للوحي وللرسالة العظيمة التي أنزلت على محمد ﷺ، وجعل هذه البلاد وأهلها قدوة للإسلام والمسلمين من ذلك التاريخ إلى هذا التاريخ، وسوف تسير هذه الدولة بحول الله على القاعدة الإسلامية الشرعية، لن تخالفها أبدًا، لأنها قاعدة سمحة، فلم تأمر بشيء إلا والخير فيه، ولم تنه عن شيء إلا والشر فيه، لذلك هذه القاعدة الصلبة التي تمكن بحول الله الدولة أن تسير مثلما سارت في السنوات الماضية على أسس وقواعد ثابتة، وأرجو أن يوفقنا الله جميعًا حكومة ومواطنين لما فيه خير الإسلام والمسلمين وعزتهم».

وما من خطبة خطبها الملك فهد في بلده أو في أي بلد غير بلده بل حتى في أوربا وأمريكا كان عظيم العزة والفخر بدينه، ويعلن اعتزازه وافتخاره بلسان حاله وقوله وفعله، ويعلن على الملأ إسلامه وتحكيمه شريعته السمحة الغراء، وليس له ولا لحكومته ولا لشعبه شريعة سوى شريعة الإسلام التي هي شريعة الله التي ارتضاها لكل عباده المؤمنين.

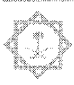
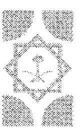
بل ما من يوم يمضي عليه في مكتبه ويقابله من يقابلونه من أفراد شعبه أو غيرهم إلا أفصح قوله وفعله عن تمسكه بشريعة الله: شريعة الإسلام؛ وتحكمه إياها في نفسه قبل غيره تم تحكيمه في كل أمر من أمور الدين والدنيا.

ونخلص مما تقدم إلى أن نظام حكم الملك فهد هو شرع الله الحق، ولهذا كان نظام حكم جلالته خير نظام حكم في العالم دون استثناء، بل هو على الإطلاق والتعميم.

فهد العربي والمسلم




فهد العربي والمسلم

نعم، إن الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية يجمع في شخصه خير خصائص الجنس العربي، كما تجتمع في شخصه خير صفات المسلم الحق، ولهذا كان فهد قائد حركة العروبة والإسلام دون منازع.

وقد شعر زعماء العرب والمسلمين بكبارة فهد واستحقاقه إياها استحقاقًا يكاد يكون إجماعًا آيته ترددهم عليه، واستشارتهم إياه، واسترشادهم برأيه، واستشفاؤهم بتأييده.

وعندما يقع قُطر شقيق في أزمة أو مصيبة اعتصم حاكمه بفهد بعد الله، وما أكثر ما رأينا حكام العرب يزورونه دائمًا لأنه كبير العرب طرًا، كبيرهم بخلقه وفضله، وعلمه وعقله، وخلائقه ونبله.

وسبب كبارة الملك فهد لا يعود إلى المُلْك، لأن المُلك صفة غير ثابتة ولا دائمة، وإنما كبارته ثابتة في شخصه، فهو - كما قلنا - يجمع في شخصه خصائص الجنس العربي، فترى كل خصيصة منها في فهد أكبر وأجل.

واشتهر الجنس العربي بالكرم، فما من عربي إلا كان كريمًا، وما أعظم كرمه وما أكثر «الحاتميين» في العرب! ومع هذه الكثرة لا يذكر كريم باسمه، ولا يشار إليه بالبنان، ولا يُضرب المثل في الكرم بمثل فهد ومن سبقوه في حكم المملكة العربية السعودية من إخوته الذين ورثوا جميعًا من أبيهم هذه الصفة وهذه الشهرة.

ويعرف كثير من القراء أن بعض حكام العرب يقدمون الألوف ومئات الألوف والملايين لقيام ثورات أو انقلاب على حاكم، ولكن القراء لا يسمّون هذا النوع من البذل كرمًا، ولا صاحبه كريمًا.

أما فهد فهو كريم بطبعه الموروث، يعطي الملايين ومئات الملايين كما يعطي البلايين عونًا لمن يعطون تخفيفًا من كارثة طبيعية، أو تعميرًا لما تهدم أو لما خربته الحروب كما حدث للبنان، إذ أعطى جلالته بسخاء وأريحية لكل طوائفه وزعمائه مواساة لهم وعونًا على البر، كما سبق لجلالته أن أعطى تركيا وبنجلاديش، ولو جمع ما قدمه الملك للشقيقات العربيات والمسلمات لبلغ عشرات البلايين من الدولارات.

وما قدمه لم يكن لغرض، بل كان خالصًا من كل شائبة، فلم يشترط قط شرطًا فيه مصلحته أو مصلحة آل بيته أو شعبه، ومن يتلقون هذه المعونات من الملك فهد أو من أي فرد من آل سعود يشعرون أنه ليس وراءها أي غرض شخصي أو نفع ذاتي لهم.

أداء الصلاة جماعة عادة ما تركها قط، فالإنسان الذي يحرص على أداء صلاة الفجر جماعة في البرد والمطر الشديدين يحرص على الصلوات الأخرى أكثر، فالملك فهد يؤدي صلاة الظهر جماعة مع موظفي الديوان الملكي ومن يكون فيه من المراجعين، ويؤدي صلاة العصر في مسجد القصر، والمغرب في متنزه، ثم يعود إلى قصره بعد صلاة المغرب ويجلس لمن يزوره، ويتعشى معهم على مائدته، ثم يصلي العشاء جماعة، ثم يمضي إلى مكتبه بقصره يراجع المعاملات التي ترسل إليه لتوقيعها.

وما أظن حاكمًا عربيًا أو مسلمًا يحرص حرص الملك فهد على أداء صلواته في أول وقتها جماعة، وهو في ذلك وفي التدين بصفة عامة وفي أداء فريضة الصوم فرضًا ونافلة أكبر أمثاله وأحرص.

وإسلام الملك فهد إسلام حق لا يفارقه ألبتة، فهو معه في أوربا

وأمريكا، وفي البيت الأبيض الأمريكي، وفي قصر بكنجهام الإنجليزي، وفي قصر الإليزيه بباريس، يلبي دعوات من يدعونه من رؤساء الدول العظمى ويعلمون تدين الملك فهد وتمسكه بدينه تمسكًا شديدًا، ولهذا لا يقيمون الحفلات الساهرة التي تصحب حفلات العشاء وتحضرها النساء بملابس السهرة الفاضحة، وتسيل الخمور بغزارة، بل يكتفون بحفلات العشاء النظيفة حيث لا خمر ولا نساء.

وهذه خصيصة تفرد بها الملوك والأمراء من آل سعود، واشتهروا بها، وعرفت الدول ذلك عنهم فحرص رؤساؤها على مجاملتهم، لأنهم هم الذين يدعونهم، ويحرص المضيف الداعي على إرضاء ضيفه ومجاملته وعدم إحراجه أو إزعاجه.

وهذه الخصيصة التي تدل على حرص الملك فهد على دينه في ظعنه وإقامته، وفي بلده وبلد غربته على ما أمره به دينه ونهاه عنه لا يتجاوز أمره ونهيه إلى اتخاذ المنكر أو الرضا عنه بالسكوت تجعله أكبر عربي وأكبر مسلم دون خلاف أو نزاع.

وما من خليقة فاضلة طيبة عظيمة وكبيرة في حاكم عربي أو مسلم إلا وهي في فهد، وهي فيه كذلك حتى مع كل حكام الأرض في زمننا هذا، وطبيعي أن يكون كذلك ما دامت «الأفضلية» مقررة له مع حكام المسلمين والعرب.

ونجد الملك فهدًا في الشجاعة أبرز معاصريه من الحكام وأكثرهم شعورًا بالأمن في تنقلهم وغدوهم ورواحهم فما أحد يزاحم فهدًا في هذا، ويؤكد شجاعة فهد موقفان يتخلع فيهما قلب الشجاع البهمة، فعندما اغتيل الملك فيصل ـ رحمه الله وأسكنه الجنة ـ لم يكن الملك فهد ساعة الحادث في الديوان الملكي مع أخيه الملك، وإنما أخبر هاتفيًا ساعة وقوعه فأسرع إلى حيث كان الاغتيال وهو لا يعلم أي شيء غيره، أسرع إلى سيارته

وقادها إلى الديوان الملكي الغارق في الاضطراب، ودخل إلى الغرفة التي اغتيل الشهيد فيها، وتولى مع الملك خالد الأمر وضبطاه ضبطًا.

لا شك أن هذا الموقف الرهيب يغم العقل والإرادة ويطيش فيه حجا الحكيم، ولكن شجاعة فهد دفعته إلى أن يطير بسيارته إذ لم يكن لديه وقت يضيعه في استدعاء سائق سيارته؛ ولهذا قادها وهو يبادر إلى المجهول يجابهه وحده، وما كان يصل ويعلم بالحادث حتى ازدحم الديوان بإخوته وبمن علم من آل سعود.

والموقف الآخر: حادث احتلال المسجد الحرام في فجر غرة المحرم من سنة ١٤٠٠هـ حيث احتل جهيمان ومن معه من عصابة وأغلقوا أبواب الحرم لينفذوا غرضهم، وكان فهد وأخوه الملك خالد وبقية إخوتهم وأولادهم في الحجاز موزعين بين مكة وجدة، فما كاد فهد يعلم بالحادث دون أن يعرف أحد أي شيء عن الحادث أو عن دوافعه وأسبابه وعن حجم المؤامرة، وإن كان إغلاق أكثر من ستين بابًا من أبواب الحرم التي تشبه في ضخامتها أبواب حصون القرون الوسطى في أوربا يوحي بكثرة العدد إلا أن الملك فهدًا كان في نفسه الكبيرة جيشًا - كما جاء في شعر المتنبي - ولهذا خرج إلى مكة المكرمة يطمئن أهلها وحجاج بيت الله الحرام الذين ازدحمت بهم مكة أسواقها وشوارعها وبخاصة المحيطة بالحرم.

هذه شجاعة نادرة من فهد، إنها شجاعة منقطعة النظير، وقد يقول قائل: أليس تهورًا مبادرة إلى المجهول لا يدري ما وراء هذا الحادث؟ ألا يجوز أن الشعب مع من احتلوا الحرم؟

ونجيب أن الشجاع الحق مرهوب السطا ممن يعرفونه، ومع هذا فهو آمن من شعبه ومن ولائه الصادق له، وقد تحقق له عندما دخل مكة المكرمة حرسها الله التف به أهلها التفاف من يفديه، فهم مثله لا يقبلون في حرم الله إلحادًا من أحد، فهم جميعًا على الملحد فردًا كان أو جماعة.

فشجاعة فهد وثقته في أفراد شعبه دفعتاه إلى ذلك الإقدام الموصوف به كل شجاع مثل فهد.

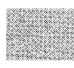
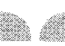
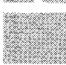
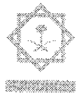
ويمتاز الملك فهد بقلبه الإنساني الكبير الذي يسع العرب والمسلمين سعة لا نجدها في أي حاكم من حكامهم، ولا أستثني حاكمًا، ففي حوادث الطوفان التي تكررت في بلاد البنغال (بنجلاديش) لم يبادر إليها غير الملك فهد بالمواساة الحقة والعون المالي الكبير تبرعًا من جلالته بلغ مئات الملايين، وكذلك زلزال اليمن الشمالي الشقيق لم يبادر أي حاكم عربي أو مسلم بالمال هبة شقيق لشقيقه غير الملك فهد الذي وهب لليمن مئات الملايين، بل بلغ ما قدمه جلالته من الهبات التي ساعد بها بعض الأقطار العربية والإسلامية خلال سنة واحدة حوالي ألفي مليون من الدولارات الأمريكية.

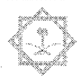
وما من أحد من حكام العرب قدَّم للبنان من الأموال ما قدمه الملك فهد له إذ تجاوز ما قدمه جلالته أكثر من بليوني ريال.

والملك فهد أكبر عربي ومسلم بين الحكام في بناء المساجد والمدارس والمستوصفات، وبلغ عدد المساجد التي أقامها في مختلف بقاع الأرض بضعة آلاف عدا مئات المساجد التي أكمل بناءها على حسابه، وهذا عدا مئات المساجد التي رممها على نفقته، بنى في مختلف بقاع العالم مئات المدارس وعشرات المستوصفات الطبية، وجلالته مستمر في وجهته هذه حتى ليكاد يبني كل عام من المساجد والمدارس والمستوصفات ما مجموعه بضعة آلاف، وهذا كله عدا ما يقدم جلالته من مساعدات سخية للجمعيات الخيرية والعلمية والثقافية والدينية كل عام ما يبلغ مئات الملايين من الريالات.

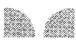
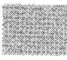
وحسبنا هذه الكلمة الموجزة إذ لو أردنا الأسهاب لوسعنا أن تضاعف القول الحق فتتضاعف هذه الصفحات بضع مرات أو أكثر.

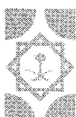
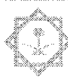




فهد الأديب



فهد الأديب

يمتاز كل آل سعود بخصائص كريمة منها الفصاحة، ومن خير آل سعود: آل الملك عبدالعزيز ذكورًا وإناثًا، فهو وآله يمتازون بالفصاحة والبلاغة وحسن التبعية إذا كتبوا أو تحدثوا، وما العهد ببعيد عن الملك الشهيد فيصل رحمه الله، فقد كان خطيبًا يؤثر في سامعيه سواء أكانوا أدباء أم علماء أم وزراء أم ملوكًا أم عامة، وسمعناه وهو يخطب في الجماهير فأثر فيهم ببيانه الرائع.

وكذلك الملك فهد فصيح اللسان والقلم، يؤثر فيمن يتحدث إليهم بأسلوبه المشرق وبيانه الرائع، وكذلك إذا كتب، وميزته الإيجاز المحكم خطابًا أو كتابًا، وكانت لديَّ منه بضع رسائل رائعة بخطه، وتفقدتها بين أوراقي ففقدتها، ولكن في مقدمته التي كتبها لصحاح الإمام الجوهري الذي حققته، والمقدمة التي كتبها لكتاب «التعليم في المملكة العربية السعودية» تأليف الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع غِناء، كما أن فيما نشر له من أحاديث صحفية أو غير صحفية ومن خطب، ومن حوار غِناء، أيَّ غناء.

والملك فهد بن عبدالعزيز أديب مطبوع ذو مواهب ثرة، صافي القريحة، صاحي المكلات، أديب حين يكتب، وأديب حين يتحدث، ولو دُوِّن حديثه لكان أدبًا رائعًا، ونثرًا رائقًا، وما يكتب أو ما يتحدث ذو أسلوب مشرق جميل.

ولما كان الأدب هو التعبير الجميل عن الشعور، أو التعبير الجميل عن التجارب الشعورية فإن تعبير الملك فهد - إذا تحدث أو كتب - جميل

يجتذب السامع أو القارئ جمال تعبيره، وسعه أسلوبه، وسلامة كلامه من حوشي الكلم، بل يتجنب في كلامه من الألفاظ مالا يفهمه معناه سامعه إلا بإجهاد كالرجوع إلى المعاجم اللغوية الكبيرة التي لا يفوتها ذكر معاني الكلمات الحوشي والغريبة والمتعلقة وما دفنه الزمن لتنزه ألسنة البلغاء وأقلامهم عن استعماله مع صحة وروده عن أصحاب اللغة الأصلاء.

ومع أن العربي الأصيل فهد بن عبدالعزيز ليس بخالي الذهن عن الحوشي والغريب، وإن كانت الذاكرة لا تخلو من ألفاظ غامضة المعنى لا يستعملها هو نفسه وإن كان يفهم معانيها إذا وردت في قصائد الشعراء وخطب الخطباء ممن يود بعضهم أن يتظاهر بثرائه اللغوي باستعمال ما غمض معناه، وبالتكلف في استعمال ما ينبو عنه السمع، وليس معنى هذا تحريم الفصيح على أهله، وإنما أخذ ما يعرف في البلاغة بمقتضى الحال في الاعتبار، فلقد قالوا: لكل مقام مقال.

ولما كان ملوك المسلمين الذين يملكون ويحكمون كملوك بلادنا متصلون بعامة الناس فهم حريون أن يجعلوا ما يستعملون من ألفاظ في مخاطبة الجماهير مفهوم المعنى، حتى يصبح توخي الوضوح ديدنهم، وهو وضوح مسلوك في سمط البلاغة والفصاحة، ومن السهل الممتنع، لأن السهولة ليست بعيب، وإنما هي من المزايا.

واصطناع الشاذين التقعر والتشرق في الكلام، وتكلف استعمال الحوشي من الألفاظ ليسا ببرهان على الطبع الحسن والذوق السليم، لأن أبلغ البلغاء محمدًا ﷺ وأعظم العرب ثراء في متن العربية حتى تفرد دون سواه في الإحاطة باللغة العربية إحاطة تامة لا ثاني له فيها من البشر.

ولقد اطلعت على توقيعات[1] للملك فهد حينما كان وزيرًا للمعارف

---

(١) التوقيعات: ما يعلقه الرئيس ملكًا كان أم وزيرًا على طلب أو معاملة برأيه في جملة وجيزة، وكان الملك فيصل رحمه الله من أبرع أصحاب التوقيعات، وكذلك الملك فهد.

ووزيرًا للداخلية ذكرتني بتوقيعات أمراء البيان في العصر العباسي ممن شغلوا منصب الوزارة، وتذكرت توقيعًا رأيته علق به على رسالة امرأة متعاقدة تذكر فيها أن زوجها قدم معها محرمًا وترجو أن يبقى معها، لأن النظام يفرض عليها أن يكون معها محرم أو زوج، ولا محرم لها إلا زوجها الصادر بحقه أمر إبعادٍ من المملكة.

وحقًا، فإن كل متعاقدة غير سعودية للعمل بالمملكة لا يتم التعاقد معها إلا أن يصحبها زوج أو محرم، فقدم مع تلك المرأة زوجها الذي اقترف إثمًا عقابه الإبعاد عن المملكة، وسجن تمهيدًا لإبعاده، فتقدمت زوجته بتلك الرسالة التي ترجو فيه إبقاء زوجها لأنه قدم معها بعقد مع الحكومة ممثلة في رئاسة تعليم البنات، وهي ترجو «إلغاء» أمر الإبعاد ليبقى معها، لأن الزوجين قدما معًا للإقامة معًا، فهما متلازمان.

هكذا احتجت المرأة فكتب الملك فهد بخطه هذه الجملة أو هذا التوقيع الذي نصه: «تضم لزوجها» فنُفذ أمره، وعادا معًا كما قدما معًا؛ لأنهما متلازمان كما احتجت.

وأحيانًا يكون توقيع فهد آية من كتاب الله أو حديثًا لرسوله الكريم محمد أفضل الصلاة وأزكي التسليم، فقد اشتكى إليه رجل جاره الذي يؤذيه فوقع على شكواه بحديث شريف يذكر به الجار الذي يؤذي، فإن رجع عن أذاه وإلا ساءت عقباه، وكان التوقيع: «قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه»، وكان المشكو في حقه رجل علم، فلما أحضرته الشرطة وقرئ عليه أمر فهد ثاب إلى رشده، وأمن جاره بوائقه.

ورسائل الملك فهد إلى من يكتب إليهم رسائل بليغة كنت أحتفظ برسالتين له جوابًا على رسالتين بعثتما إليه، وتفقدتهما بين أوراقي ففقدتهما.

كنت قد أسست مطبعة كبيرة، عُدَّت في وقتها أحدث مطابع المملكة، وما أسستها إلا لأنني ملكت امتياز جريدة، واشتُرط عليَّ أن أحضر لها

مطابع خاصة بها، وأُعطيت مهلة سنة، فأسست المطبعة فإذا الحكومة تلغي امتياز الأفراد، وقررت أن ينتقل امتياز الجريدة إلى مؤسسة تملكه، فانتقلت ملكية جريدتي «عكاظ» إلى مؤسسة أنا منشئها، ثم تركت عكاظ لأسباب خاصة.

وكتبت إلى رئيس مجلس الوزراء الملك فيصل لأن تأسيسي المطابع كان بسبب الأمر السامي الذي جعل في صلب منحي الامتياز طبع جريدتي بمطابع خاصة بها، فلما نفذت الأمر وأحضرت المطابع سُحب مني الامتياز، فما دام الامتياز وتأسيس المطابع متلازمين فإن من حقي أن تبقى الجريدة والمطابع معًا، أو تنتقلا إلى المؤسسة معًا بالثمن المدفوع للمطابع بموجب «الفواتير».

وكان الملك فيصل ـ رحمه الله ـ والملك فهد ـ مد الله في عمره ـ يحبان لي الخير، فرأيا أن تبقى المطابع في يدي، لأن كل دورة لها تأتيني بمال ـ كما قال الملك فهد - فاعتذرت لأنني لم أخلق تاجرًا، وما أنجح في التجارة، وعرض عليَّ الملك فيصل والملك فهد أن يساعداني بنصف مليون ريال لأكمل ما ينقص مطابعي فشكرت واعتذرت وتشبثت بطلبي شراء المطابع من قبل الحكومة فصدر أمر الملك فيصل بشراء الحكومة مطابعي لتضم إلى مطبعة الحكومة، وزادت ديوني، واشتريت مطابعي بنقص شيء من الثمن الأساسي، ونقلت المطابع، ولم أتسلم الثمن، واشتدت مطالبة البنك لي.

فكتبت للملك فهد رسالة أذكر له عدم تسليمي الثمن، ومطالبة البنوك بحقوقها حتى فوضت البنك البريطاني[1] ببيع سكني واستيفاء قرضه، وسافرت إلى دمشق، وكتبت عنواني برسالتي، وبعد عشرة أيام من وصولي

---

(١) في كتابي «عندما اشتغلت بالصحافة» المخطوطة تفعيل مسألة المطابع، ولقد أرسل إليّ البنك البريطاني للشرق الأوسط بجدة رسالة شديدة، وأعطى صورتها لكل من الملك فيصل والملك فهد، وأجبت البنك، وأعطيت كلا منهما صورة.

إلى دمشق جاءتني رسالة الملك فهد بخط يده ـ وكان حينئذ وزيرًا للداخلية ـ وأذكر قوله بعد الديباجة اللطيفة: «صدر الأمر على وزارة المالية بصرف قيمة مطابعكم فورًا» ومع رسالته وريقة حوت «نمرة» الأمر وتاريخه لأراجع المالية وأتسلم القيمة وقد تسلمتها بفضل الله ثم بفضل فيصل وفهد.

وتفصح هذه القصة عن ارتباط الحاكم بالمحكوم، وتواضع الحاكم الذي كان بوسعه أن يكلف مدير مكتبه أو رئيس ديوانه، ولو صنع ذلك لكنت له من الحامدين الشاكرين، ولكن أبى الملك فهد إلا أن يتم جميله من غير نقص فيه فأفضل بأن يزف هو نفسه البشرى إليَّ، وكذلك كانت رسالته الثانية إلي في أمر ينالني منه خير فكتب إلي مبشرًا بإنجاز ما طلبت إليه.

وهناك ما هو أعظم، فعندما كان الملك فهد وزيرًا للمعارف أريته عملي في «صحاح» الإمام الجوهري، واطلع على المقدمة التي كتبتها للصحاح وتحقيقي إياه، وطلبت إليه أن يفضل بكتابة مقدمة بقلمه، فسر بعملي سرورًا عظيمًا، وأشرق وجهه بهجة يعسر عليَّ وصفها، وكتب مقدمة رائعة كانت منسوخة بالآلة الكاتبة مصححة بقلمه، ومذيلة بتوقيعه، ومصحوبة برسالة موجزة على وريقة صغيرة، وكانت بخطه، وها هي ذي الرسالة:

«أخي الأستاذ أحمد

أما وقد أبيت إلا أن أكتب مقدمة عملك في الصحاح فإني أبعثها إليك، ولو أطعت قلمي لجاءت أضعاف هذه الصفحات القلائل، فلك مني التهنئة على توفيق الله في خدمة لغة كتابه العزيز، وجزاك الله عن كل ذلك خير الجزاء، واسلم لأخيك» وتحت كلمة أخيك توقيعه الكريم.

أما مقدمة الملك فهد فقد رضي عنها أسلوبًا وفكرة زعماء الأدب الحديث وعمالقته العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل رحمهم الله، وأعجب بها أعلم علماء عصرنا الذين أهديت إليهم «الصحاح» بعد طبعه.

وثلاث الرسائل الموجزات بليغات[١]، وآية بلاغتها الإيجاز المحكم، وكذلك المقدمة التي كتبها جلالته للصحاح أو لعملي فيه، والمقدمة التي كتبها لكتاب «التعليم في المملكة العربية السعودية» تأليف عبدالوهاب عبدالواسع، برهان على أدبه وعلمه وثقافته، وسننشر بعد ختام هذا الفصل المقدمتين، ومختارات من أقواله في خطبه وأحاديثه الصحفية والإذاعية والتلفزيونية، ومن حواره مع أساتذة الجامعات وطلابها، ليكون في هذه الشواهد زاد ومرجع للباحثين في عبقرية فهد وسيرته وحياته وشخصيته.

وإن من الخسارة الأدبية والفكرية والعلمية أننا لا ندون أحاديث الملوك والحكام من آل سعود، ولو دونت أحاديث الملك عبدالعزيز وأبنائه الملك سعود وفيصل وخالد رحمهم الله في مجالسهم العامة سواء في مقر العمل أو في بيوتهم لحصلنا على أدب وعلم كثيرين، وقد استطعت أن أدون طائفة من أقوال الملك فيصل وشيئًا يسيرًا من أقوال الملك خالد، وحشد غير حاشد من أقوال الملك فهد، وشيئًا يسيرًا من أقوال الأمراء الكرام: عبدالله، وسلطان، ونايف، وسلمان، وفواز أبناء الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ.

ولو تيسر لهؤلاء الأعلام أن يتفرغوا للعلم والدراسة والتحصيل لكانوا

---

(١) وعندي جواب جلالته على رسالة لي ذكرت له فيها أن الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان الذي سيزور المملكة معدٌّ حكومته لمقاومة المد الإسلامي وحسره في أوربا استجابة لنداء البابا الذي وجهه إلى رعاياه في أوربا، يذكر لهم أن المد الإسلامي عليهم حكومات وشعوبًا أن يقاوموه ويحسروه، وما كاد البابا يذيع بيانه حتى بعث برقية إلى البابا فور إذاعة ندائه تسلمها مسرورًا، وفحوى البرقية أن فرنسا مستجيبة لقداسته وتضع بين يديه الأموال التي تحتاج إليها مقاومة المد الإسلامي، ويذكر للبابا أن لدى فرنسا خبرة واسعة عن الإسلام وأساليب تحركه اكتسبتها منذ زمن بعد عندما كانت أقطار إسلامية كثيرة، وتضع كل هذه الخبرات مع الأموال تحت يد البابا وأمره. قلت للملك فهد في رسالتي: إن الصحف العربية لم تُشِر إلى نداء البابا، ورجوت جلالته أن يتحدث إلى الرئيس الفرنسي، ويحاول كفه عما عزم عليه.

من أساطين الأدب والعلم واللغة، ومع اشتغالهم بالسياسة والحكم فإنهم مجيدون إذا كتبوا، وعندي رسائل من الأمير سلمان والأمير فواز والأمير نايف تدل على أدبهم الرفيع، وأساليبهم العربية المشرقة الأصلية، وعلمهم الغزير، ولعلي أنشر في هذا الكتاب فصلًا في إخوته الذين يشاركونه حمل أعباء الحكم سواء أكانوا يشغلون مناصب أم كانوا يعملون خارج نطاق العمل الرسمي المشهود مستشارين يمدون بالرأي، أو ينقلون مطالب الرعية ومقترحاتهم إلى الملك نفسه أو إلى إخوتهم العاملين في الحكومة.

وتدل المقدمة التي كتبها الملك فهد لكتاب الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع وللصحاح الذي حققته على جودة قريحته وأفكاره وأسلوبه، وعلى اطلاعه الواسع، وعلى ثقافته العالية، وفقهه للغة العرب الفصحى ومعاجمها، وعلى علمه وأدبه.

ولو لم تشغله دولته ومشكلات العرب والمسلمين، وتأخذ عليه كل وقته حتى فقد جلالته وقت فراغه، وفي بعض الأحيان يتمرق عليه وقت منامه، إذ يتصل به هاتفيًا بعض زعماء العرب عندما تدلهم الأحداث، وقد مر في بعض فصول هذا الكتاب اعتراف الزعيم اللبناني المسلم صائب سلام أنه كان يتصل بالملك فهد في منتصف الليالي يوقظه مستنجدًا به، وكذلك الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات - فرج الله كربه - وغيرهما، وجلالته لا يتبرم، لأنه يعرف أن الله جعل بيده القيادة التي تحمله على أن يسهر، ويستطيب السهر في سبيل راحة الشعوب العربية والإسلامية، وكان الله معه بفضله فأمده بالصحة والسلامة، ولولا كرم الله عليه لساءت صحته من الجُهد الكثير الذي يبذله؛ ومن السهر الدائم.

ولو كان الملك فهد يملك وقته مثلنا، ويحمل إجازته في جيبه كما نحمل لَفَاقَ كثيرًا من العلماء البارزين الكبار، ولجاء في الطليعة من الأدباء المرموقين، ومع تلاشي أوقات فراغه وراحته فإنه لعالم جليل، وأديب مطبوع.

ولولا شهرة الملوك بالسياسة والحكم، وغلبته هذه الشهرة على ما لديهم من العلم والأدب لعرفوا بهما ووصفوا بأنهم علماء مجتهدون، وأدباء مبدعون، مثل الملك فيصل رحمه الله، ومثل الملك فهد مد الله في عمره، ومثل الملك الحسن ملك المغرب وغيرهما من الملوك والرؤساء الذين قابلتهم وقضيت معهم وقتًا طيبًا مثل الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية، والرئيس الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس الذي قابلته خمس مرات في بضع سنوات مضين، وأيوب خان رئيس جمهورية باكستان، وشان كاي شك رئيس جمهورية الصين الوطنية والملك عبدالله بن الحسين ملك الأردن الأسبق رحمه الله.

وأكتفي بالملك حسين مثلًا، فقد تفضّل بدعوتي لزيارة الأردن، واستقبلني جلالته بقصره المسمى «الهاشمية» بعد مغرب يوم الاثنين التاسع من شعبان سنة ١٣٩٧هـ (٢٥ يوليو/تموز ١٩٧٧م) وقضيت مع جلالته أكثر من ساعة تناول الحديث خلالها موضوعات شتى: التشريع الإسلامي، وقضايا العرب ومشكلات المسلمين، والفقه الإسلامي، والأدب، والسياسة والاجتماع.

وأشهد أن الملك الحسين أديب واسع الثقافة والاطلاع على الأدب العربي قديمه وحديثه، وعلى الآداب العالمية، وبخاصة الأدب الإنجليزي، ومحدث بارع يسحر من يحدثه سواء أكان فردًا أم جماعة أم أمة ببيانه الرائع، وإذا تكلم أفصح وأعرب، وإذا خطب أثر في سامعيه وسحرهم، وسمعت له في «المذياع» خطبًا كثيرة، فما لحن، كما سمعت له خطبته ورأيته في التلفزيون وهو يلقيها بمؤتمر قمة العالم الإسلامي المنعقد بالمسجد الحرام بمكة المكرمة حرسهما الله سنة ١٤٠١هـ فلم يلحن قط، وكذلك الملك الحسن ملك المغرب عالم جليل وأديب بليغ، يحسن الارتجال فلا يلحن، وهو يجيد الحديث بالعربية الفصحى إجادة تامة.

فالملك فهد والملك حسين والملك الحسن أدباء علماء حجبت السياسة والملك والحكم سمعتهم الأدبية والعلمية، ولو لم يكونوا ملوكًا لكانوا في الأدب والعلم من الأساطين المبرزين المجتهدين.

والذين يشهدون للملك فهد بتبريزه في العلم والأدب لا يحصون، لأن بابه مفتوح للناس، ومستعد لمقابلتهم في أوقات خصصها لمقابلة عامة تباح لكل الناس من كل الطبقات، وهو يحسن الإصغاء لمن يتحدث إليه أو يحدثه، ويجيب عن كل سؤال بصراحة، ويتقبل بسرور وراحة نصح الناصحين، وشورى المشيرين، واقتراح المقترحين، وتوجيه الموجهين، ولا يضيق بنقد ناقد، وسريع الإجابة، لا يغضب أحدًا، لأن نظام الحكم السعودي الذي هو نظام الحكم الإسلامي يكفل لكل الناس حرياتهم.

والملك فهد عالم مجتهد غير مبتدع، له آراء صائبة في مختلف شؤون الحياة، تدل على عبقريته المتفتحة، وعلى طاقة عقلية ضخمة، وتُعد كثير من آرائه اجتهادًا مقبولًا.

ولسنا نحن ـ السعوديين ـ وحدنا الذي نقرر للملك فهد ما قررناه، بل يشاركنا في ذلك ملوك مثل الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية، والملك الحسن ملك المغرب، والسلطان قابوس سلطان عُمَان، وشيوخ دول الخليج، ورؤساء الدول العربية والإسلامية، بل شهيد لجلالته رؤساء دول الغرب كرئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وألمانيا الغربية وغيرهم، حتى لتصل الشهادة للملك فهد إلى ما يشبه الإجماع العالمي.

وإذا تركنا شهادات هؤلاء الرسميين واستقبلنا شهادات غيرهم وجدنا آلافًا من رجال الأدب والعلم والنقاد وأساتذة الجامعات ومن أكابر المشتغلين بالصحافة في العالم العربي والإسلامي يشهدون للملك فهد بعبقريته البيانية، بعد أن سمعوه خطيبًا بليغًا، وشهدوا حواره في التلفزيون مع أساتذة الجامعات وطلابها، وكان يرتجل خطبه، ويجيب سائليه فور توجيه الأسئلة إليه.

وكان في أجوبته صادقًا صريحًا، سريع الإجابة لما يطلبون، فقد شكا إليه الطلاب الجامعيون أن المعونة الشهرية التي يعطاها كل طالب لا تكفي، فأجابهم علنًا: أنه ضاعف المعونة، فصار رواتب كل طالب جامعي ألف ريال بدل خمس مئة ريال.

ثم ذكروا له أن ثمن تذاكر السفر الجوي يرهقهم، فأجابهم معلنًا: أن ثمن التذكرة لهم مخفض إلى النصف.

وكان التنفيذ فور جواب جلالته، بل أغدق على طلاب الجامعات من مكرماته ما لم يسألوه.

ونُشرتْ للملك فهد أحاديثُ صحفية في الصحف السعودية وفي بعض الصحف العربية، وبعض الصحف العربية، وبعض الصحف العالمية، وعلق من ظفروا منهم بالحديث مع الملك فهد أنهم قضوا وقتًا ممتعًا مع أديب مطبوع، وأعجبوا بمنطقة وفصاحة، بل شهد أساتذة الأدب والنقد أن تلك الأحاديث والخطب إنما هو أدب صادق، وشهدوا أن الملك فهدًا أديب يحسن القول حديثًا وخطابة وكتابة.

وتحدث إليَّ كثير منهم وهم نقاد وكتاب وشعراء شهدوا بأن الملك فهدًا أديب بارع في عرض أفكاره بأسلوب رشيق، وأبدوا إعجابهم بمنطقه، ولم يُعجبوا به لأنهم يعرفون أن الملك فهدًا عربي أصيل، بل سيد العرب الأصلاء، وطبيعي أن يكون كلامه أدبًا حيًا راقيًا مرفودًا مكن اطلاعه الواسع على الأدب العربي قديمة وحديثه، ومن علمه الغزير، ومن ثقافته العربية الواسعة العليا، وإنما كان إعجابهم بكل ذلك بسبب ارتجاله المتدفق أدبًا وعلمًا.

وما أدري من قابل الملك فهد من أساطين الأدب الحديث، فقد دخل العقاد مكة المكرمة حرسها الله معتمرًا، وحج الدكتور محمد حسين هيكل، والأستاذ أحمد أمين، والأستاذ عبدالحميد العبادي وغيرهم، وقدم الدكتور طه حسين رئيسًا للدورة الثقافية المنعقدة بجدة، واجتمع بالملك فهد عندما

كان وزيرًا للمعارف، وحضرت ما جرى بين الدكتور طه والملك فهد من أحاديث تركت أثرًا طيبًا في نفس الدكتور طه، فلما اجتمعا في حفلة الشيخ محمد سرور الصبان بداره بجدة أثنى الدكتور طه على الملك فهد وأدبه وثقافته وعلمه وفصاحته.

وقبيل أن يجتمع طه وفهد كان فهد قد قرأ كثيرًا من مؤلفات طه حسين وبخاصة كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» فلما اجتمعا كان فهد وزيرًا للمعارف، وكان طه حسين قد ترك وزارة المعارف التي صار وزيرها، ولم يكن طه حسين قط بعيدًا عن العلم والتعليم والثقافة، بل كان طول عمره مشتغلًا بهن متفرغًا لهن تفرغًا تامًا، وكان يريد أن يجعل التعليم «مجانيًا» ميسورًا كالماء والهواء ونور النهار، وحقق كثيرًا مما أراد.

وعندما اجتمع الدكتور طه بالملك فهد شعر بارتياح تام، كما شعر الملك فهد نفسه بارتياح تام، ووجد الفرصة لأن يتحدث إلى الدكتور طه عن آرائه في التعليم ونشره، وكان سرور طه عظيمًا من أن التعليم في المملكة العربية السعودية «مجاني»، وعظم سروره عندما أطلق على برامجه التعليمية التي يريد منها أن يدخل التعليم كل بيت وكوخ وخدر، ويعم الحاضرة والبادية.

فلما أظهر فهد لطه خطته لإنشاء جامعة في مدينة الرياض قريبًا بمشيئة الله بوصف ذلك عملًا تجريبيًا لجامعة سعودية تكون فاتحة ومثالًا لجامعات أخر قد تدعو الحاجة إلى إنشائها.

وإذا كانت الفكرة قد راقت طه حسين وسرَّته لأنه يسعده قيام جامعة في أي قطر عربي وبخاصة المملكة العربية السعودية فإن سعادتنا بالتفكير في إنشاء جامعة سعودية كانت جدَّ عظيمة، وتأكد لنا أن الجامعة ستولد قريبًا بمشيئة الله ثم بجهد فهد ومسعاه، لأن الذي وعد هو فهد بن عبدالعزيز، وما يعد إلا أنجز.

ولشدَّ ما أسعدنا أن كلام وزير المعارف فهد وآماله وأفكاره قد راقت طه حسين أحد أربعة عمالقة الأدب الحديث، وأحد أفراد قلائل في عالمنا العربي يعدون بناة النهضة العلمية الذين يعد منهم فهد بن عبدالعزيز، ولشد ما أطربنا أن نسمع الدكتور طه حسين يصف وزير معارفنا بأنه ألمعي مبلغ في ميدان التعليم، وبلغ من تفاؤل طه حسين وثقته بمشروعات فهد أنه كان مطمئنًا إلى أن فجرًا تعليميًا صادقًا قد أشرق على يد فهد.

بل عاد طه حسين إلى بلده وقلبه فرح مطمئن، وأخذ يبشر بهذا الفجر الصادق، وقد كتبت للأمير (الملك) فهد وزير المعارف المملكة العربية السعودية رسالة ذكرت له فيها أن الدكتور طه حسين كثير الثناء عليه والتحدث لزواره عن شروق فجر نهضة تعليمية في جزيرة العرب.

وذكرت في رسالتي وأنا بالقاهرة لطبع صحاح الإمام الجوهري الذي حققته وقلت لوزير معارفنا فهد بن عبدالعزيز:

وصف الدكتور طه حسين مشروعاتكم في مجال التعليم قائلا: «ليست مشروعات سموه ذات خطوط طولية، بل هي أشبه بالدوائر التي تبدأ ذات محيط لا يتجاوز قطره مساحة صغيرة حتى تتسع الدائرة لتبلغ مساحته آلاف الأميال فتحوي المملكة العربية السعودية».

وقلت في رسالتي: ويقول طه حسين: «وهذا يجعلني أتصور مستقبل الثقافة الذي خططه الأمير فهد بن عبدالعزيز لبلاده مستقبلًا زاهرًا مجيدًا، بل سيكون مستقبل الثقافة في المملكة العربية السعودية أكثر إزهارًا وإشراقًا من أي بلد عربي، لأن الطريق الذي رسمه سموه سيفضي إلى ما أتصور».

ولقد أرسل الدكتور طه حسين رسالة لوزير المعارف فهد بن عبدالعزيز - بعد عودته من المملكة السعودية إلى مصر - ضمنه شكره على استضافة وزير المعارف فهد بن عبدالعزيز للدورة الثقافة التي نظمتها الجامعة العربية، وكانت مفعمة بالأمل الذي سيتحقق بمشيئة الله، وكان طه حسين ـ رحمه

الله ـ أكثر صدقًا في فراسته إذ تصور ما سماه مستقبل الثقافة في الجزيرة العربية واقعًا يشهده بعين بصيرته المتفتحة النافذة، وأفاض في الشكر والتهنئة.

وعزز الدكتور طه حسين رسالته الأولى برسالة أخرى جاء فيها قوله:

«إن النهضات التاريخية الكبرى كان يُظن في أصحابها أنهم يعيشون في الوهم والخيال، وأنا - يعلم الله - لا أَهمُ ولا أتخيل، وإنما أرى الواقع الذي سيبدأ في الظهور قريبًا، ثم تتعدد القباب والمآذن وتزداد انتشارًا وارتفاعًا، وأنا لا أهمُ ولا أتخيل، ولكني أرى ما سيحدث بعين البصيرة التي ترى خيرًا مما ترى عين البصر أحيانًا».

وبعث الدكتور طه الرسالة الأولى بالبريد، والأخرى حملني إياها لأنني كنت متهيئًا للعودة إلى المملكة لأمر يخصني.

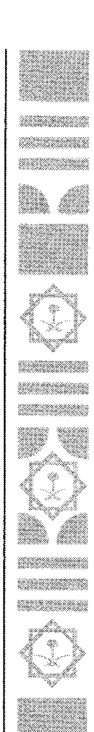
حقًا، لقد بلغ التفاؤل بطه حسين وكان يرى أفكار فهد وأحلامه ومشروعاته قد أصبحت واقعًا، وقد عاش طه حسين حتى رأى بعض ما كان حلمًا قد تحقق، إذ رأى إنشاء جامعة الملك سعود، وإنشاء مئات المدارس والمعاهد.

وصدقت فراسة طه حسين رحمه الله، ولو امتد به الأجل إلى سنتنا هذه سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م) لكان طربه وسعادته بغير حدود، فهو قد تنبأ بما سيكون، بانيًا تنبؤه على ما سمع من فهد وما رأى من عزيمته، وكان طه حسين ينظر بنور الله عندما قال طه حسين: «وأنا - يعلم الله - لا أهم ولا أتخيل، وإنما أرى الواقع الذي سيبدأ في الظهور قريبًا، ثم تتعدد القباب والمآذن وتزداد انتشارًا وارتفاعًا».

وها هي ذي سبع جامعات شمخت قبابها ومآذنها كما شمخت مباني آلاف المدارس عدا المئات من المعاهد والكليات والمدارس المهنية والعسكرية.

ونحمد الله على تقييضه لبلادنا وزير معارف بنى منذ توليه منصبه مستقبل الثقافة في المملكة العربية: المستقبل الذي يزداد إزهارًا وإثمارًا كلما تنقل فهد بن عبدالعزيز في مدارج النمو والسمو حتى بلغ الذروة العليا التي تربع عليها دون منافس، وفجَّر النهضة العلمية الكبرى في بلاده فتفجرت معها النهضة الشاملة لكل شؤون الحياة حتى جعل بلاده تشارك غيرها من الأقطار المتقدمة ما أعطته الحضارة الحديثة العالم، وتمتاز بلاد الملك فهد بأنها البلاد الوحيدة التي اتفقت لها الحضارة الحديثة العظمى مقرونة بها الأخلاق الكريمة الفضلى والدين الحق فاجتمع لمملكة فهد بن عبدالعزيز مجد الدنيا ومجد الدين.

ونخلص مما سبق القول فيه إلى أن الملك فهدًا عالم وأديب، وآية ذلك ليست وصفنا إياه، وإنما مقولاته وكتاباته هي نفسها البرهان الذي يثبت أن الملك فهدًا عالم جليل، وأديب مطبوع، وفيما يأتي من الصفحات بعض تلك المقولات والكتابات ليجد فيها الباحثون مادة بحوثهم، كما يجد فيها كل قارئ مثقف المتعة الأدبية من أدب فهد وفنه.



نماذج من كتابات الملك فهد

- مقدمة الصحاح.
- فهد مفجر النهضة التعليمية.
- خطبة الميزانية.

في الصفحات الآتية نماذج من كتابات الملك فهد وفكره وطريقة تناوله لما يريد أن يكتب فيه وأسلوبه، وهذه النماذج القليلة تبين موهبة هذا الملك الأديب العالم الكاتب، ولعل فيها غناءً عن استقصاء ما ارتجل من خطب وما نشر له في الصحف من أحاديث وتصريحات وحوار مع طلبة الجامعات السعودية.

وقصدنا من نشر هذه النماذج أن نقدم للقراء والباحثين زادًا فكريًا دسمًا يمكِّنهم من معرفة موهبة الملك فهد وحجمها ومعدنها الأصيل. هذه الموهبة الثَّرَّة الثرية المعطاء، وكل نموذج من هذه النماذج يعطي الصورة الصحيحة لمنهج الملك فهد في التفكير وأسلوب عرضه لأفكاره وآرائه وخواطره.

وكل نموذج يدل على نمط مستقل من أنماط كتاباته في مختلف الموضوعات، ففي خطبة تقدير ميزانية الدولة نجد أسلوبه الأدبي الرائع المحكم لم يتغير في هذا الموضع الجاف، بل احتفظ أسلوبه بالحيوية والجمال والإشراق.

وهذه النماذج تصور علم فهد وأدبه وثقافته واطلاعه الواسع، وأسلوب بحثه الدقيق ودراسته العالية، وذلك متجل في المقدمة العظيمة التي كتبها جلالته لمعجم «الصحاح» تأليف إمام العربية إسماعيل بن حماد الجوهري وتحقيق كاتب هذه السطور.

وها نحن أولًا نقدم هذه النماذج في ختام مؤلفنا هذا بدءاً بأول بحث

علمي منشور لجلالته ألا وهو تقديم الصحاح منذ أكثر من ربع قرن ببضع سنين، وبالتحديد سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م).

وإني لمعتز بشهادة الملك فهد، لصدورها من ملك عظيم وعالم جليل وأديب مطبوع وكاتب مجيد.

المؤلف

مقدمة الصحاح

بقلم

حضرة صاحب الجلالة الملك العالم فهد بن عبدالعزيز

خادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية

كتاب «الصحاح» للإمام اللغوي العظيم إسماعيل بن حماد الجوهري أصح معجم عربي، وهو أول معجم لغوي صحيح سار على نهج يسَّر اللغة وقربها وجعلها في متناول الناس جميعًا، والصحاح ـ كما يقول محققه الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار قي مقدمته الرائعة التي كتبها له ـ: «أول معجم خطا بالتأليف المعجمي أعظم خطوة عرفها تاريخ العربية في هذا السبيل».

وعندما نشر معالي الشيخ محمد سرور الصبان مختصر: الصحاح المسمى «تهذيب الصحاح» تمنى المخلصون للغة القرآن أن لو نشر «الصحاح» نفسه، فيخرج من طبعته الأولى التي أصبحت أندر من المخطوطات إلى طبعة تكون خيراً من الأولى في التحقيق والتبويب والإخراج الطباعي الجميل.

وها هي ذي الأمنية تتحقق بفضل الله جل جلاله، فيصدر «الصحاح» مُحققاً تحقيقاً رائعاً، ومطبوعاً طباعة أنيقة.

أما المقدمة الرائعة العظيمة التي كتبها الأستاذ الباحث العطار، والتي أصبحت جزءاً من الصحاح، فإنها تعتبر بحث دراسة مبتكرة جديدة، لم

يسبق منذ ألِّف الصحاح أن أحداً من العلماء درسه دراسة الأستاذ المحقق، وإن دراسته إياه تعدُّ خير ما كتب عن أول معجم عربي صحيح سهل التناول.

ولقد صدق الأديب العظيم الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عندما وصف هذه الدراسة فقال: «إنها تصلح أن تكون مقدمة الصحاح ولسائر المعجمات العربية».

ويكفي هذه الدراسة العليا القوية فخاراً وشهادة بأنها عمل عظيم أن تنال إعجاب كاتب العربية الكبير الأستاذ العقاد.

والمقدمة - وحدها - كتاب جليل عظيم القدر، فقد درس فيه الباحث الأستاذ العطار اللغة العربية دراسة علمية دقيقة، وكتب عن تاريخ المعجمات في العالم، وتاريخ المعجمات في لغتنا كتابة لم يُسبق إليها في العربية، وأبدى آراء جدًّ صائبة في اللغة العربية قديمها وحديثها، ووسائل النهوض بها، وعقد فصلاً كبيراً عن «كتاب العين» حقق فيه نسبته إلى الخليل.

ومن أعظم البحوث المبتكرة التي ضمها كتاب الأستاذ العطار أو مقدمته التي كتبها للصحاح بحثه «المدارس المعجمية» وتقسيمه إياها إلى أربع مدارس، هنَّ: مدرسة الخليل، ومدرسة أبي عبيد، ومدرسة الجوهري، ومدرسة البرمكي، وأظهر سمات كل مدرسة وشخصيتها وخصائصها و«علاماتها الفارقة» ونظامها وطريقة ترتيب موادها، ومن الكشوف العلمية التي تحسب للأستاذ العطار في حقل المعجمات أنه أول من كشف عمن ألف المعجمات على أوائل الحروف الهجائية كالنظام الحديث في تأليفها، فقد ذكر أن محمد بن تميم البرمكي أول من ألف معجماً على الطريقة الحديثة التي ترتب المواد والكلمات على حروف الألفباء، مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع في الكلمة.

وكان العلماء والباحثون يذكرون أن الزخشري أول من سار على هذه

الطريقة في «أساس البلاغة» فجاء الأستاذ العطار وأثبت أن البرمكي هو الأول، إذ تناول البرمكي صحاح الجوهري ورتبه على أوائل الحروف سنة ٣٩٧هـ، وتوفي الزمخشري سنة ٥٣٨هـ، مما يثبت ثبوتاً قاطعاً أن البرمكي أسبق.

وكتب عن الصحاح وقيمته العلمية ومزاياه وأثره في محيط العربية والتأليف اللغوي والمعجمي بحثاً جديداً غنياً بالمادة العلمية.

وما أشك أن الصحاح أجدر معجم بالنشر، لأنه يمتاز عن كل المعجمات التي عاصرته أو سبقته بميزات منها: أن المعجمات العربية التي سبقته أو ألفها أصحابها في عصر الجوهري أو بعده بقرن ليست سهلة أمام الباحث - باستثناء المجمل والمقاييس لابن فارس - بل هي صعبة، وهي متيهة تجهد الباحث وتعييه، فكتاب العين للخليل بن أحمد الذي يعد أول معجم في العربية كلها إذ لم يؤلف معجم قبله، لأن الخليل هو مبتكر فن تأليف المعجمات في العربية كلها، كما ابتكر علم العروض ليس سهلاً أمام من يريد أن يبحث فيه عن كلمة مغلقة المعنى، لأنه سار على نظام مغلق الأبواب، ألا وهو ذكره الكلمة ومقلوباتها، مثل: قبل، تقلب إلى: قلب وبقل وبلق ولبق ولقب، فإذا أردنا كلمة منها لا تعرف في أي الأبواب ذكرت، لأننا لا نعرف أيها الأصل وأيها الفرع.

وسار على نهج العين ابن دريد في كتاب «الجمهرة» والأزهري في «تهذيب اللغة» وكلاهما مثل كتاب العين في الصعوبة والوعورة.

وكان الناس قبيل الصحاح لا يفيدون من المعجمات المعدودات، بل كان العلماء أنفسهم لا يستطيعون الوصول إلى الكلمات التي يريدون الوقوف على معانيها إلا بجهد جهيد، حتى ألف الجوهري صحاحه فمهد الطريق وعبده أمام الناس، حتى الشادي نفسه يستطيع بقليل من المعرفة بالمعاجم وطريقة البحث فيها أن يهتدي إلى ضالته من الكلمات.

ومن هنا كانت مزية الصحاح على كل المعجمات التي سبقته أو عاصرته.

وإذا يسَّر الله من يحققه تحقيقاً علمياً دقيقاً، ووفق له من ينشره نشراً رائعاً جميلاً فإن ذلك من آيات حفظ الله للغة القرآن والسنة بحفظ أمثال «الصحاح» ونشره ليعم به النفع، وتصان اللغة.

والأستاذ العطار أغنانا بما كتب في مقدمته العظيمة عن وصف الصحاح، فهو لم يترك مجالاً لقائل أو كاتب أو باحث، فهو قد درس الصحاح وأعطاه حقه فوفاه القول والبحث، وذكر ما له وما عليه، وقدم دراسة بكراً لم يسبق إليها، وحشد من آرائه الصائبة وبحوثه المبتكرة ما ملأ به أكثر من خمسين ومئتي صفحة جديرة بالاطلاع عليها والاهتمام بها من قبل العلماء والأدباء والمفكرين.

والحق أن هذا الكتاب أو المقدمة تعد أول بحث علمي في بلادنا، يقوم على قواعد محكمة، ومنهج علمي دقيق، تشارك به بلادنا شقيقاتها، فليس في هذا البحث فضول من القول، بل كله بحث وعلم، وأسلوب المؤلف في مقدمته أسلوب عربي رائع رصين، وبيانه آية في الروعة والجمال، وحسبنا أنه أسلوب العطار وبيان العطار.

وينتهي الكتاب أو المقدمة بفهارس في منتهى الدقة وجمال الترتيب، والفهارس الموضوعة هي: فهرس الأعلام، وفهرس الأماكن والبلدان، وفهرس الطوائف والأجناس، وفهرس الكتب الواردة أثناء البحث، وفهرس المراجع[١].

---

(١) قبل أن تصدر «مقدمة الصحاح» مع الصحاح ظهرت في كتاب مستقل تحت عنوان «الصحاح ومدارس المعجمات العربية» وتقع في ٢٨٤ صفحة، وملحق بها الفهارس التي أشار إليها سموه.

أما المقدمة التي كتبها أديب العربية الكبير الأستاذ العقاد فهي آية في البحث العلمي، وذكر الأستاذ العقاد آراء آية في القوة والصواب والروعة، وليس غريباً على الكاتب الجبار أن يبدع القول فيما كتب، فالعقاد - دائماً - يَمْتَحُ من فكره وقلبه ومنطقه، وما كتبه في مقدمته «المركزة» خلاصة دراساته في الآداب والعلوم والفنون نصف قرن، والعقاد من أقوى علماء العربية المعاصرين، ومن أعظمهم اطلاعاً على أصول العربية وأسراها ونوادرها، وبحوثه فيها بحوث ناضجة لا تتاح إلا لمن كان في مثل ثقافته الواسعة وذهنه الجبار.

وإنني أشكر الأستاذ العطار على ما بذل من جهود كبيرة ضخمة في المقدمة وفي تحقيق الصحاح، حتى كانت هذه الطبعة الرائعة الممتازة في التحقيق والتعليق والضبط والإخراج الطباعي الأنيق الذي يعد آية في الطباعة الفنية الحديثة.

فهد بن عبدالعزيز

الرياض: ١٤ رجب ١٣٧٥هـ



فهد مُفجِّر النهضة التعليمية
يكتب مقدمة كتاب التعليم في المملكة العربية السعودية
تأليف الأستاذ عبدالوهاب أحمد عبدالواسع

هذه مقدمة كتبها حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز لكتاب «التعليم في المملكة العربية السعودية» تأليف حضرة صاحب المعالي الأستاذ عبدالوهاب أحمد عبدالواسع ـ وزير الحج والأوقاف ـ الذي يذكره الملك فهد بالخير، ويشهد له أنه أسهم مع جلالته في النهضة التعليمية بالمملكة.

ومقدمة جلالته - هذه - تُفصح عن أسلوبه في عرض أفكاره وآرائه، وطريقة تناوله الموضوعات التي يعالجها خطابًا وكتابًا.

وليس في كتابته فضول، وبرهان ذلك المقدمة التي كتبها جلالته لمعجم «صحاح» الجوهري، ومقدمته لكتاب «التعليم في المملكة العربية السعودية» فهما خاليتان من فضول القول، ولهذا إذا أخذنا كل فقرة من المقدمتين على حدة وجدنا كل كلمة منها في موضعها الأصيل، ولا يمكن حذف كلمة منها، إذ ليست فضلة يمكن الاستغناء عنها بحذفها.

وها هي ذي مقدمة جلالته[1] بنصها وتمامها لكتاب الأستاذ عبدالوهاب نثبتها في بضع الصفحات الآتية لتكون زادًا للمثقفين الباحثين، ومرجعًا للدارسين، ومصدرًا مهمًا لمن يريد أن يكتب في لغة فهد وأدبه وعلمه، وفصاحته وأسلوبه في تناول الموضوعات وعرض الأفكار والآراء، وفي

---

(١) كتب جلالته هذه المقدمة سنة ١٣٨٠هـ سنة طبع الكتاب الطبعة الأولى.

هندسة بناء الجملة والجمل وتركيبها، والمقدمتان خير مصدر، وها هو ذا نص مقدمة جلالته لكتاب «التعليم في المملكة العربية السعودية»:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أبدى لي الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع رغبة نفرٍ من عزيز أصدقائه اقترحوا عليه أن يَدْعَمَ بالإحصائيات والبيانات محاضرته عن التعليم التي ساهم بها المركز الإقليمي لتدريب كبار رجال التعليم العرب في بيروت بحيث تغدو كتابًا مرجعًا عن التعليم في المملكة العربية السعودية.

وقد اطلعت على تلك المحاضرة، ثم على ما بذله من مجهود لدعم ما احتوته من معلومات عن التربية والتعليم في بلادنا الزاهرة، فإذا هي لمحة ضافية عن ماضيه وحاضره ومستقبله صيغت في كتاب يسجل الواقع ويضيء الطريق إلى مستقبل مجيد ننشده جميعًا لوطننا العزيز، وقد وجدتها فرصة سانحة لكي أشد أزره وأشجعه على تحقيق أمل أصدقائه، فأنا أستشعر بطبيعتي أنني مشدود إلى العملية التعليمية وإلى حب التربية وتنمية كل ما من شأنه أن يحقق مفهومها ويشيع أهدافها في ضوء تجاربي في التعليم خلال فترة عزيزة على نفسي.

كان الأستاذ عبدالوهاب ممن عملوا معي في هذا الحقل الفعال بعد أن نقلت خدماته من وزارة المالية في غرة سنة ١٣٧٤هـ، والأخ عبدالوهاب تدرج في أعمال هذه الوزارة الإدارية والفنية، وقد عرفته عن كثب ولمست فيه حبه للعمل وإخلاصه للوطن واجتهاده لإشاعة نور المعرفة يساهم بها في إنارة دروب الحق والخير في بلد كانت أساسًا لمصدر الخير في كل الأرجاء المعمورة منذ انطلقت رسالة السماء على يد «محمد»، فنشرت الخير بين أمة العرب وجعلتهم «خير أمة أخرجت للناس» عمت بفضل تحملهم لمهمة هذه الرسالة وإخلاصهم لهذا الدين وإشاعة الضياء على أمة المسلمين. وكان

منهم علماء حققوا لهذا العالم سعادته ورسموا له طريقة فكان ما تراه في عالم اليوم امتدادًا لمجهوداتهم واستمرارًا لبداياتهم.

والأستاذ عبدالوهاب درس دراسته الابتدائية بمدرسة الفلاح بجدة، وأتم دراسته الثانوية بمدرسة تحضير البعثات الثانوية بمكة المكرمة التي أنشأها جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود، ثم أكمل دراسته الجامعية بالقاهرة، وكما سبق أن ذكرت مارس العمل مديرًا مساعدًا لمديرية الميزانية بوزارة المالية ثم اخترته مديرًا للإدارة المالية بوزارة المعارف حين شرفت بمسؤوليتها، ثم مديرًا عامًا للتعليم ثم وكيلًا مساعدًا لوزارة المعارف ثم وكيلها، وقد مارس هذا التدرج ليعرف إطارات أعمالها وواجباتها ومسؤولياتها، وحين أعتز به فإنما أعتز به واحدًا من الشباب الذين اخترتهم لتحمل مسؤولية التعليم والتربية في بلادنا، وتلك كانت خطا في تطوير جهاز التعليم وإطاراته وأهدافه تقوم على استغلال الطاقات المواطنة.

وهو في نظري صورة للمواطن الصالح العامل الهادف الذي يستشعر مستقبل أمته في صورة الجيل الجديد جيل جلالة الفيصل الغالي وذلك في قوله في الباب الأول من كتابه: «إن الجهود التي تبذل في ميدان التربية والتعليم تقوم على ثقة الإنسان بأن الجهد الإنساني الموجه على أساس من الوعي والذكاء يمكن أن يؤدي إلى اختلاف حقيقي وفرق جذري في مجرى الأحداث وتشكيل التاريخ».

وفي يقيني أن الأستاذ عبدالوهاب قد حقق في موضوع كتابه هذا صورة شاملة وواقعية لمسيرة التعليم في بلادنا بين ماضيها وحاضرها وما نتوقعه لها في مستقبلنا المرموق إن شاء الله.

وإني ليسعدني أن أقدم هذا الكتاب لقرائه في المملكة وفي كل بلد عربي وإسلامي مقرونًا ذلك بحبي وتقديري لشخص مؤلفه راجيًا لمملكتنا كل خير وعزة وسؤدد، وآملًا لها أن يعود لها كيانها وقيادتها في ظل جلالة

الملك العظيـم فيصل بن عبدالعزيز المعلم الأول في نهضتنا الحديثة، الذي يقود أمتنا لحياة أفضل.

فهد بن عبدالعزيز

الرياض: ١٣٨٩هـ

خطبة الميزانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم على بلادنا بالرخاء والعزة والاستقرار، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد:

فمنذ أن حقق الله على يد جلالة المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ إقامة كيان بلادنا العزيزة، وأبناؤها يواصلون بذل الجهد المخلص في توطيد أركانها والوصول بها إلى مستوى التقدم والقوة.

وقد تحقق الشيء الكثير بحمد الله يدركه ويلمسه كل مواطن ويعيش فعلًا فيه، ولم يبق جزء من البلاد إلا وقد تحقق له خلال السنوات الماضية ما يحتاجه من مرافق وما يوفر للموطنين من موارد الرزق والرخاء، كل ذلك بفضل الله ثم بفضل العزيمة القوية والتعاون المخلص والمجهود الضخم الذي بذله جميع المواطنين على اختلاف جهاتهم ومناطقهم.. إخواني ـ وكما تعلمون ـ فإن الاستهلاك العالمي للبترول قد انخفض بصورة ملموسة نتيجة لذلك فقد انخفضت صادرات بلادنا منه وعوائده المالية تبعاً لذلك، وبالرغم من أن صورة ما سيكون عليه وضع السوق البترولية في المستقبل القريب ليست واضحة تماماً إلا أننا نأمل أن يسود الاستقرار في الأسعار وينتظم الإنتاج بما يحقق المصلحة المشتركة للدول المنتجة للبترول والمستهلكة له.

٢٦٠ ألف مليون ريال:

وقد صادف هذه السنة - لحسن الحظ - اكتمال العديد من المشاريع

الإنمائية الكبيرة مما أدى إلى انتهاء الحاجة إلى إدراج اعتماداتها المالية في الميزانية، لذلك فقد تم تحديد مصروفات ميزانية العام المالي القادم بمبلغ (٢٦٠) ألف مليون ريال، وهذا المبلغ يزيد عن ما تم إنفاقه في ميزانية العام المالي المنتهي بحوالي (١٧) ألف مليون ريال وسيتم إن شاء الله في العام المالي الجديد صرف حوالي (١٥٠) ألف مليون ريال على المشاريع والبرامج الإنمائية تضم عدداً من المشاريع التي سيبدأ تنفيذها في العام الجديد والتي تبلغ تكاليفها الإجمالية حوالي (٥٤) ألف مليون ريال، بالإضافة إلى استمرار صناديق الإقراض الزراعي والصناعي والعقاري في تقديم القروض على نفس معدلاتها الحالية، كما سيتم استمرار صرف الإعانات للمواد الغذائية والأعلاف وغيرها خلال السنة المالية القادمة إن شاء الله.. ولقد أكدنا على جميع الأجهزة الحكومية بإعطاء أهمية كبرى لتوسعة نطاق الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والبلدية.. وكذلك الاهتمام بتحسين ورفع مستوى ما هو قائم منها وبذل أقصى الجهد في سبيل تنفيذ ذلك على أكمل وجه إن شاء الله.

فرص واسعة للاستثمار:

إخواني: إن بلادنا العزيزة تزخر بحمد الله بموارد اقتصادية كثيرة ومتنوعة من زراعية وصناعية ومعدنية وغير ذلك.. وقد وفقنا الله لإكمال جميع ما يلزم توفيره من المرافق الحديثة لاستغلال هذه الموارد، وبذلك فقد أصبح أمام المواطنين في جميع أنحاء البلاد فرص واسعة لاستثمار هذه الموارد على أفضل وجه ممكن من أجل تشجيع المواطنين على تحقيق ذلك.

وقد أنشأت حكومتنا الأجهزة المختصة للإقراض والإرشاد.. كما أقرت الأنظمة والقواعد التي تلزم لذلك أيضًا.. وإننا إذ ندعو المواطنين للتوسع في استثمار هذه المجالات مما يعود على وطنهم وعليهم بالخير إن شاء الله.. فإننا نطلب من جميع المسؤولين في الحكومة العمل بقوة في

سبيل دعم مجهود المواطنين ومساعدتهم وإرشادهم إلى إقامة المشاريع الإنتاجية في مختلف القطاعات الاقتصادية.. كما نطلب منهم الحرص على تشجيع ما تنتجه المؤسسات الوطنية من إنتاج زراعي أو صناعي وما تقدمه من خدمات مختلفة وإعطائه الأولوية.

استكمال القوة العسكرية وتعزيز الأمن:

إخواني: إن المملكة العربية السعودية مثلما هي مصممة بحول الله على تحقيق أهدافها وخططها الإنمائية الوطنية وعلى تقوية مركزها المالي وتعزيزه فإنها مصممة أيضاً على استكمال قوتها العسكرية وتعزيز أمنها الوطني وسيكون هذا المطمح محور اهتمامنا وركيزة سياستنا دائماً.. وأود أن أشكر جميع من ساهم في إعداد هذه الميزانية الجديدة من موظفي وزارة المالية والاقتصاد الوطني وموظفي الأجهزة الأخرى وأقدر لهم جميعاً جهودهم وإخلاصهم.

القاعدة الصلبة:

إخواني: إن كل ما ورد ذكره هو في الواقع ينبع من شيء أساسي هو تمسكنا بعقيدتنا الإسلامية.. إن العقيدة الإسلامية هي الخير والبركة والالتفاف حولها هو الأساس والقاعدة الأساسية والمنطلق لهذه البلاد التي أنعم الله عليها بالاستقرار وجعلها مهبطاً للوحي وللرسالة العظيمة التي أنزلت على محمد ﷺ وجعل هذه البلاد وأهلها قدوة للإسلام والمسلمين، من ذلك التاريخ إلى هذا التاريخ وسوف تسير هذه الدولة بحول الله على القاعدة الإسلامية الشعرية لن تخالفها أبداً لأنها قاعدة سمحاء ولم تأمر بشيء إلا والخير فيه ولم تنه عن شيء إلا والشر فيه..

لذلك هذه القاعدة الصلبة التي تمكن بحول الله الدولة أن تسير مثل ما سارت في السنوات الماضية على أسس وقواعد ثابتة.

وأرجو أن يوفقنا الله جميعاً حكومة ومواطنين لما فيه خير وعزة الإسلام والمسلمين.

قائمة بالمشاريع:

وبهذه المناسبة سبق وطلبت من بعض الإخوان من فترة - وإن كانت طويلة بعض الشيء - إمدادي بما أقيم من مشاريع وربما بعض المشاريع التي ممكن أن تكون قبل إعداد هذه اللائحة التي وصلتني من المسؤولين بالدولة لم تذكر.. ولكني متأكد أن المسؤولين سوف يعلنون عنها وسوف تذكر للمواطنين حتى يكون المواطن على علم ماذا عملت دولتهم في خلال سنوات قليلة جداً.

هنا أمامي الآن الاتفاق على المشاريع.. خطة التنمية الأولى كانت (٣٧) ألف مليون ريال.. خطة التنمية الثانية وصلت إلى (٤٨٤) ألف مليون.. في العامين الأولين من الخطة الثالثة (٣٠٠) ألف مليون و (٢٠٠) مليون أي أن ما أنفق على المشاريع خلال (١٢) سنة (٨٢٤) ألف مليون.

القروض التي وفرتها الدولة للمواطنين وصندوق التنمية العقاري: بلغت قيمة القروض التي قدمها الصندوق لبناء المساكن الخاصة أكثر من (٥٧) ألف مليون.. كما بلغت قيمة القروض التي قدمها الصندوق للاستثمار العقاري أكثر من (٣٦٠٠) مليون.. صندوق التنمية الصناعي قدم قروضاً بإقامة (٨٣٠) مشروعًا صناعيًا بلغت قيمتها أكثر من (١٠) آلاف مليون.. كما قدم قروضًا لإقامة (٥٠) مستودع وتبريد وأشياء أخرى قيمتها أكثر من (١٧١) مليوناً.. كما قدم قروضاً لأكثر من (١١٠) شركات كهرباء بقيمة أكثر من (٣٢) ألف مليون ريال.

١٢٤ ألف قرض:

بنك التسليف السعودي قدم (١٢٤) ألف قرض دفعت للمواطنين من

أصحاب الحاجات المختلفة قيمتها (١٢٤٢) مليون.. بالنسبة للزراعة كذلك في عام ١٣٩٥هـ بلغت قروض البنك (١٤٦) مليون وفي عام ١٤٠٢هـ بلغت (٢٤٠٠) مليون، مجموع ما أقرض للمزارعين حتى الآن أكثر من (١٠) آلاف مليون استفاد منها (٢٢٦) ألف عائلة.. وكذلك إقراض المخابز الآلية إذا كان المواطن في حاجة أن تتوفر هذه الناحية بشكل يكون مفيد وعلى الطرق الحديثة في النظافة وما يشمل ذلك (٦٧) قرضاً قيمتها (٢٦٥) مليوناً.

المستشفيات الخاصة (٤١) قرضًا قيمتها (٣٢٥) مليون ريال.. الإعانات للمواطنين المواد الغذائية في عام ١٣٩٥هـ بلغت (٧٥٠) مليوناً في عام ١٤٠٢هـ بلغت خمسة آلاف مليون ريال مجموع الإعانات التي قدمت حتى الآن للمواد الغذائية بلغت (١٣) ألف مليون ريال.. إعانات استهلاك الكهرباء في عام ١٣٩٥هـ بلغت (١٣) ألف مليون و (١٣) مليون ريال في عام ١٤٠٢هـ بلغت (٣٥٠٠) مليون بلغ مجموع ما صرف كإعانة كهرباء (٦٦٠٠) مليون.

إعانات الضمان الاجتماعي في عام ١٣٩٥هـ، بلغت إعانات الضمان (٣٥٧) مليون.. في عام ١٤٠٢هـ بلغت إعانات الضمان (١١٠٠) مليون مجموع ما صرف على الضمان الاجتماعي (٦٧٠٠) مليون.

مجموع الإعانات في عام ١٣٩٥هـ بلغت قيمة الإعانات (١٢٠٠) مليون في عام ١٤٠٢هـ بلغت قيمة الإعانات عشرة آلاف مليون و (٥٥٠) مليوناً مجموع ما صرف على الإعانات من عام ١٣٩٠هـ حتى الآن حوالي واحد وثلاثين مليوناً و (٥٠٠) مليون.

١٢٣٢ مصنعًا:

الصناعات.. المصانع في عام ١٣٩٥هـ كان عدد المصانع المنتجة (١١٢) مصنعاً في عام ١٤٠٢هـ كان عدد المصانع المنتجة (١٢٣٢) مصنعًا ورأسمال المصانع المنتجة (١٧) ألف مليون و (٣٠٠) مليون ريال.

الهيئة الملكية للجبيل وينبع (٤٠) ألف مليون ريال قيمة ما ارتبط من مشاريع حتى الآن (٢٥) ألف مليون ريال وما صرف من ارتباط (٦٢) ألف مليون ريال قيمة المصانع الرئيسية في الجبيل وينبع (١٤) ألف مليون. وصناعة رئيسية يبدأ إنتاج بعضها في العام القادم إن شاء الله.. حوالي (٣٠٠) مصنع إضافة تبني من القطاع الخاص في المنطقتين.

الغاز الطبيعي: مشروع تجميع الغاز سوف يمكن البلاد من استغلال ٧٠٪ من الغاز الذي كان يحرق هدرًا.. المرحلة الثانية بإذن الله سيكون استغلال الغاز ١٠٠ ٪.

أكملت المملكة مشروع خط أنابيب الشرق إلى الغرب إلى ينبع في المرحلة الأولى ومقدراها مليون و (٨) من عشرة مليون برميل يومياً.

الكهرباء تخدم أكثر من ٧ ملايين نسمة:

في ١٣٩٥هـ كانت طاقة الكهرباء في المملكة (١٠٨٠) ميجاواط تخدم مليون و (٢٠٠) ألف نسمة في عام ١٤٠٢هـ بلغت طاقة الكهرباء (٧٦٠٠) ميجاواط تخدم أكثر من (٧) ملايين نسمة.

الهاتف:

في عام ١٣٩٥هـ كانت طاقة التليفونات مليون و (٦٠) ألف خط تخدم بما يزيد عن (٧٠٠) ألف مشترك موزعين على (٢١٧) مدينة وقرية في المملكة.

مع بداية الخطة الثالثة كان عدد الدول التي يمكن الاتصال بها مباشرة (٧٠) دولة وارتفع في خلال العامين الماضيين إلى (١٣٧) دولة.

٢٣ ألف عائلة استفادوا من الأراضي الزراعية والمياه والتحلية:

الأراضي البور في عام ١٣٩٥هـ وزع (٤١٨) ألف دونم من الأراضي

البور.. في عام ١٤٠٢هـ وزع مليون و (٦٦٥) ألف دونم استفاد منها أكثر من (٢٣) ألف عائلة.

٣٠٠ ألف طن قمح:

في عام ١٣٩٥هـ كان إنتاج المملكة من القمح (٣) آلاف طن.. في عام ١٤٠٢هـ بلغ إنتاج المملكة أكثر من (٣٠٠) ألف طن.

اتجاه للاكتفاء الذاتي من الألبان:

ففي عام ١٣٩٥هـ كان إنتاج الألبان يغطي ٥ ٪ من الاستهلاك المحلي.. في عام ١٤٠٢هـ يغطي إنتاج الألبان ٥٠ ٪ وحسبما أخبرني معالي وزير الزراعة أن هذه السنة ربما تكون التغطية الكاملة أو قاربت التكامل.

٦٠ ألف طن دجاج:

في عام ١٣٩٥هـ كان إنتاج الدجاج للاستهلاك (١٤) ألف طن. في عام ١٤٠٢هـ وصل إنتاج الدجاج للاستهلاك (٦٠) ألف طن من الاستهلاك.. في عام ١٣٩٥هـ كانت أطوال شبكات المياه (٢٢٠٠) كم.. في عام ١٤٠٢هـ بلغت أطوال شبكات المياه (٢٠) ألف كلم.

١٧٠ سداً بالمملكة:

في عام ١٣٩٥هـ كان بالمملكة (١٦) سداً للمياه.. في عام ١٤٠٢هـ بلغ عدد السدود والمنشآت المرتبطة بالسدود التنفيذية (١٧٠) سدًا.

٥٠٠ مليون جالون يومياً:

التحلية:

في عام ١٣٩٥هـ كان إنتاج (١٠٠) تحلية (١٢) مليون جالون يومياً.. في عام ١٤٠٢هـ بلغ إنتاج (١٠٠) تحلية (٨٦) مليون جالون يومياً..

بانتهاء مشاريع التحلية تحت التنفيذ يصير إنتاج (١٠٠) تحلية (٥٠٠) مليون جالون يومياً.

٢٤ ألف كيلومتر:

الطرق:

في عام ١٣٩٥هـ كانت الطرق المسفلتة (١٢) ألف كلم.. في عام ١٤٠٢هـ بلغت الطرق المسفلتة (٢٤) ألف كلم.

في عام ١٣٩٥هـ بلغت الطرق الزراعية (٧٠٠٠) كلم تقريباً.. في عام ١٤٠٢هـ بلغت الطرق الزراعية (٣٣) ألف كلم.

الموانئ:

في عام ١٣٩٥هـ كان عدد الأرصفة (٢٧) رصيفًا.. في عام ١٤٠٢هـ بلغ عدد الأرصفة (١٣٣) رصيفًا.

في عام ١٣٩٥هـ فرغت الموانئ ستة ملايين طن.. في عام ١٤٠٢هـ فرغت الموانئ (٣٣) مليون طن.

مليون و ٦٠٠ ألف طالب وطالبة التعليم والتدريب:

في عام ١٣٩٠هـ كان مجموع الطلبة والطالبات (٥٩٥) ألفًا.. في عام ١٣٩٥هـ كان مجموع الطلبة والطالبات مليون ومئة ألف.. في عام ١٤٠٢هـ كان مجموع الطلبة والطالبات مليون و (٦٠٠) ألف.

الجامعيون:

في عام ١٣٩٠هـ كان عدد طلبة الجامعات بالمملكة (٨) آلاف طالب وطالبة.. وفي عام ١٣٩٥هـ كان عدد طلبة الجامعات (٢٦) ألف طالب وطالبة.. في عام ١٤٠٢هـ عدد الطلبة الجامعيين والجامعيات (٦٣) ألف طالب وطالبة.

١٢ ألف مدرسة:

المدارس:

في عام ١٣٩٠هـ كان عدد المدارس (٣٢٠٠) مدرسة.. في عام ١٣٩٥هـ كان عدد المدارس (٦٥٠٠) مدرسة.

في عام ١٤٠٢هـ عدد المدارس ما يقارب (١٢) ألف مدرسة.

مدارس البنات:

في عام ١٣٩٥هـ كان عدد الطالبات (٣١١) ألف طالة.. في عام ١٤٠٢هـ بلغ عدد الطالبات (٥٨٥) ألف طالبة.

التدريب:

في عام ١٣٩٥هـ كان بالمملكة تسعة مراكز تدريب بها (١٤٢٠) متدرب.. وفي عام ١٤٠٢هـ يوجد بالمملكة (٣٢) مركز تدريب بها (٥١) ألف متدرب بالإضافة إلى (٦٤) ألفًا يتدربون على رأس العمل.

١٨ ألف سرير الخدمات الصحية:

في عام ١٣٩٥هـ كان عدد الأسرة (١٢) ألف سرير.. في عام ١٤٠٢هـ عدد الأسرة (١٨) ألف سرير.

في عام ١٣٩٥هـ بلغ عدد المستوصفات (٦٣١) مستوصفًا.. في عام ١٤٠٢هـ بلغ عدد المستوصفات (١١,٠٧٩) مستوصفًا.

الرئاسة العامة لرعاية الشباب - الخطوط الجوية العربية السعودية - المؤسسات العامة للصوامع والغلال ومطاحن الدقيق.. وزارة الشؤون البلدية والقروية - الإسكان - مشروع منها وزارة الإعلام - سوف نوردها في السياق الآتي:

الرئاسة العامة لرعاية الشباب:

منذ عام ١٣٩٥هـ وحتى الآن تم إنجاز مركزين للشباب بجدة والدمام وصالات للألعاب في أبها والمدينة وبيوت للشباب في الدمام ومراكز رياضية وثقافية بحائل وبريدة وبعض المدن الأخرى.

١٣٧ نادٍ رياضي:

بلغ إجمالي عدد الأندية الرياضية (١٣٧) نادٍ.. وعدد الاتحادات الرياضية (١٤) اتحادًا.

بلغ عدد الأندية الأدبية عشرة أندية وتم تقديم (١٨٤) من الاجتماعيات والمسابقات والمحاضرات الأدبية.

وتم تنظيم حوالي سبعة وعشرين عرضاً ومسابقة في المسرحيات الإنشائية الهادفة والبناءة و (٥٢) معرضاً ومسابقة للفنون التشكيلية.

كما تم تنظيم أربعة عشر أسبوعاً ثقافياً (طبعاً ثقافي وعلى رأس الثقافة الثقافة الإسلامية).

١٠ ملايين راكب، الخطوط الجوية العربية السعودية:

في عام ١٣٩٥هـ كان عدد الطائرات (٢٨) طائرة نقلت مليونًا و(٨٠٠) ألف راكب وفي عام ١٤٠٢هـ أصبح عدد الطائرات (٥١) طائرة نقلت أكثر من عشرة ملايين راكب.

٢٩ مطاراً:

في عام ١٣٩٥هـ كان عدد المطارات العاملة (١٨) مطاراً.. في عام ١٤٠٢هـ أصبح عدد المطارات (٢٩) مطاراً في مختلف مناطق البلاد.

ـ المؤسسة العامة للصوامع والغلال ومطاحن الدقيق:

بلغ إنتاج المؤسسة (٤٥٢) ألف طن من الدقيق و (٧٢) ألف طن من الأعلاف.

١٠٧٩ مشروعًا، وزارة الشؤون البلدية والقروية:

بلغ عدد المشروعات المنفذة منذ عام ١٣٩٥هـ (٣٥٢) مشروعاً وبلغ عدد المشروعات تحت التنفيذ (٧٢٧) مشروعاً أي أن مجموع المشروعات المنفذة والتي تحت التنفيذ في الوقت الحاضر بلغ (١٠٧٩) مشروعاً منها (٩٨) مشروعاً لمياه الشرب و(٧١) مشروعاً لتصريف مياه السيول والأمطار و (٢٤٠) لتجميل المدن والقرى و (٣٧٨) مشروعاً للسفلتة وإنارة الشوارع و (٢٧٦) مشروعاً لمباني البلديات.

الإسكان: ٣٠٧٧ وحدة سكنية:

بلغ عدد الوحدات السكنية المنجزة التي في مراحل مختلفة من التنفيذ حتى الآن (٣٧٧) ألف وحدة سكنية منها (٢٧٦) وحدة سكنية ينفذها المواطنون عن طريق صندوق التنمية العقاري و (٢٥) ألف وحدة سكنية تنفذها وزارة الأشغال العامة والإسكان و (٣٣) ألف وحدة سكنية تنفذها الهيئة الملكية للجبيل وينبع.

مشاريع تطوير منى:

تم تنفيذ (٢٠) نفقًا حتى الآن و (١٥) جسراً للمشاة وشبكة طرق مجموع أطوالها مئة كم، وخزانات للمياه مجموع مساحتها حوالي مليون وثمان مئة متر مكعب وأعمال الصرف الصحي تكفي لثلاثة ملايين حاج.

وزارة الإعلام: ٣٧ محطة إذاعية

أنشأت الدولة (٣٧) محطة إرسال إذاعية وعشر محطات تقوية تلفزيون

فرعية و (٤١) مركز تلفزيون ثابت و (٩) مراكز تلفزيون متنقل و (٥) مراكز تلفزيون (م واط) مؤقتة كما قامت مؤخراً بافتتاح القناة الإذاعية الثانية.

القوات المسلحة والحرس والداخلية:

من أهم الأمور الرئيسية التي تهم المواطن أن يعرف عنها - ولكنه يمكن التفصيلُ عنها ما أعتقد أنه وارد - هي القوات العسكرية المسلحة والحرس الوطني وزارة الدفاع وزارة الداخلية وما يتبعها من تشكيلات عسكرية وأمنية.

المبالغ التي رصدت في هذه السنة خلاف ما انتهى ونفذ ما يقارب (١٥٠) ألف مليون ريال، وأعتقد أن تفصيلاتها مثل ما ذكرت لا داعي لتفصيلها لأنها من الأمور التي يجب أن تبقى في أجهزتها.

مشاريع جديدة:

طبعاً ما ذُكر من مشاريع هي مثل ما ذكرت.. لها فترة من الزمن ولا شك أن جد الجديد فيما يتعلق بالكثير من المرافق الرئيسية مثل الصناعة والصحة أو الزراعة أو الطرق والبرق والبريد والهاتف وما يتبعه من مشاريع أخرى.. يمكن ما ذكرت بعض مشاريع الوزارات التي هي مشاريع يمكن تخص الجهاز الحكومي.. لكن التفصيلات المتكاملة سوف ترد في تفصيل الميزانية.. ومن طبائع الأمور وزير المالية سوف يتولى إعلان تبويب الميزانية كجاري العادة، وأظن الإخوان كذلك يمكن لهم تفصيل ما غرب عن الذهن وممكن أن يقوموا بشرحه للمواطنين.

حرص المواطن:

بطريقة واضحة: أنا ربما جبت موجز.. ولماذا تكلمت في هذا الموجز لأن كثير من يتساءل ماذا عملت الدولة.. بطبيعة الحال هذا من حرص المواطن لو أنه يسأل السؤال هذا ويقول ويش الشيء الذي عملته الدولة،

أي من المشاريع التي ذكرتها هي تعلن دائما في وقتها والوزير المختص أو الجهات المختصة تعلنا تماماً بكل تأكيد في الإذاعة والتليفزيون والجرائد لكن.. كل من هم على حدة.. والإنسان بعد ما يفوت عليه أربع خمس سنوات لابد أن يغيب عن ذهنه أشياء فعندما يتصور المواطن في خلال كذا سنه ما هي المشاريع التي قامت بها الدولة في خلال سنوات معدودة ؟ وما هي المشاريع التي سوف تأتي الآن جديدة أو تحت التنفيذ؟

وذكرت فيما سبق إن الذي سوف ينفذ في هذه السنة حوالي (١٥٠) ألف مليون من مشاريع سوف تنزل بطبيعة الحال إلى الأسواق، وعندما ذكرت في بداية الأمر ما يتعلق بالبترول هذا شيء يجب أن يكون بالذهن ويجب أن المواطن هذا تماماً.

نحن نفخر عندما نذكر مثل هذا الأمر لأن هذا في علم الغيب.. والله الذي يعلم ماذا يحدث خلال السنة المالية الحالية أو السنة التي بعدها ولكن المؤمل أن تكون الأمور أفضل مما نتوقع إنما الحرص وإدراك المواطن أن الثروة الرئيسية التي يعتمد عليها بعد الله هي البترول.

موارد أخرى ومعادن ثمينة:

وذكرت فيما سبق أن التفكير لدى المسؤولين في الدولة ليس فقط منصب على البترول.. لأن مادة البترول قابلة للانتهاء وقابلة لإيجاد البديل لكن من حسن حظ هذا البلد وأهلها أن أنعم الله عليها بموارد أخرى خلاف البترول من معادن رئيسية تحتاج لها الصناعة الداخلية.. يمكن تفصيلها الآن يحتاج لشيء من الوقت.. ولابد من أن يفصل هذا الأمر بطريقة أو بأخرى من قبل الجهات المسؤولة عندما تستكمل هذه الأمور أوضاعها الطبيعية حتى تكون إنتاجية.. ولا نحب أن نستبق الحوادث أو نشير إلى أشياء من المعادن الثمينة جداً التي يمكن بعد الله سترتكز عليها دعائم الدولة ويصبح البترول من ضمن معادن أخرى مكمل لبعضها البعض.

إنجازات كبيرة:

فيما أقيم في الواقع في خلال سنوات من سنة ٩٥ إلى الآن يمكن نحن كمواطنين ما نلمس هذا بشكل أو بآخر لأننا عايشين فيه.. لكن اللي غاب عن المملكة العربية السعودية فترة من الزمن ويأتي أعتقد إذا كان منصف أن ينصف هذا البلد والمسؤولين فيه والمواطنين.. إن المواطنين ساهموا مساهمة فعالة في أنهم قاموا بواجبها اللي يمكن ما كان أحد يتصور أن تتم هذه الأعمال إلا في خلال عشرات السنين.

فأوردت ما أوردته الآن وهو فقط اعتبره بعض الإيضاح وليس الكل.. ولهذا نعود مرة أخرى وأكرر أن ما حدث وما حصلنا عليه وما استطعنا القيام به إلى غاية الآن هو من فضل الله.. ويعود في الدرجة الأولى تمسك هذه البلاد وأهلها بالعقيدة الإسلامية لأنها هي الأساس وهي القاعدة وهي المنطلق وهي اللي نعتمد عليها بعد الله.

وختاماً أرجو أن يوفقنا الله جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين وينصر دينه ويعلي كلمته ويعز الأمة الإسلامية في كل مكان وشكراً للإخوان على إصغائهم وإذا كنت أكلت في الشرح كذلك شكراً لكم، وأرجو التوفيق إن شاء الله.

فهرس الموضوعات

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

١ ـ **فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد**، السيد أحمد مرسي عباس، ١٣٩٥هـ.

٢ ـ **لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٣٩٥هـ.

٣ ـ **سلسلة قادة الجزيرة - قال الجد لأحفاده**، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٤ ـ **سعود الكبير - الإمام سعود بن عبدالعزيز**، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٥ ـ **عثمان بن عبدالرحمن المضايفي - عهد سعود الكبير**، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٦ ـ **الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد بن سعود**، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٧ ـ **هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، أمين سعيد، ١٣٩٥هـ.

٨ ـ **المرأة: كيف عاملها الإسلام**، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. (د. ت).

٩ ـ **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز**، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٦هـ.

١٠ ـ **العرب بين الإرهاص والمعجزة**، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١١ ـ **بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة**، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٢ ـ **رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية**، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٣ ـ **الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي**، مناع القطان، ١٣٩٦هـ.

١٤ - **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية**، محمد كمال جمعة، ١٣٩٧هـ.

١٥ - **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، محمد إبراهيم رحمو، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٦ - **تاريخ الدولة السعودية**، أمين سعيد، ١٤٠١هـ.

١٧ - **مكة في عصر ما قبل الإسلام**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٣٩١هـ.

١٨ - **الأطلس التاريخي للدولة السعودية**، إبراهيم جمعة، ١٣٩٩هـ.

١٩ - **أمجاد الرياض في حياة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز**، شعر محمد العيد الخطراوي، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٢٠ - **محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٣٩٩هـ.

٢١ - **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب، ١٣٩٩هـ.

٢٢ - **دليل الدوريات بالمكتبة**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٣ - **دليل الوثائق العربية بدارة الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٤ - **دليل الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٥ - **قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٦ - **دليل دارة الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٩هـ.

٢٧ - **أعمال الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٨ - **دراسات في الجغرافية الاقتصادية «المملكة العربية السعودية والبحرين»**، د. أحمد رمضان شقلية، ١٤٠٢هـ.

٢٩ - **الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٣٠ ـ **الأمثال العامية في نجد «٥ أجزاء»**، محمد بن ناصر العبودي «أسهمت الدارة في طباعته»، ١٣٩٩هـ.

٣١ ـ **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، رابح لطفي جمعة، ١٤٠٢هـ.

٣٢ ـ **الملك فيصل والقضية الفلسطينية**، د. السيد عليوة، ١٤٠٢هـ.

٣٣ ـ **علاقة ساحل عمان ببريطانيا «دراسة وثائقية، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.**

٣٤ ـ **سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي**، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.

٣٥ ـ **عنوان المجد في تاريخ نجد (جزءان)**، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٤٠٢هـ.

٣٦ ـ **المرافئ الطبيعيَّة على الساحل السعودي الغربي «دراسة مقارنة تطبيقية»**، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٣هـ.

٣٧ ـ **السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر**، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٢هـ.

٣٨ ـ **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب**، لمؤلف مجهول، تحقيق: أ.د. عبدالله العثيمين، ١٤٠٣هـ.

٣٩ ـ **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١)، ١٤٠٣هـ.

٤٠ ـ **بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد**، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢)، ١٤٠٣هـ.

٤١ ـ **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩- ١٣٤١هـ**، خالد محمود السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣)، ١٤٠٣هـ.

٤٢ ـ **السمات الحضارية في شعر الأعشى: دراسة لغوية وحضارية**، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٤)، ١٤٠٣هـ.

٤٣ ـ **الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر**، عبدالقدوس الأنصاري، ١٤٠٣هـ.

٤٤ ـ **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية**، محمد كمال جمعة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٥ ـ **الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي**، د. عاصم الدسوقي، ١٤٠٣هـ.

٤٦ ـ **مكة في عصر ما قبل الإسلام**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٧ ـ **أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، محمد إبراهيم رحمو، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٤٨ ـ **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود**، تأليف: عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٢هـ.

٤٩ ـ **فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٢هـ.

٥٠ ـ **دارة الملك عبدالعزيز: الكتيب الإعلامي الأول للدارة**، ١٣٩٨هـ.

٥١ ـ **مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة**، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٥)، ١٤٠٨هـ.

٥٢ ـ **النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠- ١٩٤٥م**، د. محمد عبدالرحمن الشامخ (أسهمت الدارة في طباعته)، ١٣٩٥هـ.

٥٣ ـ **مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن**، د. عبدالرحمن صادق الشريف، ١٣٩٩هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٤ ـ **المنهج المثالي لكتابة تاريخنا**، محمد حسين زيدان، ١٣٩٨هـ.

٥٥ ـ **الدولة السعودية الثانية من ١٢٥٦- ١٣٠٩هـ**، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٦ ـ **لوحة نسب آل سعود**، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة. (د.ت).

٥٧ ـ **جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية**، رتبها د. إبراهيم جمعة. (د. ت).

٥٨ ـ **الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٣٩٥- ١٤١٥هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ.

٥٩ ـ **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م**، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة سارة تاكا هاشي، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٠ ـ **الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض**، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ، يوسف ياسين، ١٤١٦هـ.

٦١ ـ **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٦)، ١٤١٧هـ.

٦٢ ـ **مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٧هـ.

٦٣ ـ **يوميات رحلة في الحجاز**، تأليف: غلام رسول مهر، ترجمة: د. سمير عبدالحميد إبراهيم، ١٤١٧هـ.

٦٤ ـ **معجم التراث (السلاح)**، سعد بن عبدالله الجنيدل، ١٤١٧هـ.

٦٥ ـ **جدة خلال الفترة ١٢٨٦- ١٣٢٦هـ: دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة**، صابرة مؤمن إسماعيل (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٧)، ١٤١٨هـ.

٦٦ ـ **بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣- ١٥ رجب ١٤١٧هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.

٦٧ ـ **حوليات سوق حباشة الباحث في أدب الجزيرة العربية وتاريخها**، أ.د. عبدالله بن محمد أبو داهش، ١٤١٨هـ.

٦٨ ـ **مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦- ١٤١٧هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٦٩ ـ **الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (جزءان)**، إسماعيل حسين أبو زعنونة، ١٤١٩هـ.

٧٠ ـ **رحلة الربيع**، فؤاد شاكر، ١٤١٩هـ.

٧١ ـ **فجر الرياض**، عبدالواحد محمد راغب، ١٤١٩هـ.

٧٢ ـ **معجم مدينة الرياض**، خالد بن أحمد السليمان، ١٤١٩هـ.

٧٣ ـ **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية**، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكاهاشي، ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٤ ـ **رحلة داخل الجزيرة العربية**، يوليوس أويتنج، ١٤١٩هـ.

٧٥ ـ **الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح (قائمة ببليوجرافية)**، د. فهد بن عبدالله السماري، ود. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٧٦ ـ **الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة**، د. فان درمولين، ١٤١٩هـ.

٧٧ ـ **الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض**، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣-١٣٤٦هـ، يوسف ياسين. ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٨ ـ **خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)**، د. محمد بن عبدالله النويصر، ١٤١٩هـ.

٧٩ ـ **مختارات من الخطب الملكية (جزءان)**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٠ ـ **نساء شهيرات من نجد**، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤١٩هـ.

٨١ ـ **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ط٢، ١٤١٩هـ.

٨٢ ـ **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر**، تأليف شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، محمد بن عبدالله الحميّد، ١٤١٩هـ.

٨٣ ـ **صفحات من تاريخ مكة المكرمة (جزءان)**، تأليف ك. سنوك هورخرونيه نقله إلى العربية د. علي عودة الشيوخ، ١٤١٩هـ.

٨٤ ـ **لماذا أحببت ابن سعود**، محمد أمين التميمي، ١٤١٩هـ.

٨٥ ـ **ديوان الملاحم العربية**، محمد شوقي الأيوبي، تعليق د. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٨٦ ـ **أصدقاء وذكريات. انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م – ١٩٩٨م**، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٧ ـ **الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ / ١٩٠١ ـ ١٩٠٢م**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٨ ـ **الرواد: الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء الذين دخلوا الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٩ ـ **الزيارة الملكية: زيارة الملك عبدالعزيز التفقدية لشركة أرامكو**، شركة أرامكو ـ لجنة المؤرخين، ترجمه وعلق عليه د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٩هـ.

٩٠ ـ **يوميات الرياض: من مذكرات أحمد بن علي الكاظمي**، أحمد بن علي الكاظمي، ١٤١٩هـ.

٩١ ـ **الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية**، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤١٩هـ.

٩٢ ـ **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، فيليب ليبنز، ترجمة محمد محمد الحناش، ١٤١٩هـ.

٩٣ ـ **جوانب من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه القضايا العربية: دراسة تحليلية من خلال أوراق نبيه العظمة**، د. خيرية قاسمية، ١٤١٩هـ.

٩٤ ـ **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري**، سعد بن جنيدل، ١٤١٩هـ.

٩٥ ـ **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٦ ـ **المملكة العربية السعودية في مئة عام: معلومات موجزة**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٧ ـ **عبدالعزيز (الكتاب المصور)**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٨ ـ **أصدقاء وذكريات**، انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م ـ ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩٩ ـ **الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى: القسم الأول ١٣٤٣هـ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤م ـ ١٩٥٣م**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٠هـ.

١٠٠ ـ **الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠١ ـ **بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثًا) ط١**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠٢ ـ **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٠٣ ـ **سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية التاريخية، القضية الفلسطينية ١٣٤٨-١٣٧٣هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٤ ـ **الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في عام ١٤١٩هـ**، عبدالرحمن أحمد فراج، ١٤٢١هـ.

١٠٥ ـ **مؤتمر فلسطين العربي البريطاني المنعقد في مدينة لندن في ١٨ ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٧ فبراير ١٩٣٩م**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٦ ـ **رحلة إلى بلاد العرب**، تأليف أحمد مبروك، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢١هـ.

١٠٧ ـ **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي**، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٨). ١٤٢٢هـ.

١٠٨ ـ **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، الشيخ حمد الجاسر، ١٤٢٢هـ.

١٠٩ ـ **الجيش السعودي في فلسطين**، صالح جمال الحريري، ١٤٢٢هـ.

١١٠ ـ **تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج**، ج.ج. لوريمر، جمع وتعليق الدكتور محمد بن سليمان الخضيري، ١٤٢٢هـ.

١١١ ـ **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية**، عبدالرحيم محمود جاموس، ١٤٢٢هـ.

١١٢ ـ **الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩- ٦٣٦هـ / ١٠٧٦- ١٢٣٨م**، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٩)، ١٤٢٢هـ.

١١٣ ـ **المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود / دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف**، ط١، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤٢٢هـ.

١١٤ ـ Najd Before The Salafi Reform Movement, **«نجد قبل الدعوة الإصلاحية السلفية»** د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٥ ـ Al-Yamama in the Early Islamic Era. **«اليمامة في صدر الإسلام»** د. **عبدالله بن إبراهيم العسكر**، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٦ ـ **التحليق إلى البيت العتيق**، د. عبدالهادي التازي. (سلسلة كتاب الدارة ـ ١)، ١٤٢٢هـ.

١١٧ ـ **الوثائق التاريخية لوزارة المعارف في عهد وزيرها الأول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣ ـ ١٣٨٠هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١١٨ ـ **الإقناع لطالب الانتفاع (أربعة أجزاء)**، أبو النجا الحجاوي المقدسي، ١٤٢٣هـ.

١١٩ ـ **جامع العلوم والحكم (جزءان)**، ابن رجب، ١٤٢٣هـ.

١٢٠ ـ **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢١ ـ **معجم ما ألف عن الحج**، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، ١٤٢٣هـ.

١٢٢ ـ **برنامج المحافظة على المواد التاريخية**، دارة الملك عبدالعزيز، مكتبة الكونغرس، ١٤٢٣هـ.

١٢٣ ـ **مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها**، جمع وتحرير إدوارد. ب. أدكوك، ترجمة د. عبدالعزيز بن محمد المسفر، د. فؤاد حمد فرسوني، ١٤٢٣هـ.

١٢٤ ـ **العلاقات السعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات ألقيت في الندوة التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع مؤسسة الأهرام**، القاهرة (١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢٥ ـ **علم القراءات: نشأته**، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل ابن محمد آل إسماعيل، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٦ ـ **المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف**، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٧ ـ **مستخلصات بحوث مجلة الدارة**، دارة الملك عبدالعزيز (جزءان)، ١٤٢٣هـ.

١٢٨ ـ **الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود**، نايف بن علي السنيد الشراري، ١٤٢٣هـ.

١٢٩ ـ **موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية (١٩٢٦ ـ ١٩٤٨م)**، د. حسان حلاق (سلسلة كتاب الدارة ـ ٢) ١٤٢٣هـ.

١٣٠ ـ **مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين**، د. عبدالفتاح حسن أبو علية، ١٤٢٣هـ.

١٣١ ـ **العلاقات السعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود**، دارة الملك عبدالعزيز، الجامعة اللبنانية، ١٤٢٣هـ.

١٣٢ ـ **كلمات قضت ـ معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت**، محمد بن ناصر العبودي (جزءان)، ١٤٢٤هـ.

١٣٣ ـ **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤ ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٣٤ ـ **موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية**، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٣٥ ـ **التاريخ الشفوي**، حديث عن الماضي، تأليف: د. روبرت بيركس، ترجمة د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، ١٤٢٤هـ.

١٣٦ ـ **الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، د. عبدالرحمن بن علي العريني، (سلسلة كتاب الدارة ـ ٣) ١٤٢٤هـ.

١٣٧ ـ **طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز**، عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، ١٤٢٤هـ.

١٣٨ ـ **مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود لترميم وتجليد مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٣٩ ـ **المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان في السلم والحرب: إشارات موجزة**، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢٤هـ.

١٤٠ ـ **الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة**، د. معراج بن نواب مرزا، د. عبدالله بن صالح شاووش، ١٤٢٤هـ.

١٤١ ـ **مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٤٢ ـ **المملكة العربية السعودية في مئة عام (معلومات موجزة)**، إصدار خاص للمكفوفين بخط برايل، طبع الكتاب بالتعاون مع وزارة المعارف، ١٤١٩هـ.

١٤٣ ـ **تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية**، د. بدر بن عادل الفقير، ١٤٢٤هـ.

١٤٤ ـ **رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام**، تأليف: سعد ابن أحمد الربيعة، أعده للنشر: سعود بن عبدالعزيز الربيعة، (سلسلة كتاب الدارة ـ ٤) ١٤٢٤هـ.

١٤٥ ـ **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز: دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦ ـ ١٣٢٦هـ)**، أ. نورة بنت معجب الحامد (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٠)، ١٤٢٥هـ.

١٤٦ ـ **تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧ ـ ١٣٣٣هـ)**، أ. فاطمة بنت محمد الفريحي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١١)، ١٤٢٥هـ.

١٤٧ ـ **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة**، التاسع والعاشر للميلاد، د. سعيد بن عبدالله القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٢)، ١٤٢٥هـ.

١٤٨ ـ **الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها**، د. أحمد ابن عبدالعزيز البسام (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٣)، ١٤٢٥هـ.

١٤٩ ـ **موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية**، د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٤)، ١٤٢٥هـ.

١٥٠ ـ **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٣٨ ـ ١٣٠٩هـ)**، حصة بنت جمعان الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٥)، ١٤٢٥هـ.

١٥١ ـ **المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية** (دراسة تقويمية للوضع الراهن)، أ. د. سالم بن محمد السالم، ١٤٢٥ هـ.

١٥٢ ـ **منطقة سدير في عهد الدولة السعودية الأولى**، د. عبدالله بن إبراهيم التركي، (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١٦)، ١٤٢٥ هـ.

١٥٣ ـ **الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية**، تأليف فيلكس مانجان، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٥ هـ.

١٥٤ ـ **لمحات من الماضي (مذكرات الشيخ عبدالله خياط)**، عبدالله عبدالغني خياط، ١٤٢٥ هـ.

١٥٥ ـ **موجز لتاريخ الوهابي، السير هارفرد جونز بريدجز**، ترجمة د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٥ هـ.

١٥٦ ـ **التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم**، تأليف جان ريمون، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٥ هـ.

١٥٧ ـ **تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م**، تأليف لويس ألكسندر أوليفيه دوكورانسيه، ترجمة د. إبراهيم البلوي، د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٥هـ.

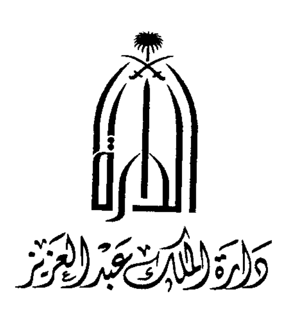
١٥٨ ـ **الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني**، تأليف الحسن بن أحمد الضمدي، تحقيق أ. د. إسماعيل بن محمد البشري، ١٤٢٥هـ.

١٥٩ ـ **دليل المجلات السعودية المحكمة**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٠ ـ **الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية (النشأة ـ الواقع)**، د. عبدالله بن ناصر السدحان، ١٤٢٥هـ.

١٦١ ـ **رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية**، تأليف أنطونان جوسن ـ رفائيل سافينياك، ترجمة د. صبا عبدالوهاب الفارس، ١٤٢٥هـ.

١٦٢ ـ **الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر الهجري**، أحمد بن عبدالغفور عطار، ١٤٢٥هـ.



ص. ب: ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العبية السعودية ـ هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠٨١٦٣٦ فاكس: ٤٠١٣٥٩٧

P.O.Box: 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A. - Tel: 4011999/4081636 Fax: 4013597

البريد الإلكتروني: E-mail: info@darah.org.sa - ـ موقع الإنترنت www.darah.org.sa